نصر بن أحمد البصري الخبز أرزي
المتوفى سنة ٣٣٠هـ

حياته وشعره



الدكتور

مصطفى حسين عناية

أستاذ مادة الأدب بجامعة أم القرى / مكة المكرمة



٢٠١٥

نصر بن أحمد البصري الخبزأرزي

المتوفى سنة 330هـ

حياته وشعره

الدكتور

مصطفى حسين عناية

أستاذ مادة الأدب بجامعة أم القرى / مكة المكرمة

عالم الكتب الحديث

Modern Books' World

إربد- الأردن

2015

الكتاب

نصر بن أحمد البصري الخبز أرزي حياته وشعره

تأليف

مصطفى حسين عناية

الطبعة

الأولى، 2015

عدد الصفحات: 362

القياس: 17×24

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية

(2014/6/2779)

ISBN 978-9957-70-869-6

الناشر

عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع

إربد- شارع الجامعة

تلفون: (27272272- 00962)

خلوي: 0785459343

فاكس: 27269909- 00962

صندوق البريد: (3469) الرمزي البريدي: (21110)

E-mail: almalktob@yahoo.com
almalktob@hotmail.com
almalktob@gmail.com

الفرع الثاني

جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع

الأردن- العبدلي- تلفون: 5264363/ 079

مكتب بيروت

روضة الغدير- بناية بزي- هاتف: 471357 1 00961

فاكس: 475905 1 00961

المحتوى

المقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسّلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وبعد:

فقد ظهر في العصر العباسي جماعة من شعراء الطبقة العامة في المجتمع، ونجد بين شعراء هذه الطبقة شعراء أميين يجيدون نظم الشعر؛ وربما كان أهم هؤلاء الشعراء: نصر بن أحمد الخبزأرزي، فقد كان أمياً لا يقرأ، ولا يكتب، وقد أحرز لقب: الخبزأرزي، من حرفته؛ فقد كان خبّازاً يخبز الأرز بدكان له في مربد البصرة، وقد كان الناس يزدحمون عليه، ويتطرّفون باستماع شعره، وقد خالط شعراء البصرة، وأدباءَها، ومدح ولاتها، وقضاتها، ثم انتقل إلى مدينة بغداد، وهناك جُمِعَ ديوانه، وقُرِئَ عليه.

والحقيقة أنّ هذا الشاعر – على الرغم من استشهاد كثير من أصحاب كتب التراث بشعره، وإجماعهم على أنه كان رقيق الشعر، مطبوعاً عليه، مجوّداً فيه – لم ينل ما يستحقه من اهتمام الدارسين في الأدب العربي، وقد كان جرجي زيدان أوّل الدّارسين المحدثين الذين أشاروا إليه وإلى شعره، وذلك في كتابه "تاريخ آداب اللغة العربية، وقد أشار إليه، بعد ذلك، الدكتور شوقي ضيف في كتابيه: "العصر العباسي الثاني" و"الشعر وطوابعه الشعبية على مرّ العصور". ولا تزيد الصفحات التي كتبها جرجي زيدان، وشوقي ضيف عن حياته وشعره، على عشر صفحات، ويكاد الكلام عنه يكون واحداً في هذه الكتب الثلاثة.

وخدمة للتراث العربي، وإضافة إلى المكتبة العربية، رأيت أن أقوم بتحقيق ديوانه تحقيقاً علمياً دقيقاً وموثقاً، ثم جمع ما تناثر من شعره في كتب التراث، ولم يرد في الدّيوان، وأجعله ذيلاً للدّيوان.

وإنصافاً لهذا الشاعر، الذي كان يمثّل أحسن تمثيل الطبقة الشعبية في عصره، وتصحيحاً لبعض المفاهيم عن شعره، ولأنّ شعره لم يدرسه الدارسون – في حدود علمي – فقد رأيت أنْ أقوم بدراسة مفصلة عن حياته وشعره.

وأرجو أن أكون – بهذا التحقيق لشعره، وبهذه الدراسة لحياته وشعره – قدْ قدّمت عملاً متواضعاً يسهم في إحياء التراث العربي.

وقد رأيت أن أسلك في دراستي لحياة الخبزأرزي وشعره نهجاً علمياً يتناسب مع طبيعة الموضوع التي اقتضت تقسيمه إلى بابين:

سأتناول في الباب الأول دراسة حياة الخبزأرزي، وسيكون في فصلين:أتحدث في الفصل الأول عن عصر الشاعر من الناحيتين: السياسية والثقافية.

امّا الفصل الثاني؛ فسأخصصه لحياته، فأتحدث عن: نشأته، واسمه، ولقبه، وثقافته، ووفاته، وصلته برجال عصره.

وسأخصص الباب الثاني لشعره، وسأجعله في أربعة فصول:

سأبدأ الفصل الأول بعرض مصادر شعر الخبزأرزي التي روت له أشعاراً غير موجودة في الديوان، وسأبيّن أهمية كل مصدر من حيث انفراده برواية قصائد له، أو أبيات دون المصادر الأخرى، أو من حيث سبقه في الرّواية على غيره، وعدد الأبيات التي أوردها، وسأرّتب هذه المصادر ترتيباً تاريخياً بحسب تواريخ وفاة أصحابها مبتدئاً بأقدمها منذ القرن الرابع وحتى نهاية القرن الثاني عشر الهجري.

وسأتحدّث بعد ذلك عن رواة أشعار الخبزأرزي، وأذكر رواة شعره الذين ذكرتهم كتب الأدب.

وأشير بعد ذلك إلى ظاهرة اختلاط شعر الخبزأرزي، واضطراب روايته، وسأورد أمثلة على هذا الاختلاط والاضطراب.

أما الفصل الثاني؛ فسأخصصه للحديث عن موضوعات شعر الخبزأرزي، وسأبيّن خطأ الذين ترجموا له، وزعموا أنّ شعره كان مقصوراً على الغزل، وسأوضح أنه قد طرق ألوان الشعر المختلفة: من مديح، وحكمة، ووصف، وغزل، وعتاب، واعتذار، وهجاء ... الخ، وسأتحدث بالتفصيل عن كل غرض من هذه الأغراض الشعرية المختلفة.

وسأنتقل بعد ذلك إلى الفصل الثالث إذ أتحدث عن الخصائص الفنية العامة في شعره، فأتحدث عن تأثره بالقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والمعاني الإسلامية بعامة، ثم أتحدث عن المعاني والصور في شعره، كما أتحدث عن التجسيم أيضاً، وسأتبع

ذلك الحديث عن الألوان البديعية في شعره، وعن الحوار، والموسيقا، واللغة، والتكرار، ووحدة القصيدة، وسأختم حديثي في هذا الفصل عن بعض عيوب شعره.

وسأفرد الفصل الأخير للحديث عن ديوانه، وعن آراء النقاد في شعره.

وأنهي هذا البحث بخاتمة أذكر فيها خلاصة النتائج التي توصلت إليها، وهي تعد تلخيصاً مجملاً لعناصر هذا البحث.وأحب أن أشير إلى أنني قد رجعت إلى كثير من المصادر القديمة، والمراجع الحديثة بمختلف ألوانها الأدبية، والبلاغية، والنقدية، والتاريخية، و سأثبت أسماء هذه المصادر والمراجع في ختام البحث، ولا أبالغ إذا قلت: إنّ ديوان الخبزأرزي كان المصدر الرئيس في هذا البحث.

وأخيراً؛ فإنني أقول: إنّني قد بحثت ما وسعني، ولم أوفر في ذلك الجهد والطاقة؛ فأرجو أن أكون قد حقّقت بعض ما قصدت إليه، وعملت من أجله، وإلاّ فعذري أنني طالب علم يخطئُ ويصيب، وما الكمال إلا لله وحده، وفوق كل ذي علمٍ عليم، والحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه.

مصطفى حسين محمد عناية

أبها ـ رمضان – 1408هـ

الباب الأول

بيئة الخبزأرزي وحياته

الفصل الأول: عصر الخبزأرزي

(1) الحالة السياسية

(2) الحالة الثقافية

الفصل الثاني: حياته

(1) نشأته: اسمه، ولقبه ووفاته

(2) ثقافته

(3) صلته برجال عصره

الفصل الأول

بيئة الخبزأرزي

(1) الحالة السياسية

(2) الحالة الثقافية

الفصل الأول

بيئة الخبزأرزي

الحالة السياسية

قال الشاعر:

خليفـــــة الله في قَفَـــــصٍ بـــــين وصـــــيفٍ وبغـــــا
يقولـــــون مـــــا قـــــالا لـــــه كمـــــا يقـــــولُ البَبَّغـــــا[1]

وروي أنّ المعتز بالله لمّا أخرجه الترك من السجن، وولّوه أمر الخلافة سنة ثنتين وخمسين ومئتين من الهجرة، سئل المنجمون في أحد المجالس: كم يظلّ المعتز خليفة للمسلمين؟ فقال أحد الظرفاء وكان بالمجلس: أنا أعْرَفُ من هؤلاء المنجّمين بمقدار خلافته وعمره، فقالوا له: فكم تقول إنّه يعيش؟ وكم يملك؟ فقال: طالما أراد الترك ذلك. فلم يَبْقَ في المجلس أحد إلاّ غلبه الضحك[2]. ولم يزل قائماً على أمر الخلافة إلى أنْ خلعه الأتراك سنة خمس وخمسين ومئتين وهذا يدلّ دلالة واضحة على تدهور الخلافة في هذا العصر الذي اصطلح المؤرخون على تسميته بعصر النفوذ التركي، وقد أصاب البصرة في هذا العصر كثير من الويلات والمصائب لعل أوّلها: ثورة الزنج التي تزعّمها رجل زعم أنّه من آل علي بن أبي طالب – كرّم الله وجهه – والحقيقة أنّه رجلٌ فارسي ولد في قرية يقال لها وَرَزْنين[3].

وقد رحل إلى هجر البحرين حيث أحلّه أهلها من أنفسهم محلّ النبي ـ فيما ذكر – ثم انتقل إلى البادية، وهناك ادّعى أنّ سحابة قد أظلّته فبرقت ورعدت، ووصل صوت الرّعد

(1) مروج الذهب 4/ 61.

(2) تاريخ الفخري ص 181.

(3) الطبري 9/ 389.

منها بسمعه، فخوطب فيه، فقيل: اقصد البصرة، وقال لأصحابه: إني أُمِرْتُ بصوت هذا الرّعد بالمسير إلى البصرة،وقد قدم البصرة في سنة أربع وخمسين ومئتين، ووافق ذلك فتنة أهلية بين حيين من أحيائها، فطمع في أحد الفريقين أن يميل إليه، ولكن خاب أمله، فلم يجبْه أحد من أهل البصرة، ثم هرب إلى بغداد عند بعض أصحابه، ثم عاد إلى البصرة في سنة خمس وخمسين ومئتين، وأقام في قرية بالقرب من البصرة، وجمع حوله الزنج، الذين كانوا يعملون في كسح السباخ، ومنّاهم،ووعدهم بأن يخلّصهم من أسيادهم، ويملكهم الأموال[1].

وقد كثرت إغاراته على مدينة البصرة وقراها، وكان يقول لأصحابه إنه اجتهد في الدّعاء على أهل البصرة، وابتهل إلى الله في تعجيل خرابها، وخوطب في أمرها، وقيل له: إنّما البصرة خبزة لك تأكلها من جوانبها.

وقد هاجمها في سنة سبع وخمسين ومئتين في أثناء صلاة الجمعة وذلك من ثلاث نواحٍ؛ فخربها وحرقها، وقتل أهلها، ومن بقي من أهلها اختفى ذُعراً في الدّور والآبار، وكانوا يظهرون بالليل فيأخذون الكلاب؛ فيذبحونها، ويأكلونها، وكذلك الفئران والسنانير، وأخفوها حتى لم يقدروا منها على شيء، وكانوا إذا مات منهم الواحد أكلوه وعدموا مع ذلك الماء العذب[2].

وقد بكى ابن الرومي مدينة البصرة، بعد نكبتها، بقصيدة فريدة، وقد بدأها بقوله:

ذادَ عـنْ مقلتي لذيذَ المنامِ ... شغلُها عنه بالدُّموعِ السِّجامِ

أيُّ نومٍ مِنْ بعدِ ما حَلَّ بالبصـ ... ـرةِ ما حلَّ من هناتٍ عِظامِ

أيُّ نومٍ مِنْ بعدِ ما هتكَ الزّنـ ... ـجُ جهاراً محارمَ الإسلامِ

إنْ هذا من الأمورِ لأمْر ... كادَ أنْ لا يقومَ في الأوهامِ

وقد جهّز الخلفاءُ العباسيون الجيش تلْو الجيش لحرب الزنج، ولكن دون جدوى، وكان الزنج في أثناء ذلك يغيرون على القُرى المجاورة؛ فينهبون ويسرقون، ويحرقون، ويقتلون؛ وأخيراً، وفي سنة سبع وستين ومئتين جّهز الخليفة الموفق جيْشاً عظيماً، وأسند

---

(1) انظر: البداية والنهاية، ج11.

(2) مروج الذهب 4/ 119.

قيادته إلى ابنه المعتضد، فهاجم الزنج، وأوقع بهم خسائر فادحة، ثم جهّز الموفق جيشاً آخر قاده بنفسه، وقد اتخذ خطة للعفو عمّن يستسلم من الزنج، وقد نجح في خطته هذه؛ إذ استسلم كثيرون، ولما رأى أنّ الأمر سوف يطول، بنى مدينة في الجهة المقابلة لمدينة صاحب الزنج، أسماها: الموفقية، وقد جهزها بجميع المرافق والأسواق، وأخذ يناوش جيش الزنج، ويغدق الأموال والهدايا على كل مستأمن، ويجري عليه الأرزاق، ويضمه إلى جيشه، واستطاع أخيراً دخول مدينة البصرة، وكان ذلك سنة سبعين ومئتين، وقد قُتل الله منهم ما لا يحيط به الإحصاء، وغرّق منهم في النهر المعروف بجوى كور مثل ذلك وحوى أصحاب الموفق مدينة الفاسق بأسْرها، واستنقذوا مَنْ كان فيها من الأسرى من الرجال والنساء والصبيان"[1].

ثم قتل صاحب الزنج، وأحضر رأسه إلى الخليفة "فأمر الموفق برفع رأس الفاجر على قناة،ونصبه بين يديه؛ فتأمّله الناس، وعرفوا صحة الخبر بقتله، فارتفعت أصواتهم بالحمد لله"[2].

وقد قال الشعراء في ذلك أشعاراً كثيرة، من ذلك قول يحيى بن محمد الأسلمي:

أقولُ وقدْ جاءَ البشيرُ بوقعةٍ ... أعَزَّتْ من الإسلامِ ما كان واهيا

جَزى اللهُ خيرَ النّاسِ للنّاسِ بعدما

أبيح حِمَاهمْ خيرَ ما كان جازيا

تَفَرَّدَ إذْ لم ينصر اللهَ ناصِرٌ ... بتجديدِ دينٍ كان أصْبَحَ باليا

وتشديدِ مُلْكٍ قدْ وَهَى بَعْدَ عِزّهِ ... وإدْراكِ ثاراتٍ تبير الأعاديا

ورَدّ عِماراتٍ أزيلتْ وأخْرِبَتْ ... ليرجع فيْءٌ قدْ تُخُرِّمَ وافيا

ويرجِعَ أمْصارٌ أبيحَتْ وأحْرِقَتْ ... مِراراً فقدْ أمْسَتْ قِواءً عَوافِيا

ويُشفَى صدور المؤمنينَ بوقْعةٍ ... يقرُّ بها منا العيونُ البواكيا

(1) الطبري 9/ 656.

(2) نفسه.

ويُتْلَى كتابُ اللهِ في كلّ مسجدٍ ... ويُلقَى دعاءُ الطالبيّين خاسِيا
فأعَرض عنْ أحبابِهِ ونعيمِهِ ... وعنْ لذّةِ الدنيا وأقبل غازيا[1]

وبذلك تنتهي هذه الثورة التي دامت خمسة عشر عاماً.

القرامطة: ولكن ما كادت ثورة الزنج تنتهي، ويرجع أهل البصرة إلى مدينتهم، ودورهم؛ حتى تعرضت المدينة لمهاجمة القرامطة، ويبدو أنّ البصرة قد كتب عليها الشقاء، "فإنه لم يمضِ على ما لاقته من السُّوء على دعيّ العلويين أكثر من خمس عشرة سنة"[2]، وقد ابتدأ أمر القرامطة في سنة ثمان وسبعين ومئتين[3]. وفي سنة سبع وثمانين ومئتين أقبل قائدهم أبو سعيد الجنابي، يريد البصرة، فكتب واليها إلى المعتضد يخبره بالأمر؛ فأرسل إليه جيشاً بقيادة: العباس بن عمرو الغنوي، فهزمه الجنابي، وأسره، ونهب كلّ ما في المعسكر، وقتل جميع الأسرى، وحرّقهم وكان عددهم سبع مئة رجل، وقد اضطربت البصرة لذلك اضطراباً شديداً، وهمّ سكانها بالانتقال منها لخوفهم من هجوم القرامطة، ولكن واليها منعهم[4].

وفي السنة التالية، أي في سنة ثمان وثمانين ومئتين قرب القرامطة من البصرة، واشتد خوف الأهالي حتى هموا بالهرب من مدينتهم[5].

وفي سنة إحدى عشرة وثلاث مئة دخل القرامطة البصرة، وقتلوا واليها، ووضعوا السيف في أهلها، وحملوا منها الأموال والأمتعة والنساء والصبيان، ولم تسلم البصرة منهم، ومن أذاهم، إلاّ بعد موت زعيم القرامطة أبي طاهر سليمان بن الحسن الجنابي في سنة اثنتين وثلاثين وثلاث مئة إذ ضعف شأن القرامطة، واضطروا أخيراً إلى الدخول في طاعة الخلافة العباسية وكان ذلك في سنة ثمان وخمسين وثلاث مئة[6].

---

(1) نفسه 9/ 663.

(2) محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، للشيخ محمد الخضري: ص 319.

(3) الطبري 10/ 23.

(4) نفسه 10/ 78.

(5) الطبري 10/ 85.

(6) ابن الأثير 8/ 144.

وقد ابتلت البصرة – كذلك – بولاة ظالمين، وبقادة أساءوا السيرة في أهلها، ومن هؤلاء: الحسن بن الخليل بن رمال الذي تقلّد أعمال الحرب بها، حيث كانت تجري بينه وبين العامة فتن كثيرة، وفي سنة خمس وثلاث مئة، ثارت بينهم فتنة اتصلت أيّاماً كثيرة، واجتمع الجنود كلهم معه ضد سكان البصرة، وقد قتل من العامّة خلق كثير[1].

ومنهم: أبو الحسن بن يزداد الذي تولّى أمر البصرة سنة خمس وعشرين وثلاث مئة، وقد أساءَ السيرة، وظلم أهلها[2]. وقد ذهب جماعة من أهل البصرة إلى البريدي وإلى الأهواز، فوعدهم، ومنّاهم، وأنفذ إلى البصرة ألفي رجل، واستولوا عليها، ثم أمر بإسقاط بعض ما كان ابن يزداد يأخذه من أهل البصرة حتى اطمأنوا، ثم عطف عليهم، فعمل بهم أعمالاً تمنّوا معها أيام ابن يزداد، وعدّوها أعياداً، كما يقول ابن الأثير[3].

وأولاد البريدي هم: أبو عبد الله، وأبو يوسف، وأبو الحسين، وقد استولوا على الأهواز، والبصرة، وبغداد، وقد تولى أبو عبد الله البريدي أمر الوزارة في عهد المتقي لله، وكان ذلك سنة ثلاثين وثلاث مئة وقد أخذ أصحابه في النهب والسّلب، ووقعت الفتن بين الناس، وظلم الناس ظلماً لم يسمع بمثله قط، كما يقول ابن الأثير[4].

وكان أبو القاسم عبد الله بن أبي عبد الله البريدي هو آخر فردٍ من أسرة البريديين يتولّى أمر البصرة، وقد استنقذها منه: معز الدولة والمطيع لله، وهرب أبو القاسم إلى هجر، والتجأ إلى القرامطة، وكان ذلك سنة ستّ وثلاثين وثلاث مئة[5].

---

(1) الطبري 10/ 286.

(2) ابن الأثير 8/ 332.

(3) نفسه.

(4) انظر في مظالم البريديين: ابن الأثير 8/ 381 وما بعدها.

(5) نفسه 8/ 469.

- **الحالة الثقافية-**

على الرغم من هذه الحالة السياسية التي عاشتها مدينة البصرة، ولم تعرف الاستقرار في أثنائها، فقد كانت الحالة الثقافية مزدهرة فيها إلى درجة كبيرة، وقد كثر الرّوّاد من أهل الثقافة ورجال العلم. فمن رجال الشعر والأدب الذين عرفتهم البصرة في عصر شاعرنا، القاضي التنوخي أبو القاسم علي بن محمد بن داود بن فهم، وأبو الحسن محمد بن محمد بن لنكك البصري الشاعر، وهو الذي جمع ديوان الخبزأرزي، وأبو رياش الذي يقول فيه صاحب اليتيمة كان أبو رياش باقعة في حفظ أيام العرب وأنسابها، وأشعارها، غاية بل آية في هذّ دواوينها وسرد أخبارها، مع فصاحة وبيان، وإعراب وإتقان[1].

ومنهم: أبو عبد الله الحسين بن علي النمري و كان من صدور البصرة في الأدب والشعر، وقد جمع الحفظ الكثير الغزير، والعلم القويّ القويم والنظم الظريف المليح[2].

وأبو عاصم البصري، وقد روى له صاحب اليتيمة مقطوعتين طريفتين، الأولى في اقتران الهلال والثريا والزهرة، يقول فيها:

رأيت الهلال وقد أحدقته ... لنجوم الثريا لكي تسبقه
فشبهته وهو في إثرها ... وبينهما الزهرة المشرقة
بقوسٍ لرامٍ رمى طائراً ... فأتبع في إثره بندقه[3]

والثانية في اقتران الهلال والزهرة[4].

ومنهم: أبو الحسين الطاهر البصري، وقد أورد له صاحب اليتيمة عدداً من المقطوعات في الوصف والغزل[5].

---

(1) الثعالبي 2/ 351.
(2) نفسه.
(3) نفسه 2/ 368.
(4) نفسه.
(5) الثعالبي 2/ 369.

ومن العلماء الذين عرفتهم البصرة في هذا العصر: أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي[1] صاحب كتاب "الموازنة بين الطائيين" وقد اشتغل بالكتابة في مدينة البصرة، وله شعر حسن، واتساع تام في علم الشعر ومعانيه، وقد صنّف كتباً كثيرة منها: "المختلف والمؤتلف في أسماء الشعراء" وكتاب "نثر المنظوم" وكتاب "معاني شعر البحتري" وغيرها وله ديوان شعر، وقد قدم بغداد،وأخذ اللغة والنحو عن: الحسن بن سليمان الأخفش، وأبي إسحاق الزجاج، وأبي بكر بن دريد، وأبي بكر بن السراج، وقد انتهت رواية الشعر القديم والأخبار في آخر عمره بالبصرة إليه. ومن شعره في المديح قوله:

يا واحداً كان في الزّمانِ ... لا مَنْ يجاريه أو يُداني
دعني من نائلٍ جزيلٍ ... يعجزُ عن شكره لساني
فلستُ والله مستميحاً ... ولا أخا مطمعٍ تراني
وهبْ إذا كنتَ لي وَهوباً ... مِنْ بعض أخلاقك الحسانِ

ومنهم: ابن دريد أبو بكر محمد بن الحسن[2]، وقد ولد بالبصرة في خلافة المعتصم، ومات سنة إحدى وعشرين وثلاث مئة بعد أن عمرّ طويلاً، وقد تأدب، وعُلّمَ اللغة، وأشعار العرب، وقرأ على علماء البصرة، وقد روى من أخبار العرب وأشعارها ما لم يروه كثير من أهل العلم، وابن دريد هذا هو الذي انتهت إليه لغة البصريين، وقد قيل عنه: كان أحفظ الناس، وأوسعهم علماً، وأقدرهم على شعر، وما ازدهر العلم والشعر في صدر أحد ازدحامهما في صدر خلف الأحمر، وابن دريد،وتصدّر ابن دريد في العلم ستين سنة، وكان يقال: ابن دريد أشعر العلماء، وأعلم الشعراء. وقيل عنه أيضا: كان واسع الحفظ جدّا، وكانت تقرأ عليه دواوين العرب كلها أو أكثرها، فيسابق إلى إتمامها من حفظه، وما قرئ عليه ديوان شاعر إلاّ وهو يسابق إلى روايته لحفظه له.

(1) انظر ترجمته في: معجم الأدباء 8/ 75 وما بعدها، ونباه الرواة 1/ 265 وبغية الوعاة ص 218.

(2) انظر ترجمته في: معجم الأدباء 18/ 107، مروج الذهب 4/ 228 وما بعدها، وتاريخ بغداد 2/ 195 وما بعدها، مراتب النحويين 135، وخزانة الأدب 3/ 118.

ولابن دريد تصانيف كثيرة لعلّ أهمها: "الجمهرة" و"الاشتقاق" وله ديوان شعر، ومن قصائده المشهورة "المقصور والممدود" وقد قالها في مدح الأمير أبي العباس بن ميكال، وقد اشتملت هذه القصيدة على سبع وخمسين كلمة مقصورة، ومثلها ممدودة من نفس مادتها، وقد بدأها بقوله:

لا تـركننَّ إلى الهـوى　　　واحـذر مفارقـة الهـواء
يومـاً تـصير إلى الثـرى　　　ويفـوز غـيرك بـالثراء

وله القصيدة المشهورة "المقصورة" وقد مدح بها محمد ميكال والي الأهواز وابنه اسماعيل، وقد بنى قافيتها على الحرف المقصور، وهي في مئتين وخمسين بيتاً، قال صاحب الخزانة: إنّه ضمَّنها ثلث المقصور في اللغة. وقد استهلها بقوله:

يـا ظبيـة أشـبه شـيءٍ بالمهـا　　　ترعـى الخُزامـى بـين أشـجار النقـا

ومن شعره قوله في النرجس:

عيـون مـا يلـمّ بهـا الرقـادُ　　　ولا يمحـو محاسـنَها السـّهادُ
إذا مـا الليـل صـافحها اسـتهلت　　　وتـضحك حـين ينحـسرُ السـّوادُ
لهـا حـدق مـن الـذهب المـصفّى　　　صـياغةَ مـن يـدينُ لـه العبـادُ
وأجفـانٌ مـن الـدُّرِّ اسـتفادت　　　ضـياءً مثلُـهُ لا يـستفادُ
علـى قـضُب الزَّبرجـدِ في ذُراهـا　　　لأعـيُنِ مـن يلاحظُهـا مـرادُ

ومنهم: علي بن حمزة البصري اللغوي[1]، وهو أحد أعيان اللُّغة والأدب، وله ردود كثيرة على جماعة من أهل اللغة والأدب والرواية من مثل: الأصمعي والأعرابي، وابن دريد، وله كتب أخرى كثيرة، وقد روى عنه أبو الفتح بن جني شيئاً من أخبار المتنبي، وقد سكن بغداد، وتوفي سنة خمس وسبعين وثلاث مئة.

---

(1) انظر ترجمته في: معجم الأدباء 13/ 208، وبغية الوعاة ص 227.

وغير هؤلاء كثيرون ممّن حفلت بهم مدينة البصرة، التي لم تحفل بمثلهم في غير هذا العصر؛ فعلى الرغم من الحالة السياسية المضطربة التي عاشتها، فقد كانت مدينة الشعر والعلم والأدب واللغة.

الفصل الثاني

حياة الخبزأرزي

(1) نشأته: اسمه، ولقبه، ووفاته

(2) ثقافته

(3) صلته برجال عصره

الفصل الثاني

حياة الخبزأرزي

نشأته:

اسمه: نصر بن أحمد بن نصر بن مأمون البصري، وكنيته: أبو القاسم وقد اتفقت المصادر جميعها التي ترجمت له على هذه الكنية، كمروج الذهب[1] - وكان صاحبه معاصراً للخبزأرزي- وتاريخ بغداد[2]، ووفيات الأعيان[3]، والنجوم الزاهرة[4]، ومعجم الأدباء[5]، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم[6]، ولكن صاحب ذيل زهر الآداب[7] أورد كنية مختلفة؛ فقال: "وحضر أبو الحسين بن لنكك عند أبي الفتح نصر بن أحمد الخبزارزي".

أمّا لقب الخبزأرزي[8] (بضم الخاء المعجمة وسكون الباء الموحدة، وفتح الزاي وبعدها همزة ثم راء ثم زاي ثم ياء)؛ فقد أجمعت المصادر أيضاً على أنه أحرزه من حرفته؛

---

(1) المسعودي 4/ 352.

(2) الخطيب البغدادي 13/ 296.

(3) ابن خلكان 5/ 376.

(4) ابن تغري بردي 3/ 276.

(5) ياقوت الحموي 19/ 218.

(6) ابن الجوزي 6/ 329.

(7) الحصري القيرواني ص 199.

(8) وقد اشتهر شخص آخر بهذه النسبة وهو: أبو الحسين أحمد بن أحمد البزاز، المعروف بابن الخبزرزي، بغدادي، حدّث بكتب التفسير عن محمد بن جرير الطبري روى عنه يوسف بن عمر القواس، وكان ثقة، وتوفي في شوال سنة اثنتين وخمسين وثلاث مئة. انظر ابن الأثير: اللباب في تهذيب الانساب 1/ 419 وفتح الهمزة وضمها وتشديد الزاي وتخفيفها في الأرز يختلف باختلاف اللغات في هذه الكلمة، وفيها ست لغات: الأولى: بضم الهمزة والراء وتشديد الزاي والثانية، بفتح الهمزة، والباقي مثل الأولى. والثالثةأرز: بضم الهمزة وسكون الراء وتخفيف الزاي. والرابعة مثل الثالثة لكن الراء مضمومة، والخامسة رز، بضم الراء وتشديد الزاي. والسادسة: رُنْز بضم الراء وسكون النون وتخفيف الزاي، وهي لعبد القيس، وقد كرهوا التشديد فأبدلوا من الزاي الأولى نونا. انظر لسان العرب: مادة أرزورنز، وانظر وفيات الأعيان. 5 / 382

فقد كان خبّازاً يخبز الأرز بدكان له في مربد البصرة. وقد كان أمّياً لا يتهجّى، ولا يكتب[1].

كانت نشأته في مدينة البصرة، حيث خالط شعراءَها وأدباءها، ومدح ولاتها وقضاتها، ثم انتقل إلى مدينة بغداد، وأقام بها دهراً طويلا كما يقول الخطيب البغدادي، وهناك قرئ عليه ديوانه[2].

ولم تذكر المصادر شيئاً عن حياته سوى أنه كان يخبز خبزالأرز بمربد البصرة في دكان، وكان ينشد أشعاره والناس يزدحمون عليه ويتطرفون باستماع شعره، ويتعجبون من حاله وأمره[3]. وجاء في مروج الذهب "قيل إنه قد هرب من البصرة ولحق بهجر الأحساء خوفاً من البريدي"[4].

وليس لدينا أخبار عن أسرته؛ فهو لا يذكر لنا شيئا عنها في شعره، وقد ذكر صاحب اليتيمة "أنّ شاعراً بزعمه يكنى أبا طاهر انتمى إليه وورد نيسابور بأشعار تناسب دعوته، وانتحل كثيراً من محاسن السري، والخالديين،وغيرهم من المحسنين، الذين لم تقع أشعارهم بعد إلى خراسان"[5] وقد عدّ الثعالبي ذلك من النوادر[6]. وفي أبي طاهر هذا يقول أبو بكر الخوارزمي[7]:

يقولُ نصرُ أبي فقُلْتُ لَهُمْ ... عِنْدِي بهذا شهادَةٌ حَسَنَهْ

نعمْ ولكن أمّهُ حَمَلَتْ ... مِنْ بَعْدِ ما مات شَيخُهُ بِسَنَهْ

وقد عثرت في كتاب "نهاية الأرب" على بيتين من الشعر منسوبين إلى أبي طاهر هذا، وهما[8]:

وَرَوْضَةٍ رَاضَها النّدى فَغَدا ... لَها مِنَ الزهْرِ أَنجُمٌ زُهُرُ

---

(1) انظر مثلاً: يتيمة الدهر 2/ 132، ووفيات الأعيان: 5/ 376 ومعجم الأدباء 19/ 218، والنجوم الزاهرة 3/ 276.

(2) تاريخ بغداد 13/ 296.

(3) انظر: يتيمة الدهر 2/ 132، ووفيات الأعيان 5/ 376.

(4) المسعودي: 4/ 353.

(5) الثعالبي 2/ 133.

(6) نفسه.

(7) نفسه.

(8) 11/ 265.

تَنْـــشُرُ فيهـــا أَبْـــدِي الرَّبِيـــعِ لَنَـــا   مِـــنْ بَعْـــدِ مـــا مـــات شَـــيخُهُ بِـــسَنَهْ

ولكن صاحب معاهد التنصيص، يوردهما مع بيتين آخرين، وينسب الأبيات جميعها إلى الخبزأرزي نفسه[1]. ولا نجد في شعر الخبزأرزي أي ذكر لابنه هذا، أو أي فرد من أفراد أسرته.

---

(1) عبد الرحيم العباسي 2/ 6.

وفاته:

أما تاريخ وفاته؛ ففيه نظر، فقد ذكرت بعض المصادر مثل، شذرات الذهب[1]، وتاريخ ابن الوردي[2]، وتاريخ أبي الفدا[3]؛ ووفيات الأعيان أنه توفي سنة سبع عشرة وثلاث مئة، وذكر ابن خلكان أنه نقل ذلك من: تاريخ ابن الأزرق الفارقي[4]. أمّا ياقوت الحموي؛ فقد ذكر أنه توفي سنة سبع وعشرين وثلاث مئة[5].

والأرجح أنه توفي سنة ثلاثين وثلاث مئة كما ذكر صاحب النجوم الزاهرة[6] وصاحب المنتظم في أخبار الملوك والأمم[7]، وذلك للأسباب الآتية:

1- ذكر الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، أنّ أحمد بن منصور النوشري سمع منه ببغداد باب خراسان في سنة خمس وعشرين وثلاث مئة[8]. وكان عمر النوشري وقت ذاك سبع عشرة سنة إذ ولد في سنة ثمان وثلاث مئة[9].

2- أما السبب الثاني؛ فإننا نجد في ديوانه قصائد في مدح أبي الحسن محمد بن يزداد الذي تولّى البصرة سنة خمس وعشرين وثلاث مئة، ونجد في ديوانه كذلك قصيدة مطوّلة في مدح البريديين الذين تولّوا البصرة بعد ابن يزداد، ومكثوا في البصرة سنوات عديدة. وبذلك ينتفي الرأيان.

3- والسبب الثالث والأخير أن المسعودي، الذي كان معاصراً للخبزأرزي إذ توفي سنة ست وأربعين وثلاث مئة، عندما يتناهى به الكلام إلى خلافة المتقي يقول: "... فلنذكر الآن بعض من اشتهر شعره في هذا الوقت واستفاض في الناس وظهر ... فمنهم أبو القاسم

---

(1) 2/ 276.

(2) 1/ 261.

(3) 2/ 80.

(4) وفيات الأعيان 5/ 382.

(5) معجم الأدباء 19/ 218.

(6) 3/ 276.

(7) 6/ 329.

(8) 13/ 296.

(9) 5/ 155.

نصر بن أبي حمد الخبزأرزي وأكثر الغناء المحدث في وقتنا هـذا مـن شـعره[1] والمعـروف بأن المتقي لله، وهو أبو إسحاق إبراهيم بن المقتدر، قد بويع سنة تسع وعشرين وثـلاث مئة، وخُلع وسُملت عيناه سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مئة[2] وعلـى هـذا فمـن الأرجـح بأن يكون قد لبّى نداء ربّه سنة ثلاثين وثلاث مئة للهجرة.

---

(1) مروج الذهب 4/ 352.

(2) نفسه 4/ 339.

ثقافته:

على الرغم من أنّ الخبزأرزي لم يكن يعرف القراءة والكتابة فإ نّنا لجد في شعره ما يدلّ على أنه كان يلمّ بالثقافة العربية والإسلامية فنراه مثلاً يعرض لبعض الأسماء التاريخية والدينية والعلمية من مثل قوله:

صَلابَة وَجْهي في الْهَوى لو تُمَثّلَتْ   بأيامِ ذي القرنين أغْنَتْ عن السَّدّ[1]

وقوله من قصيدة أخرى:

لَوْ أنَّ ذا الْقَرْنَيْنِ في ظُلُمَاتِهِ   لاقاه يضحك لاستضاء بثغره[2]

وقوله:

فَلَوْ أنّني في غَمْرَتي حَرْبِ داحِسِ

وحَرْبِ بَسُوسٍ كانَ دون الذي عِنْدي[3]

ويكثر من ذكر الأعلام الدينية كأسماء الأنبياء مثلا، من مثل قوله:

عَلَيَّ واللهِ فيها شنّعوا كَذَبُوا   ككذبِ أولاد يعقوب على الذّئبِ[4]

وقوله:

ما جَفَاني مَنْ كَانَ لي أنْساً   أنِسْتُ شَوْقاً بِبَعْضِ أسْبَابِهْ

كمثلِ يعقوب بَعْدَ يوسُفَ إذ حَـ

ـنَّ إلى شَمّ بَعْضِ أثوابِهْ[5]

وقوله:

أهْدَيْتُ ما لو أنّ أضْعافَهُ   مُطَّرَحٌ عِنْدَكَ ما بانا

---

(1) ديوانه ص 71.

(2) ديوانه ص 184.

(3) نفسه ص 69.

(4) نفسه ص 37.

(5) نفسه ص 377.

كمثـلِ بلقـيس الـتي لَـمْ يَـبنْ   إهــداؤُها عنــد سُــلَيْمانا[1]

ومثل قوله:

فهـي بـالأمْسِ نـارُ صـالحَ كانـت   وهـي اليـوم نـارُ إبراهيمـا[2]

ومثل قوله :

كَـأنَّ يوشـعَ رَدَّ الـشّمْسَ ثانيـةً   عنـد الْتفاتتـهِ لحُـوي بمنعـرجِ[3]

وهو يشير إلى قصة يوشع، فتى موسى عليه السلام، واستيقافه الشمس. ومثل هذا كثيرٌ في شعره.

ويذكر في شعره، كذلك، أسماء النجوم والكواكب، مما يدل على أنه كان على دراية بعلم الفلك الذي كان مشتهراً في ذلك العصر، يقول من قصيدة:

كَملَت صفاتُكَ، فيكَ حُسْنُ المشتري   بـين النُّجـومِ وفيـكَ شَـكْلُ عطـاردِ

فـإذا رأيـتُ رأيـتُ شَـخْصَ مَحاسِـنٍ

وإذا اختبرت رأيت شخصَ محامـدِ[4]

ويستخدم في شعره بعض ألفاظ الفلاسفة، كما جاء في قوله:

رقّـتْ حواشـيهِ حتّـى لَـوْ يَمُـرُّ بـهِ   وَهْـمُ الـضّميرِ لِفَـرْطِ اللّـينِ لاعْتـصرا

لـو أنَّ ظِـلَّ ذبـابٍ طـار مـن بُعُـدٍ   حـاذى محاسـنَه أبقَـى لهـا أثَـرا[5]

ومثل قوله:

خَـدّان لـو نُفخـا بـالوَهْمِ لاشـتعلا

نـاراً ولـوْ قُطِّـرا مِـنْ رقَّـةٍ قَطَـرا[6]

---

(1) وفيات الأعيان 5/ 380.

(2) ديوانه ص 322.

(3) معاهد التنصيص 4/ 197.

(4) ديوانه ص 79.

(5) ديوانه ص 130.

(6) نفسه ص 130.

وكما جاء في قوله:

أنـضى الهـوى جـسدي وبـدّلني بـه
جـسداً تكـوَّنَ مـن هـوىً مُتَجَـسِّدِ

مـا زالَ إيجـادُ الهَـوى عَـدَمي إلى
أنْ صِـرْتُ لـو أعدِمْتُـهُ لَـمْ أوجَـدِ[1]

(1) مروج الذهب 4/ 352.

صلته برجال عصره:

اتصل الخبزأرزي بولاة البصرة، وقضاتها، وشعرائها، وكبار رجالاتها، وممّن تدور أسماؤهم في شعره: أبو الحسن محمد بن يزداد الذي تولّى البصرة سنة خمسٍ وعشرين وثلاث مئة، وتذكر كتب التاريخ أنه قد أساء السيرة وظلم أهلها، فاتصل أهلها بالبريدي، فأرسل جيشاًوأمره بدخول البصرة، فأنفذ ابن يزداد جماعة من عنده، ليمنعهم من دخول البصرة، فاقتتلوا، وانهزم أصحاب ابن يزداد، ودخل أصحاب البريدي البصرة، وانهزم ابن يزداد إلى الكوفة، ثم ذهب إلى دمشق، ولما دخل الإخشيد مدينة دمشق، نقله عنها إلى مصر وجعله على شرطتها[1].

ويفرد الخبزأرزي لأبي الحسن محمد بن يزداد القصائد الطوال، وهو يهلّل كثيراً لتوليه مدينة البصرة، ومن قوله في مديحه:

مِنْ بَسْطِ جَدْوَاهُ أغْنَانِي وَمَهَّدَ لي
عِنْدَ المُلوكِ بِبَسْطِ الجاهِ تَمْهِيدا

فالحمدُ لله إذْ أرْعَى رَعِيَّتَهُ
مَنْ لَيسَ إحْسانُهُ في النّاسِ مَجْحُودا

أمّا القُلوبُ فَقَدْ ألْقَتْ بأجْمِعِهَا
إلى الأميرِ ابنِ يزدادَ المَقالِيدَا

لا غَرْوَ إنْ كانَ كُلُّ النّاسِ حامِدَهُ
مَنْ لم يزلْ مُحْسِناً لا زالَ مَحْمُودا

اللهُ سَلَّ بهِ سَيفَ المهابةِ للتُّقى
واصْبَح سيفُ البَغْيِ مَغْمُودا

---

[1] انظر: الكامل لابن الأثير 8/ 405.

كَـمْ سَـرْبَلَتْ رحمـاءَ النـاسِ رَحْمَتُـهُ
وَكَـمْ تَجَـرَّدَ فِـيمَنْ كـانَ مَـرْدودا[1]

ويقول في مديحه من قصيدة أخرى:

هــذا ابْــنُ يَــزْدادَ الّــذي أيّامُــهُ كَــسَتِ الــبلادَ بَــشَاشَةً وجَمَــالا
للْبَــصْرَةِ الفَــوْزُ العَظــيمُ فأمْنُهَــا عَمَــرَ البقَــاعَ وثمَّــرَ الأمْــوالا
مَهْــدتُهَا بــالرِّفقِ مِنْــكَ وَطَالَمَــا بــالْحَرْقِ زُلْــزِلَ أهْلُهــا زِلْــزالا
فــاللهُ وقّــاهُمْ بِبَيْتِــكَ واتَّقَــوْا واللهُ بلّغَهُــمْ بِــكَ الآمــالا
فلــو اسْــتَطاعُوا أوْطــأوكَ خُــدودَهُمْ حَتّــى تكــونَ لَــكَ الخــدودُ نِعــالا
ويحَقّهــم أنْ يَــشكروا لِمُبَــارَكٍ أنْــسَاهُمُ الرّوعَــاتِ والأوجــالا
فالحمدُ للهِ الذي الـذي كَـشَفَ الـرَّدَى
بـالْيُمْنِ مِنْـكَ وَجَمَّـلَ الأحْـوالا[2]

ويبدو أنَّ الخبزأرزي كان مقرّباً من ابـن يـزداد هـذا؛ فقـد ذكـر الخالـديان في كتـاب الهدايا والتحف" أنَّ الخبزأرزي أهْدى إلى ابن يزداد والي البصرة فصّاً، وكتب معه:

أهْــدَيْتُ مــا لَــوْ أنَّ أضْــعافَهُ مُطَّــرَحٌ عِنْــدَكَ مَــا بَانَــا
كمثْــلِ بلقــيس الــتي لَــمْ يَــبِنْ إهــداؤها عِنْــد سُــلَيْمانا
هــذا امتحــانٌ لَــكَ إنْ تَرْضَــهُ بــانَ لَنَــا أنّــكَ تَرْضَــانا[3]

وعندما تحولت البصرة إلى البريديين، اتصل الخبزأرزي بهـم، وأولاد البريـدي ثلاثـة هم: أبو عبد الله، وأبو يوسف، وأبو الحسين، وكانوا قد ضمنوا الأهـواز، ثـم استولوا علـى البصرة كما تقدم، وظلموا أهلها، وبرز منهم شخص رابع، وهو أبو القاسم بن أبـي عبـد الله البريدي الذي تسلّط على البصرة بعد موت أبيه، ونازعه عمه أبـو الحـسين الـسلطة وحاربـه،

---

(1) ديوانه ص 65.
(2) ديوانه ص 290.
(3) التحف والهدايا ص 23 وانظر وفيات الأعيان 5/ 380.

فانكسر أبو الحسين، والتجأ إلى القرامطة، ثم إلى بغداد حيث قتل صبراً، فاستقل أبـو القاسـم بالبصرة، وقد طرده منها معز الدولة في سنة ست وثلاثين وثلاث مئة، فالتجـأ إلى هجـر، ثـم دخل بغداد سنة سبع وثلاثين وثلاث مئة، وأقام بها حتى توفي سنة تسع وأربعين وثلاث مئـة وشاعرنا يمدحهم مجتمعين باسم "البريديين"[1] ومن قوله في مديحهم:

ثُبْلَـى الريـاضُ وكُـلُّ روضٍ وافـدٍ ... ونَـدَى البريـديين لـيس ببـالِ
غـرّ البريـديين أحْـسَنُ مَنْظَـراً ... للنّـاس فيـه حـدائقُ الآمـالِ
إقبـالُ دَوْلَـتِهِمْ عَلَـى كُـلِّ الْـوَرَى ... متتـابعٌ بفوائِـدِ الإقْبـالِ
قَـدْ كـادتِ الأَرْزاقُ تُقْفَـلُ فـانبرتْ ... بركـاتُهُمْ بمفـاتِحِ الأَقفـالِ
وَهُـمُ الثلاثـةُ شَـبٌّ فـيهِمْ رابـعٌ ... مِـنْ ذي المعـالي وهـو جـدٌّ عـالِ
أيـامكُمْ في العـالمينَ كَأنّهـا ... مِـنْ حُـسْنِها مـصقولة بـصقالِ
عظمـتْ كفـايتُكُمْ وَجَـلَّ عَنـاؤُكُمْ ... فـيكُمْ تَـسيرُ سـوائِرُ الأمثـالِ
في الأَرضِ ذلـكَ في الـسّمواتِ العُـلا ... تُـدْعَوْنَ سـادةَ سـادَةِ العُمّـالِ[2]

وقد ذكر المسعودي في سبب وفاة الخبزأرزي "وقد أشيع بموته وأنّ البريدي غرّقه لأنّـه كان هجاه..."[3] ولم أجد له من الأشعار ما يفيد بأنه هجا أحد البريديين.

واتصل الخبزأرزي كذلك بالقاضي أبي القاسم علي بن محمـد التنـوخي الـذي تـوفي بالبصرة سنة اثنتين وأربعين وثلاث مئة ودفن بالمِرْبَد، وابنه أبو علـي المحـسن صـاحب كتـاب "نشوار المحاضرة"، وكتاب "الفرج بعد الشدة"، وعلى ما يبدو؛ فقد كان الخبزأرزي مقربا مـن أبـي القاسم هذا كما كان أبو القاسم بدوره معجباً بشعر الخبزأرزي؛ فقد كان أحـد رواة أشـعاره، جاء في نشوار المحاضرة "حدثنا القاضي التنوخي قال: أهـدى إلـيَّ نـصر بـن أحمـد الخبـزأرزي سبحة سبج، وكتب معها:

(1) ابن الأثير 8/ 469.
(2) ديوانه 305.
(3) مروج الذهب 4/ 353.

بعثـــتُ يـــا بـــدرَ بـــني يعـــربِ ... بـــسبحةٍ مِـــنْ سَـــبَجٍ معجـــبِ
يقـــولُ مـــن أبْـــصَرها طَرْفُـــهُ ... نِعْـــمَ عتـــادُ الخـــائِفِ الْمُـــذْنِبِ
لَـــمْ تُخْـــطِ إنْ فكّـــرْت في نظمهـــا ... ولونُهـــا مِـــنْ حُمّـــةِ العَقـــربِ[1]

وكان القاضي التنوخي هـذا مـن أعيان أهـل العلـم والأدب، ولـه بعـض الأشـعار الطريفة التي روتها كتب التراجم والأدب، ومن شعره:

وليلـــةِ مُـــشتاقٍ كَـــأنَّ نُجومَـــهُ ... قَدِ اغْتُصِبَتْ عَـيْني الكَـرى فَهْـيَ نُـوَّمُ
كـــأنَّ عُيـــونَ الـــسَّاهرين لِطولِهـــا ... إذا شَخَـصَتْ للأنْجُـمِ الزُّهـرِ أنْجُـمُ
كـأنَّ سَـوادَ اللّيْـلِ والفَجْـرُ ضـاحِكٌ ... يَلـــوحُ وَيَخْفَـــى أسْـــوَدٌ يَتَبَـــسَّمُ[2]

وَلَهُ:

لَـمْ أنْـسَ دَجْلَـةَ والـدُّجَى مُتَـصَوِّبٌ ... والبَـــدْرُ في أُفُـــقِ الـــسماءِ مُغَـــرِّبُ
فَكَأنَّهـــــا فِيـــــهِ بِـــــسَاطٌ أزْرَقٌ ... وَكَأنَّـــهُ فِيهـــا طِـــرازٌ مُـــذْهَبُ[3]

ولَهُ في الحكمة والموعظة:

تَخَيَّـرْ إذا مـا كُنْـتَ في الأمْـرِ مُرْسِـلاً ... فَمُبْلِـــغُ آراءِ الرِّجـــالِ رَســـولُهَا
وَرَوِّئْ وَفَكِّـــرْ في الكتـــابِ فإنَّمَـــا ... بِـأطْرافِ أقْـلامِ الرِّجـالِ عُقُولُهـا[4]

ومن قول شاعرنا في مديحه:

رَأيْـــتُ رِجـــالاً لا يُـــرامُ كَمـــالُهُمْ ... وَلَـمْ أرَ كالقاضـي التَّنـوخِيِّ كـاملا
إذا اسـتنبطَ القـومُ العلـومَ تَـشاجَرُوا ... وَأوْضَـح برهـانُ العقـول الـدلائلا

---

(1) 5/ 29.
(2) معجم الأدباء 14/ 168.
(3) نفسه 14/ 169.
(4) نفسه.

أظَلّ على فَصْلِ الخطابِ بِمَنْطِقٍ إذا جَدَّ في المعنى أصابَ المقاتلا[1]

وفي القصيدة نفسها يقول فيه أيضاً:

فَيا مَنْ أجَلَّتْهُ تنوخُ بِنَخْوَةٍ لأنَّ لَهُ فيها سَناماً وَكَاهِلا

لئنْ أنتَ جَرَّدْتَ الْعَزيمةَ في الْعُلا لقدْ جَرَّدَتْ فيها تَنوخُ المناثِلا

وإنْ يَفْضُلِ الحكامَ عِلْماً وسُؤْدداً فقد فَضَلَتْ قِدْماً تنوخُ القبائلا

قسمتَ العطايا إذْ كُنيتَ بِقَاسِمٍ لأنَّكَ تُكْنى بالذي ظِلْتَ قَائِلا

ومن الذين اتصل بهم الخبزأرزي :أبو الحسين أحمد بن الحسن بن المثنى كان والده أبو علي الحسن بن المثنى من رجال البصرة، ونشأ أبو الحسين في كنفه، ودرس الفقه على محمد بن جعفر بن بسام قاضي البصرة، وكان له محل من الأدب واللغة والشعر كبير، واشتهر بالفضل صغيراً؛ فكتب أبو خازم القاضي إلى والده الحسن بأن ينفذه إليه ليوليه القضاء فاعتذر، وزاد أمره، وارتفع نجمه، ثم فلج سنين، وتوفي في سنة أربع وثلاثين وثلاث مئة[2]، وقد روى أبو علي المحسن التنوخي صاحب نشوار المحاضرة[3] أنّ نصر بن أحمد الخبزأرزي دخل على أبي الحسين بن المثنى في أثر حريق المربد؛ فقال له أبو الحسين: يا أبا القاسم. ما قلت في حريق المربد؟

قال: ما قلت شيئاً.

فقال له: هل يحسن بك، وأنت شاعر البصرة، والمربد من أجَلّ شوارعها، وسوقه من أجلّ أسواقها، ولا تقول فيه شيئاً.

فقال: ما قلت، ولكني أنشدك ارتجالاً:

أتَتكُمْ شُهودُ الهوى تَشْهَدُ فما تَستطيعونَ أنْ تَجْحَدُوا

---

(1) ديوانه ص 293 وما بعدها.

(2) نشوار المحاضرة 3/ 146.

(3) 7/ 116.

فيـــا مربـــديون ناشَـــدْتُكُمْ   علـــى أنـــني مِـــنكُمُ مُجْهَـــدٌ
جَـرَى نَفَـسي صُـعَداً بَيْـنَكُمْ   فـأحْرق مـــن ذلِـكَ المِرْبَـدُ
وَهَاجَـتْ رِيـاحُ حنـيني لَكُـمْ   فَظَلَّـتْ بهـا نـارُهُ توقَـدُ
وَلَـوْلا جَـرَتْ أَدْمُعِـي لم يَكُـنْ   حـريقُكُم أَبَـداً يُخْمَـدُ

ولم أعثر في ديوانه على قصيدة أو مقطوعة يمدح بها أبا الحسين هذا.

وكان ابن لنكك البصري فرد البصرة وصدر أدبائها، وبدر ظرفاء زمانه، والمرجوع إليه في لطائف الأدب وظرائفه طول أيامه[1] من أكابر الرجال الذين اتصل بهم شاعرنا، وقد ذكرت معظم المصادر التي ترجمت للخبزأرزي، أنّ ابن لنكك هذا هو الذي جمع ديوان الخبزأرزي وكان ينتاب دكانه، ويسمع شعره، ويبدو أن بزوغ شمس المتنبي قد أدّى إلى أفول نجم ابن لنكك البصري، فتحول من شاعر ملح وطرائف إلى شاعر هجاء، وأول من بدأ به المتنبي، فزعم أنّ أباه كان سقّاء كما كان يقول شعراء بغداد:

قولـوا لأهـلِ زمـانٍ لا خَـلاقَ لَهُـمْ   ضَلُّوا عَنِ الرُّشْدِ مِنْ جَهْلٍ بِهِمْ وعَمُوا
أعطيـتمُ المتـنبي فَـوْقَ مُنْيَتِـهِ   فَزَوِّجـوهُ بِـرَغْمٍ أمَّهـاتِكُمُ
لكـنَّ بغـدادَ جـادَ الغيـثُ سـاكِنَها   نِعَـالُهمْ في قَفَـا السَّقَّاءِ تَـزْدَحِمُ[2]

وقال فيه:

مُتَنَبِّـيكُمُ ابْـنُ سَـقَّاء كوفـا   نَ ويُـوحَى مِـنَ الكنيـفِ إلَيْـهِ[3]

وهجا معظم شعراء عصره، من مثل الرملي الشاعر الذي يقول فيه:

حَلَـفَ الرَّمْلِـيُّ فيمـا   قَـصَّ عَنّـي وحَكَـاهْ
يَـدَّعي يَـوْمَ اصْـطَلَحْنا   أنـني قبلـتُ فَـاهْ
لَـمْ أقبِّـلْ فـاهُ لكِـنْ   قَبَّلَـتْ نَعْلـي قفـاهْ[4]

---

(1) يتيمة الدهر 2/ 116.

(2) نفسه.

(3) يتيمة الدهر 2/ 117.

(4) نفسه 2/ 121.

وأبي رياش الذي كان، كما يقول الثعالبي، "باقعة في حفظ أيام العرب وأنسابها وأشعارها، غاية بل آية في هَذّ دواوينها وسرد أخبارها، مع فصاحة وبيان، وإعراب وإتقان"[1] يقول فيه ابن لنكك:

يطيرُ إلى الطعامِ أبو رياشٍ ... مُبادَرَةً ولو واراهُ قَبْرُ
أصَابِعهُ مِنَ الحُلْواءِ صفرٌ ... ولكنّ الأخادعَ منه حمرُ[2]

وأبي الهِيذام كلاب بن حمزة، وكان ابن لنكك يتولّع به، ويبدع في هجائه كقوله:

أنتَ ابنُ كلّ البرايا لكن اقتصروا ... على اسم حمزة وصفاً غير تشميخ
كدار بطيخ تحوي كُلَّ فاكهةٍ ... وما اسمها الدهر إلاّ دار بطيخ[3]

وقال في هجاء المبرمان النحوي:

صداعٌ من كلامك يعترينا ... وَما فيه لمستمع بيانُ
مكابرةٌ ومخرقةٌ وَبهتٌ ... لقد أبْرَمْتنا يا مبرمانُ[4]

وبعد أن فرغ من هجاء الأدباء والشعراء والنحاة والفقهاء في عصره تحوّل إلى هجاء الدهر والزمان، يقول:

نحنُ واللهِ في زمانٍ غَشُومٍ ... لَوْ رأيناهُ في المنامِ فَزِعْنَا
يُصبِحُ الناسُ فيه مِنْ سوءِ حالٍ ... حقٌّ من مات منهمُ أنْ يُهَنّا[5]

وقال:

نحنُ مِنَ الدَّهْرِ في أعاجيبا ... فنسألُ اللهَ صَبْرَ أيّوبا
أقفرتِ الأرْضُ مِنْ محاسِنها ... فابكِ عليها بَكاء يَعْقُوبا[6]

(1) نفسه 2/ 120.
(2) نفسه 2/ 120.
(3) نفسه 2/ 122.
(4) يتيمة الدهر 2/ 123.
(5) نفسه 2/ 118 وانظر معجم الأدباء 19/ 6.
(6) نفسه 2/ 118 وانظر معجم الأدباء 19/ 6.

ونجد له أبياتاً أخرى في غير الهجاء، فمن ذلك قوله في طول الليل:

وَلَيْلَـــةٍ أَرَّقَــني طولُهـــا فَبِتُّهـــا في حَيْـــرَةِ الـــذّاهلِ
كأنّمـــا اشْــتُقَّتْ لإفراطِهـــا في طُولهـــا مِـــنْ أَمَـــلِ الجاهـــلِ[1]

ومن ذلك هذه الأبيات السائرة:

يَعيـــبُ النّـــاسُ كلُّهُـــم الزّمانـــا وَمَـــا لِزمانِنـــا عَيْـــبٌ سِـــوَانا
نَعيـــبُ زَمانَنَـــا والعَيْـــبُ فينـــا ولـــوْ نَطَـــقَ الزّمـــانُ إذاً هَجانـــا
ذئـــابٌ كلُّنـــا في خَلْـــقِ نـــاسٍ فَـــسُبْحانَ الـــذي فيـــه بَرانـــا
يَعـــافُ الـــذيبُ يأكُـــلَ لَحْـــمَ ذيـــبٍ ويأكـــلُ بَعـــضُنا بعـــضاً عيانـــا[2]

ويبدو أن شعره لم يكن قصائد أو مقطعات طويلة، بل كان لا يجاوز الثلاثة أو الأربعة؛ قال الثعالبي: "... وكذلك ابن لنكك إذا قال البيت والبيتين والثلاثة أغرب بما جلب، وأبدع فيما صنع، فأما إذا قصد القصيد فقلّما يفلح وينجح"[3] وذكر بأن الصاحب ابن عباد كتب على ظهر جزء من شعر ابن لنكك:

شـــعر الظريـــف ابـــن لنكـــك مهـــــــذبٌ ومحكّـــــــك
مـــــذهب ومـــــسك بمثلـــــه يتمـــــسك[4]

ومن شعر الخبزأرزي في ابن لنكك، قوله في العتاب وهو من جيّد شعره:

لِـــمَ لا تَـــرى لـــصداقتي تَـــصْديقا فينـــا وَلَـــمْ تَـــدْعُ الـــصديقَ صـــديقا؟
ذو العَقْـــلِ لا يَرْضـــى بوسْـــمِ صَـــداقةٍ حتـــى يـــرى لحقوقِهـــا تحقيقـــا
فَلِمَـــنْ يرجّـــي الحـــقُّ أنْ يُـــدْعى أخـــاً وَعَلـــى الرَّفيـــقِ بِـــأنْ يكـــونَ رفيقَـــا

(1) نفسه 2/ 126.
(2) الوافي بالوفيات 1/ 156، وتنسب هذه الأبيات مع اختلاف في الألفاظ للإمام الشافعي، انظر ديوانه ص 82.
(3) يتيمة الدهر 2/ 116.
(4) نفسه.

إنْ غـابَ غـابَ محافظـاً، أو حَـلَّ كـا

ن مُـــداعِباً أوْ قـــالَ كـــانَ صَـــدُوقا[1]

[1] مروج الذهب 4/ 352، وانظر ديوانه ص 417.

الباب الثاني

شعر الخبزأرزي

الفصل الأول: مصادر شعر الخبزأرزي، ورواته، واختلاط شعره واضطرابه

(1) مصادر شعره

(2) رواة أشعاره

(3) اختلاط شعره واضطراب روايته

الفصل الثاني: موضوعات شعره

(1) المديح
(2) الحكمة
(3) الوصف
(4) الغزل
(5) العتاب والاعتذار
(6) الهجاء
(7) التهنئة والهدايا
(8) الرثاء
(9) المجون

الفصل الثالث: خصائص شعره الفنية العامة

الفصل الرابع: ديوانه، وآراء النقاد في شعره

(1) ديوانه

(2) آراء النقاد في شعره

الفصل الأول

مصادر شعره،ورواته، واختلاطه واضطراب روايته

(1) مصادر شعره

(2) رواة أشعاره

(3) اختلاط شعره واضطراب روايته

الفصل الأول

مصادر شعره، ورواته، واختلاطه واضطراب روايته

مصادر شعر الخبزأرزي

ذكر صاحب الفهرست أنّ ديوان الخبزأرزي يقع في ثلاث مئة ورقة، أي أنّ شعر الخبزأرزي كان يبلغ ستة آلاف بيت تقريباً، غير أنني لم أجد في ديوانه إلاّ أقل من نصف هذا العدد، وقد أخذت في تتبع المصادر العربية القديمة التي حفلت بذكر ألوان من شعره لعلي أجد فيها أبياتاً ومقطوعات وقصائد لم تذكر في الديوان.

وأقدم المصادر التي روت شعراً للخبزأرزي: "مروج الذهب ومعادن الجوهر" لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي المتوفى سنة (346هـ) وكان معاصراً لشاعرنا، وقد وجدت فيه أربعة عشر بيتاً في ثلاث مقطوعات، وقد انفرد المسعودي بذكرها فلم يذكرها أحدٌ سواه؛ أما المقطوعة الأولى فتقع في بيتين هما:

أَضْنَى الْهَوى جَسدي وبَدَّلني بِهِ

جَسَداً تكوّنَ مِنْ هوىً مُتَجَسِّدِ

مَا زالَ إيجادُ الْهَوى عَدَمي إلى

أنْ صِرْتُ لَوْ أعْدِمْتُهُ لَمْ أُوجَدِ[1]

وتتكوّن المقطوعة الثانية من خمسة أبيات، وهي على ما يبدو مقتطعه من قصيدة طويلة في عتاب صديقه، وجامع ديوانه، ابن لنكك البصري الشاعر، ومطلعها:

لِمَ لا ترى لِصداقتي تصديقا

فينا ولَمْ تدعُ الصديق صَديقا[2]

---

(1) 4/ 352.

(2) نفسه.

وتقع المقطوعة الثالثة في سبعة أبيات، وهي أيضاً في العتاب، ومطلعها:

أَعَلَيْـــكَ أعْتِـــبُ أَمْ علـــى الأَيّـــامِ؟ | بـــدأتْ وكُنْـــتَ مؤكـــداً بتمـــامِ[1]

ونلتقي بعد ذلك بأهمّ كتاب روى شعراً للخبزأرزي، وهـو كتـاب المحبـوب تـأليف: السري بن أحمد الرّفاء الموصلي، المتوفى سنة 362هـ، أي بعـد وفـاة شـاعرنا بـثلاثين عامـاً، ونجد فيه أكثر من خمسين بيتاً للخبزأرزي، منها تسعة أبيات انفرد بذكرها؛ فلم يذكرها كتـاب آخر، وهي تقع في أربع مقطوعات، تتكون المقطوعة الأولى من ثلاثة أبيات، ومطلعها:

قَـــدْ قُلْـــتُ لَمّـــا أنْ نَظَـــرْ | تُ إلى الحبيـــبِ مَـــعَ العُـــداةِ[2]

أما ثلاث المقطوعات الأخرى، فتتكون كل مقطوعة منها من بيتين اثنين، مطلع الأولى:

وحُـــسْنٌ يُنمِـــنمُ ذاكَ العـــذار | كآثـــار مِـــسْكٍ عَلَيْـــهِ غُـــزِلْ[3]

ومطلع الثانية:

دُرّيـــةُ اللَّـــوْنِ فيـــه مُـــشْرَبَةٌ | حُمْـــرَةُ خَمْـــرٍ تمـــازجُ اللَّبَنَـــا[4]

أما المقطوعة الثالثة؛ فمطلعها:

جُـــدَرِيٌّ أَضَـــرَّ بالوجنـــاتِ | زادَ حُسْنَ الوجوهِ حُسْنَ الصفاتِ[5]

وسبق السري الرفاء غيره بذكر أكثر من ثلاثين بيتاً.

ونلتقي بعد ذلك بكتاب "الوساطة بين المتنبي وخصومه" للقاضي علي بن عبـد العزيـز الجرجاني (المتوفى سنة 366هـ) فنجـد فيـه بيـتين وردا في الـديوان مـع اخـتلاف في بعـض الألفاظ[6].

---

(1) 4/ 352.

(2) ص 477.

(3) ص 397.

(4) ص 540.

(5) ص 607.

(6) ص 308.

ويأتي بعد ذلك القاضي أبو علي المحسّن بن علي التنوخي (ت 384هـ) وكنت أتوقع أنْ أجد في كتابه "نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة" كثيراً من شعر الخبزأرزي؛ لأنّ شاعرنا كان مقرّباً من جدّه أبي القاسم التنوخي، وأبو القاسم هذا كان من ممدوحي شاعرنا، وكان أيضاً راوية لأشعاره، ولم أجد في "نشوار المحاضرة" سوى ثلاث مقطوعات وقصيدة، تتكوّن الأولى من ثلاثة أبيات مطلعها:

بعثْتُ يا بدْرَ بني يَعْرُبِ   بسبحةٍ من سبجٍ معجبِ[1]

وقد أرسل هذه الأبيات مع سبحة سبج هدية إلى القاضي التنوخي، وتقع المقطوعة الثانية في ثلاثة أبيات أيضاً، ومطلعها:

ما جفاني مَنْ كانَ لي أنْساً   أنِسْتُ شوقاً ببعضِ أسْبابه[2]

وتتكون المقطوعة الثالثة من خمسة أبيات، وقد قالها بديهة وارتجالاً أثر حريق مربد البصرة، وذكرها بعده معجم الأدباء، ومطلعها:

أتتكُمْ شهُودُ الْهَوى تَشْهَدُ   فَمَا تستطيعون أنْ تُجْحَدُوا[3]

أمّا القصيدة؛ فتقع في عشرين بيتاً، وهي في الحكمة والموعظة، ويبدؤها بقوله:

لسانُ الْفَتى حَتْفُ الفتى حِينَ يَجْهَلُ   وَكُلُّ امْرِئٍ مَا بَيْنَ فَكَّيْهِ مَقْتَلُ

إذا مَا لِسَانُ الْمَرْءِ أكْثَرَ هَذْرَهُ   فَذاكَ لِسَانٌ بالْبَلاءِ مُوَكَّلُ[4]

ونلتقي بعد ذلك بكتاب "التحف والهدايا" للخالديين أبي بكر محمد الخالدي المتوفى 380هـ وأبي عثمان سعيد الخالدي المتوفى 390هـ، وقد سبق كتابهما بعض المصادر في ذكر بعض الأبيات للخبزأرزي مثل قوله:

---

(1) 5/ 29.

(2) 7/ 83.

(3) 7/ 116.

(4) 7/ 103.

ثَفَــضَّلْ بــالقَبولِ علــيَّ إنّــي   بعَثْــتُ بمــا يَقِــلُّ لِعَبْــدِ عَبْــدِكْ[1]

وقد انفرد بذكر مقطوعة مكونة من خمسة أبيات قالها حين أهدى إليه ابن يـزداد ثيابـاً وطيباً ودنانير في بعض الأعياد، فقال يشكره في شعر طويل ذكر منه خمسة أبيات أولها:

فأعطيتهــا تحكــي أياديــكَ في الــورى   بياضــاً وإن كانــتْ أياديــكَ أنْــصَعا[2]

وذكر مقطوعة أخرى وردت في كتاب "المحبوب"، وهي مقطوعة كتـب بهـا إلى صـديق أهدى إليه آساً ووردًا في أول ظهوره، وأولها :

أبــدعتَ في كــلِّ المكــارمِ ســابقاً   حتــى لقــدْ أبْــدَعْتَ في إهــدائكا[3]

كما ذكر ثلاثة الأبيـات الـتي كتـب بهـا إلى القاضـي التنـوخي عنـدما أهـداه سبحة سبج[4] ووردت في كتاب نشوار المحاضرة .

ويلقانا بعد ذلك كتاب "المنصف في نقد الشعر وبيان سـرقات المتـنبي ومشكل شـعره" لأبي محمد الحسن بن علي بن وكيع التنيسي (توفي سنة 393هـ) الذي يعد مـن أهـم مـصادر شعر الخبزأرزي، إذ روى أكثر من عشرين بيتاً معظمها غير موجـود في الـديوان، وقـد انفـرد بذكر بعضها، فلم يذكرها مصدر آخر سواه مثل قول الخبزأرزي:

وَلَوْ لَـمْ يكـن بـدر الـدّجى ذا وقاحـةٍ

لَمـا كـانَ في أرضٍ بهـا أنْـتَ يَطْلُـع[5]

ومثل قوله:

مــا إنْ تَرَكْـــتُ وَدَاعَـــهُ مِـــنْ سَــلْوَةٍ

وَلَقَـــدْ جَزِعْـــتُ لِبَيْنِـــهِ وَفِراقِـــهِ

(1) ص 234

(2) ص 66

(3) ص 67

(4) ص 32

(5) ص 486.

ولكـــنْ مخافَـــةَ أنْ تُـــذِيبَ فُـــؤادَهُ

نَـــارٌ تعلّـــقُ منـــه عِنْـــدَ لقائـــه[1]

ومن الأبيات التي سبق غيره بذكرها، وذكرتها مصادر أخرى جاءت بعده، قوله:

أنَـا غائِـبٌ والْقَلْـبُ عِنْـدَكَ حاضِـرٌ

سـافَرْتُ عَنْـكَ وَمَـا الفـؤادُ مُـسَافِرُ[2]

ولم يذكر هذا البَيْت إلاّ في محاضرات الأدباء[3].

وقوله في الرثاء:

فـإنْ كـانَ لَـمْ يَحْتَـلَّ قـبراً نَـزُورُهُ فـإنَّ لَـهُ في قَلْـبِ كُـلِّ امـرئٍ قـبرا[4]

وقد ذكـر العكـبري هـذا البيـت في شـرح ديـوان المتـنبي المسمى بالتبيـان في شـرح الديوان[5].

ونلتقي بعد ذلك بآخر ثلاثة من مـصادر شـعر الخبـزأرزي، في هـذا القـرن،والأول والثاني للإمام أبي هلال العسكري (توفي سنة 395) أما الكتـاب الأول فهـو ديـوان المعـاني وقد انفرد هذا الكتاب برواية قصيدة من ثلاثة عـشر بيتـاً،وهي مـن عجيـب مـا قيـل في قلـة الطعام على المائدة ويبدؤها بقوله:

مِـنْ حَـديثي أنَّ ابْـنَ بَكْـرٍ دَعَـاني لِـــشقائي فَلَيْتَـــهُ مَـــا دَعَـــاني

غَرَّنـــي مِنْـــهُ مَنْظَـــرٌ ولِبَـــاسٌ وأثـــاثٌ ومَجْلِـــسٌ وَأوانـــي[6]

وذكر كذلك بيتين من ضمن مقطوعة من ستة أبيات ذكرتهـا مـصادر كـثيرة جـاءت بعده وهما:

قَـدْ كَـانَ لـي فيمـا مَـضَى خـاتَمٌ فـالْيَوْمَ لَـوْ شِـئْتُ تَمَنْطَقْـتُ بِـهْ

---

(1) ص 542.

(2) ص 361.

(3) 3/ 63.

(4) ص 312.

(5) 4/ 194.

(6) 1/ 297.

وَذُبْـتُ حَتّـى صِـرْتُ لَـوْ زُجَّ بـي   في مُقْلَـةِ النّـائمِ لَـمْ يَنْتَبِـهْ[1]

وروى أيضاً بيتاً في وصف الشّعر[2] وقد ذكره بعده النويري في نهاية الأرب في فنون الأدب[3]، وبيتين في معاتبة من أكل التفاح وقد وردا في الديوان[4] والكتاب الثاني هو "كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر" وقد ذكر بيتين وردا في ديوان الخبزأرزي، ولكن أبا هلال العسكري لم ينسبهما إلى أحد، وهما:

للهِ مـا صَـنَعَتْ بنـا   تلـك المحـاجِرُ في المعـاجِرْ

أمْـضَى وأنْفَـذُ في القلـو   بِ مِـنَ الخنـاجِرِ في الحنـاجِرْ[5]

والمصدر الثالث "مقامات بديع الزمان الهمذاني" المتوفى 398هـ الذي انفرد بذكر بيت من الشعر للخبزارزي لم يذكره مصدر آخر سواه[6]، وهو:

تَقَشَّعَ غَـيْمُ الهجـرِ عـنْ قَمَـرِ الحُـبِّ   وأشْرَقَ نورُ الصُّلْحِ عنْ ظُلْمَـةِ العَتْـبِ

ومع القرن الخامس الهجري، نلتقي بأهم مصادر شعر الخبزأرزي، وأعظمها فائدة لأنها تروي لنا كثيراً من شعر الخبزأرزي، وأوّل هذه المصادر كتاب "الممتع في صنعة الشعر"[7] لعبد الكريم النهشلي القيرواني، وكان أستاذاً لابن رشيق القيرواني، ويذكر اسمه كثيراً في كتابه "العمدة" وقد توفي سنة (405هـ)، ونجد في هذا الكتاب قصيدة للخبزأرزي، تقع في ثلاثة

---

(1) 272/1.

(2) 246/1.

(3) 18/2.

(4) 37/2.

(5) ص 367.

(6) ص 149.

(7) نشر الكتاب أولا بتحقيق د. المنجي الكعبي، ثم نشر مرة أخرى بتحقيق د. محمد زغلول سلام، وقد نشر الدكتور: عبده عبد العزيز قلقيلة كتابا أسماه "المقنع في أنّ "هدي كامل المبرد" ليس "الممتع"، وقد أوضح فيه أنّ الكتاب هو "هدي كامل المبرد" وليس كتاب "الممتع في صنعة الشعر" وقد نشر الدكتور محمد مصطفى هدارة مقالاً في مجلة "عالم الكتب" نقد فيه تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام نقدا شديدا – انظر المقال في عالم الكتب: المجلد الثالث، العدد الثاني، شوال 1402هـ من ص 216 إلى ص 229.

عشر بيتاً، وهي في باب: دفاع الشر بالشر، وقد انفرد "المتع بذكرها، فلم يذكرها مصدر آخر سواه، ومطلع هذه القصيدة:

فعالُكَ بي أضْحَتْ فؤادي مِنَ السُّكْرِ فَلَمْ تُبْقِ لِي إلاَّ خُماراً مِنَ الذِّكْرِ
وَلَمّا بَدَتْ راياتُ غَدْرِكَ خاذِلاً تناجَزَتْ لي خيلُ السُّلُوِّ إلى نَصْري[1]

ونلتقي بعده بخمسة مصادر "لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري (توفي سنة 429هـ) وأول هذه المصادر وأهمها "يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر" ونجد فيه قرابة الثلاثين بيتاً، ورد معظمها في الديوان، ولكنه انفرد بذكر بعض الأبيات؛ فلم يذكرها مصدر آخر سواه، مثل البيتين الآتيين:

تتجنّى عليَّ ذنباً وتُعتَلّ بأنْ قَدْ رأيْتَ مِنّي ذِلّهْ
لعنَ اللهُ قُرْبَةً لَيْسَ فيها لفتىً يَطْلُبُ التَّعِلَّةَ عِلَّهْ[2]

مثل قوله:

وَدِدْتُ أنّي بِكَفِّهِ قَلَمْ أوْ أنّني مَدَّةٌ على قَلَمِهْ
يأخُذني مَرّةً ويَلْثمُني إنْ عَلِقَتْ منه شَعْرةٌ بِفَمِهْ[3]

ونجد فيه أيضاً أبياتاً سبق غيره بروايتها، وذكرتها مصادر أخرى جاءت بعده، وعلى أية حال، فكتاب" يتيمة الدهر" يعد من الكتب المهمة في توثيق شعر الخبزأرزي.

وكتابه الثاني "خاص الخاص" الذي جاء فيه سبعة أبيات في ثلاث مقطوعات تحت عنوان: من ملح غرره،

مثل قوله:

خليليَّ هلْ أبْصَرْتُما أو سمعتُما بأكرمَ مِنْ مولىً تَمَشّى إلى عبدِ

(1) ص 291.
(2) 2/ 134.
(3) 2/ 367

أتـى زائـراً مـن غـير وعـدٍ وقـال لـي　　　أصـونُكَ مـن تعليـق قلبـكَ بالوعـــدِ

وقد ورد بعضها في الديوان، أو في يتيمة الدهر[1].

أما الكتاب الثالث، فهو "المنتحل" وجاء فيه بيتان وردا في يتيمة الدهر[2].

والكتاب الرابع: "التوفيق للتلفيق" إذ ورد فيه بيتان وردا في الديوان[3]، وأولهما:

متَهَـــوِّدٌ صـــبغَ الهـــوى لَـــوْني لَـــهُ　　　فـــأذاب جـــسمي في الهـــوى تَـــذْكارهُ

والكتاب الخامس والأخير للثعالبي "ثمار القلـوب في المـضاف والمنسوب" إذ ورد فيـه ثلاثة أبيات من قصيدة وردت في الديوان، أولها:

بـــيني وبينـــكَ يـــا ظَلُـــومُ المَوْقِـــفُ　　　الحـــاكم العـــدلُ الجـــوادُ المُنْـــصِفُ

وأرقام الأبيات التي وردت في هذا الكتاب هي: 14، 15، 16[4].

كما ورد فيه بيت مفرد للخبزأرزي[5] وهو:

ولَـــوْ جَمَـــلُ الـــسِّقايَةِ لَقَّبـــوهُ　　　بمَعْـــشوقٍ تَحَـــرَّى أخـــذَ روحـــي

وقد ورد هذا البيت مع اختلاف في الألفاظ ضمن ثلاثة أبيات غير معـزوة في حماسـة الظرفاء، وروي الشطر الثاني بصورة مختلفة .

ونلتقي بعد كتب الثعالبي بكتاب "حماسة الظرفاء من أشعار المحـدثين والقـدماء" لأبـي محمد عبد الله بن محمد العبدلكاني الزوزني، المتوفي سـنة 431هـــ ويعـد هـذا الكتـاب مـن الكتب المهمة في توثيق شعر الخبزأرزي؛ إذ نجد فيـه عـشرين بيتـاً ورد معظمهـا في الـديوان، ولكننا نجد فيه مقطوعة من ستة أبيات سبق غيره بروايتها، وقد ذكـرت بعـض المـصادر أبياتـاً منها، ومطلع هذه المقطوعة:

---

(1) ص 141

(2) ص 129

(3) ص 12

(4) ص 478

(5) ص 355

إذا كُنْتُ أَلْقَى البُؤْس عند أحِبَّتي

ترى عند أعدائي يكونُ رخائي[1]

وبعده بعامين نلتقي بالعميدي، أبي سعيد محمد بن أحمد، المتوفى سنة 433هـ وقد روى في كتابه "الإبانة عن سرقات المتنبي" قرابة الثلاثين بيتاً انفرد بذكر معظمها، فلم يذكرها مصدر آخر سواه، من مثل:

قابلتُ عُرْفَكَ وهو غيرُ مُكَدَّرٍ

بجميلِ شُكري وهو غيرُ مقترِ

فغدوْتَ ما استصغرتَ ما أوليتَهُ

ورأيتني في الشَّوْقِ كالمُتَقْصِرِ[2]

ومثل قوله:

إذا ابتسمتْ أحيَتْ نُفوساً وأطْرَبَتْ

قُلوباً وقَوَّتْ جِسْمَ كُلِّ عَليلِ

وغيرُ جميلٍ أن أعافَى وجِسْمُ مَنْ

كَلِفْتُ بهِ يَبْقَى كجسمِ عليلِ[3]

ونجد فيه بعض الأبيات التي سبق غيره بذكرها، من مثل قوله:

إنَّ نفسي تذوبُ في كُلِّ يومٍ

حَسَراتٍ ومِنْ جفوني تسيلُ[4]

(1) 1/ 185.

(2) ص 143.

(3) ص 149.

(4) ص 167.

وقوله:

وما حاجَـةُ الرَّكْـبِ الـسّراةِ إذا بـدا

لهـمْ وجْهُـهُ لـيلاً إلى طَلْعَـةِ البَـدْرِ[1]

ولم يذكر هذا البيت، والذي قبله سوى "الصبح المنبي عن حيثية المتنبي" للشيخ يوسف البديعي[2].

وبعد العميدي بثلاثة أعوام نلتقي الشريف المرتضى، علي بن الحسين الموسوي العلوي (توفي سنة 436هـ)، وقد ذكر في كتابيه: "طيف الخيال" و "الأمالي" ثلاثة أبيات، واحداً في الكتاب الأول[3]، وقد سبقته مصادر أخرى بروايته، وبيتين في كتابه الثاني[4] ذُكرا في "معجم الأدباء" لياقوت الحموي الذي توفي في القرن السابع الهجري، ولم يذكرا في مصدر آخر سواهما، وهذان البيتان هما:

فـلا تعـنّ لتحـذيف تكلّفـه   لـصورة حـسنها الأصْـليّ يكفيهـا

إنّ الـدنانير لا تُجْلـى وإن عتقـت   ولا تـزادُ علـى الـنَّقْشِ الـذي فيهـا[5]

ونلتقي بعد ذلك بكتاب "الجماهر في معرفة الجواهر" للبيروني،أبي الريحان محمد بن أحمد المتوفى 440 هـ إذ ورد فيه بيتان للخبزأرزي[6] سبقه بـذكرهما كتاب المحبوب للسري الرفاء، وأول هذين البيتين:

دُرّيّـةُ اللـونِ فيـه مـشرَبَةٌ   حُمْـرةُ خَمْـرٍ تُمـازِجُ اللبنـا

ويلقانا بعد ذلك، كتاب "أدب الدنيا والدين" للماوردي (ت سنة 450هـ)، وقد ذُكِرَ فيه بيتان انفرد بروايتهما، فلم يذكرهما مصدر آخر سواه، وهما:

صِـلْ مَـنْ دَنـا وتَنـاسَ مَـنْ بَعُـدَا   لا تُكْـرِهَنَّ علـى الهـوى أحَـدَا

---

(1) ص 99.

(2) ص 259، ص 73.

(3) ص 101.

(4) 1/ 575.

(5) 18/ 221.

(6) ص 540

قــد أكثـــرتْ حَـــوّاءُ إذْ وَلَـــدَتْ		فــإذا جَفــا وَلَــدٌ فَخُــذْ وَلَــدا[1]

ونلتقي بعد ذلك كتاب "العُمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده" لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، المتوفى سنة 456هـ، وهو قليل الأهمية بالنسبة إلى شعر الخبزأرزي؛ إذ لم يذكر إلاّ بيتين في الغلو[2]، وقد سبق ذكرهما في مصادر كثيرة.

ويلقانا بعد ذلك كتاب "تاريخ بغداد أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى سنة 463هـ" للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، المتوفى سنة 463هـ، ونجد فيه ستة وثلاثين بيتاً، وجميعها سوى ثلاثة أبيات ذكرت في الديوان، أو في مصادر أخرى سابقة، أمّا ثلاثة الأبيات التي سبق تاريخ بغداد غيره من المصادر بذكرها، فمطلعها:

كَــمْ شــهوةٍ مــستقرةٍ فرحــا		قَــدِ انْجَلَــتْ عَــنْ حُلــولِ آفــاتِ[3]

وقد ذكرت بعد ذلك في كتاب "الكُنى والألقاب"[4] لعباس القُمّي

واهم من كتاب "تاريخ بغداد" نلتقي بكتاب "بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس" لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي المتوفى في العام نفسه الذي توفي فيه البغدادي وهو 463هـ ونجد فيه بيتا ورد في الديوان، وهو:

كأنمــا الــدَّهْرُ أغــرى بَيْننــا حَــسَداً		ونعْمَــةُ اللهِ مقــرونٌ بهــا الحــسدُ

وهو العاشر في القصيدة[5].

وورد فيه خمسة أبيات من قصيدة تقع في واحد وعشرين بيتا وردت في نشوار المحاضرة للتنوخي، وأولها :

لِسانُ الفَتَى حتفُ الفتى حينَ يَجْهلُ		وكُـلُّ امـرئٍ مـا بـين فَكَّيْـهِ مقْتَـلُ

وأرقام الأبيات الواردة في بهجة المجالس: 1 – 3، 18، 20[6].

(1) ص 328.
(2) 2/ 51.
(3) 13/ 296.
(4) 2/ 304.
(5) 1/ 415
(6) 1/ 86، 439

وأورد في كتابه "جامع بيان العلم وفضله" ستة أبيات من القصيدة نفسها[1].

وانفرد بذكر مقطوعتين لم تذكرا في مصدر آخر سواه، تقع الأولى في بيتين أولهما:

وَتَعاتُبُ الإخوان فيما بينَهُمْ   بَعْثٌ على الإحلالِ والإحرامِ[2]

وتقع المقطوعة الثانية التي انفرد بذكرها في أربعة أبيات أولها :

إن كانَ لَفْظي كريها فاصْطَبِرْ فعلى   كُرْهِ العلاجِ يصحُّ اللهُ أبدانا[3]

وبعده نلتقي بكتاب "يوميات أديب" للباخرزي، علي بن الحسين بن أبي الطيب المتوفى 467هـ إذ أورد أربعة أبيات وردت في الديوان، وفي مصادر كثيرة قبله وبعده، ومطلع القصيدة التي وردت فيها تلك الأبيات:

يقولون صف حرب الرعية والجُنْدِ   وصُلحَ رجالٍ من بلال ومن سعدِ[4]

ثم نلتقي بالجرجاني المتوفى 482هـ، وكتابه "المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء" ونجد فيه بيتين وردا في مصادر أخرى سبقته، وأولهما:

قالوا عشِقْتَ صغيراً قُلْتُ أرْتَعُ في   روْضِ المحاسن حتى يُدْرَكَ الثمَرُ[5]

وقبل نهاية القرن نلتقي بأبي عبيد البكري الأونبي المتوفى 487هـ الذي ذكر في كتابه "سمط اللآلي في شرح أمالي القالي" مقطوعة تقع في أربعة أبيات أولها:

وَمِنْ طاعَتي إيَّاهُ يُمْطِرُ ناظري   إذا هو أبدى من ثناياهُ لي بَرْقا[6]

وقد نسبت في مصادر أخرى إلى غير الخبزأرزي.

وقد انفرد هذا الكتاب بذكر بيتين لم يذكرا في مصدر سواه أولهما:

كُلُّ جريحٍ تُرْجى سَلامَتُهُ   إلاَّ جريحاً دَهَتْهُ عَيْناها[7]

---

(1) 1 / 138

(2) 1 / 726

(3) 1/727

(4) ص 54

(5) ص 33

(6) 1/ 178

(7) 1/ 498

وبعده بعام نلتقي بكتاب "جذوة المقتبس في علماء الأندلس" لأبي عبد الله محمد بن فتوح الحميري المتوفى 488هـ ونعثر فيه على أبيات الخبزأرزي التي قالها في حريق المربد، وأوردها نشوار المحاضرة للتنوخي، ووردت بعد ذلك في مصادر أخرى كثيرة، والكتاب ليس بذي فائدة تذكر بالنسبة إلى شعر الخبزأرزي[1].

ونلتقي في نهاية هذا القرن بأهم مصدر لشعر الخبزأرزي على الإطلاق وهو كتاب "محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء" للراغب الأصبهاني أبي القاسم حسين بن محمد، المتوفى سنة 500 وقد ذكر قرابة الثمانين بيتاً، انفرد بذكر معظمها، فلم يذكرها مصدر آخر سواه، أو على الأقل سبق غيره بذكرها، منها على سبيل المثال قوله:

ظلمتَ سراً وتستعدي علانية ... ألهبتَ ناراً وتستعفي مِنَ اللهبِ[2]

وقوله:

رعاهُ اللهُ حيثُ غدا وسارا ... وأعْقَبَهُ الغنيمةَ والإيابا[3]

وقوله:

عجبتُ وأعجبُ مني امرؤٌ ... رأى ما رَأَيْتُ وَلَمْ يَعْجَبِ[4]

وقوله:

وذرِ الهمومَ نسيئةً ... وتعجّل اللذاتِ نَقْدا[5]

وقوله:

إذا سألوني عنك مَوَّهتُ قصتي ... وجلجتُ لِجْلاجَ الضفادعِ في البحرِ[6]

(1) ص 223

(2) 1/ 221.

(3) 2/ 412.

(4) 4/ 702.

(5) 2/ 674.

(6) 3/ 105.

ويبدأ القرن السادس الهجري، فتقل المصادر التي تروي شعر الخبزأرزي، فلا نجد سوى أربعة مصادر مات معظم أصحابها في النصف الثاني من هذا القرن، وأول هذه المصادر "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" لابن بسام المتوفى 542هـ إذ ورد فيه مقطوعة تقع في خمسة أبيات قالها الخبزأرزي ارتجالا في حريق المربد، وقد وردت في مصادر كثيرة سابقة مع اختلاف في بعض الألفاظ[1].

وثاني هذه المصادر "الأنساب" لأبي سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، المتوفى سنة 562هـ، ولا نجد فيه سوى مقطوعة تقع في خمسة أبيات[2] وردت في الديوان، وسبقته مصادر كثيرة برواياتها.

وثالث هذه المصادر "البديع في نقد الشعر" لأسامة بن منقذ المتوفى سنة 584هـ ونجد فيه عشرة أبيات للخبزأرزي، وقد ذكرت جميعها، إلا بيتاً واحداً، في الديوان أو في مصادر أخرى سابقة،والبيت الذي انفرد "البديع" بذكره هو:

ظلموك إذ عَقَدُوا لخصرِكَ مُرْهَفاً

ما للظباءِ وما لِحَمْلِ المُرْهَفِ[3]

وقبل نهاية هذا القرن بثلاثة أعوام نلتقي بالمصدر الرابع والأخير من مصادر شعر الخبزأرزي، وهو كتاب "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم" لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي، المتوفى سنة 597هـ، ولا نجد فيه سوى خمسة أبيات ذكرت في الديوان وفي مصادر أخرى سابقة.

وفي أوائل القرن السابع الهجري نلتقي بكتاب "بدائع البدائة" لعلي بن ظافر الأزدي، المتوفى سنة 613هـ ونجد فيه مقطوعتين[4].

---

(1) ق4-1 / 123

(2) 5/ 40.

(3) ص 230.

(4) 6/ 329.

تتكوّن الأولى من أربعة أبيات نظمها بناءً على طلب أبي الحسن بن المثنى أثر حريق سوق المربد[1] وقد سبق ذكرها في "نشوار المحاضرة" أما المقطوعة الثانية فتقع في خمسة أبيات[2]، وقالها رداً على صديقه ابن لنكك البصري، وقد ذكرت في الديوان وفي مصادر أخرى سابقة .ونلتقي بعده بشرح أبي البقاء العكبري لديوان أبي الطيب المتنبي المسمى "بالتبيان في شرح الديوان" وقد توفي العكبري في سنة 616. ونجد في التبيان عشرة أبيات للخبزأرزي ذكر معظمها في "المنصف في نقد الشعر" ولكنه انفرد بذكر بعض الأبيات فلم تذكر في مصدر آخر سواه من مثل قول الخبزأرزي في الهجاء:

فأنتَ في الخَلْقِ لا وَجْهٌ ولا بَدَنٌ　　　وأنتَ في الخُلْقِ لا عَقْلٌ ولا أدَبُ[3]

ويأتي بعد ذلك الشريشي أبي العبّاس أحمد بن عبد المؤمن القيسي (ت سنة 619هـ) مؤلف "شرح مقامات الحريري" الذي يروي أبياتاً عديدة للخبزأرزي، منها بيتان في الغزل وقد ذكرهما صاحب اليتيمة، وخمسة أبيات في الرد على ابن لنكك، وقد وردت في مصادر أخرى كثيرة بالإضافة إلى ورودها في الديوان، وبيت واحد في هجاء طبيب، ذكر في البديع في نقد الشعر وفي حماسة الظرفاء، ومنها بيتان في الغلو ذكرا في العمدة وفي مصادر أخرى كثيرة، وانفرد بذكر أربعة أبيات، نصفهما في عدم الحكم على الشخص بالمظهر وهما:

لاَ تَنظُرَنَّ إلى أثْوابِ مُغْتَربٍ　　　نائي المحلّ بعيد الأهل والدّارِ
وانظرْ إليهِ إذا ما قام في ملأٍ　　　يمَنْطِقٍ لذوي الألباب سحارِ[4]

والبيتان الآخران نسبا في مصادر أخرى إلى غيره،ولم ينسبهما إلى شاعرنا غيره وهما:

وَبِنَفْسي مَنْ إذا خَمَّشْتُهُ　　　نَثَرَ الْوَرْدُ عَلَيْهِ وَرَقَهْ

(1) ص 348.
(2) ص 350.
(3) 2/ 359.
(4) 2/ 201.

وإذا مَسسْتَ يسدي طُرَّتسهُ	أفلَتَستْ مِنسهُ فعسادَتْ حَلَقسهْ[1]

وبعده بسبعة أعوام نلتقي بمصدرين من مصادر شعر الخبزأرزي وهما لشهاب الدين، أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي المتوفى 628هـ وهما "معجم البلدان" الذي لم يذكر إلاّ مقطوعة واحدة قالها في حريق المربد[2]، وقد ذكرتها مصادر أخرى قبله، و"معجم الأدباء"[3] الذي ذكر تسعة عشر بيتاً ذكرت جميعها في الديوان، أو في مصادر أخرى سابقة، وهو بهذا يعدّ من مصادر توثيق شعر الخبزأرزي وبعد ذلك يأتي كتاب "اللباب في تهذيب الأنساب" لعز الدين ابن الأثير الجزري، المتوفى سنة 630هـ، ونجد فيه خمسة أبيات للخبزأرزي[4]، قالها رداً على صديقه ابن لنكك البصري، وقد ذكرتها مصادر كثيرة قبله.

وقبل نهاية القرن بتسعة عشر عاماً نلتقي بمصدر مهم من مصادر شعر الخبزأرزي وهو كتاب "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان" لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان المتوفى سنة 681.

ونجد فيه أكثر من خمسة وثلاثين بيتاً للخبزأرزي ذكر معظمها في الديوان وفي اليتيمة وفي مصادر أخرى قبله، ولكنه انفرد بذكر مقطوعة تقع الأولى في تسعة أبيات وهي في العتاب ومطلعها:

كَسمْ أقاسِسي لَسدَيْكَ قَسالاً وَقِسيلا	وعِسدَاتٍ تُتْسرَى وَمَطْسلاً مطسيلا
جُمْعَسةٌ تنقسضي وشسهرٌ يسوَلِّي	وَأمانيسكَ بُكَسرْةٌ وأصِسيلا[5]

أما المقطوعة الثانية؛ فقد قالها في غلامٍ يَلْثَغُ بالراء، ومطلعها:

وشسادنٍ بسالكَرْخِ ذِي لَثْغَسةٍ	وإنَّمسا شَسرْطِيَ في اللُّثْسغِ[6]

---

(1) 1/ 430.
(2) 4/ 484.
(3) 19/ 218 وما بعدها.
(4) 1/ 419.
(5) 5/ 377.
(6) 6/ 10.

ويبدأ القرن الثامن الهجري، فتكثر المصادر التي تورد أشعارا للخبزأرزي وأول هذه المصادر وأهمها،إن لم يكن أهم مصدر روى شعراً للخبزأرزي، كتاب الدر الفريد وبيت القصيد "لمؤلفه محمد بن أيدمر المتوفى سنة 710هـ، وقد ذكر مجموعة كبيرة من قصائد ومقطوعات وأبيات للخبزأرزي، ويهمني هنا الأشعار التي انفرد بذكرها؛ فلم يذكرها مصدر آخر سواه، ويبلغ عدد الأبيات التي رواها، ولم نعثر عليها في الديوان،أو في أي مصدر آخر سبعة وثلاثين بيتاً مثل مقطوعته البائية ومطلعها:

يا ظالماً يتجنى جئت بالعجبِ أشغبت كيما تغطي الذنب بالشغبِ[1]

وورد من هذه المقطوعة بيت واحد في محاضرات الأدباء مع اختلاف في بعض الألفاظ وهو :

ظلمت سراً وتستعدي علانيةً اضرمت ناراً وتستعفي من اللهبِ[2]

ومنها أبيات مأخوذة من قصيدة طويلة مطلعها:

ترى حُرّمت كُتْبُ الأخلاء بينهم ابنْ لي أم القرطاسُ أصبح غاليا[3]

وعدد الأبيات التي اختارها ابن أيدمر من هذه القصيدة عشرة أبيات. ومنها مقطوعة نونية تقع في أربعة أبيات مطلعها:

لي حبيب خيالهُ نصبَ عيني واسمهُ في سرائري مكنون[4]

ومنها مقطوعة دالية تقع في ثلاثة أبيات أولها:

لكَ ذنبٌ لا عذرَ عنه ولكنْ قد قبلنا شفاعةَ ابن الوليد[5]

ومنها مقطوعتان في الزهد تقع كل واحدة منهما في ثلاثة أبيات، مطلع الأولى:

---

(1) الدر الفريد وبيت القص يد – محمد بن أ يدمر – 4/ 57 نسخة مص ورة أص درها فؤاد سنركين 1410هـ-1989م عن تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت.

(2) 1 / 221

(3) نفسه 3/ 130.

(4) نفسه 5/ 15.

(5) نفسه 2/ 285، 5/ 51.

أرى النـاس في الـدُّنيا كـراعٍ تَـشَعَّبَتْ مراتعُــهُ لم يبــقَ مــنهُنَّ مرتــعُ[1]

وأول المقطوعة الثانية:

أيـا عجبـاً منـا ومـن طـولِ سَـعْينا وتـصريفنا في كُـلِّ مـا لـيس ينفـعُ[2]

ومنها هذا البيت:

وفِرْعَــــونُ يعْــــرِفُ رَبَّـــــهُ ولكــــنَّ طُغْيانَـــــهُ شَــــؤْمُهُ[3]

وهذا البيت:

إنّــي لَأعْجَــبُ مِمَّــنْ ظَـلَّ مُفْتَخِـراً بمنطــقٍ ســاقطِ الألفــاظِ هَــذَّارِ[4]

وهذا البيت:

رعــاهُ اللهُ حيــثُ غــدا وســارا وأعقبــهُ الــسلامةَ واليــسارا[5]

وروى مجموعة كبيرة من أبيات الخبزأرزي نجدها في الديوان،وفي مصادر أخرى سبقته. وثاني هذه المصادر "تاريخ أبي الفداء" للملك المؤيد إسماعيل أبي الفداء صاحب حماة المتوفى سنة 732هـ وقد ذكر أربعة أبيات قالها الخبزأرزي رداً على ابن لنكك[6]، وقد وردت في مصادر كثيرة قبله. أما المصدر الثالث فهو "نهاية الأرب في فنون الأدب" لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري المتوفى سنة 733هـ، ونجد فيه ثلاثة وثلاثين بيتاً من مثل قوله:

صِـلْ بخـدي خـدّيك تلـق عجيبـاً مــن معــانٍ يَحــارُ فيهــا الــضميرُ
فبخـــديك للربيـــع ريـــاضٌ وبخـــدّي للـــدموع غـــدير[7]

وقوله من مقطوعة:

---

(1) 4/ 230
(2) 5/ 168
(3) 5/ 288
(4) 3/ 53
(5) 2/ 35
(6) 2/ 80.
(7) 2/ 76.

أهَيَفُ يحكي بقدّه الألفا يَخسَرُ مَنْ لَمْ يكنْ به كُلِفا[1]

وقوله:

أظهَرَ الكبرياءَ مِنْ فَرْطِ زَهْوٍ فتلقَّيْتُهُ بِذُلِّ الخضوع

وحَباني ربيعُ خَدَّيْه بالوَرْ دِ فأمْطَرْتُهُ سحابَ الدموعِ[2]

أما المصدر الرابع وهو كتاب: "شرح المضنون به على غير أهله" للخزرجي شرح عبيد الله بن الكافي العبيدي المتوفى 734هـ، وقد أورد بيتين وردا في ديوانه، وهما ضمن مقطوعة من ستة أبيات، وهذان البيتان هما:

صحبتُهُ عند المساء فقال لي تهزا بقدري أو تريدُ مزاحا

فأجبتُ إشْراقُ وجهكَ غرَّني حتّى تَوَهَّمْتُ المساء صباحا[3]

ولا نجد في المصدر الخامس من مصادر هذا القرن وهو "تاريخ ابن الوردي" لصاحبه زين الدين عمر بن الوردي المتوفى سنة 749 هـ سوى الأبيات التي قالها الخبزارزي رداً على صديقه ابن لنكك البصري[4] وقد وردت في مصادر كثيرة سابقة .

والمصدر السادس هو كتاب "نصرة الثائر على المثل السائر" لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي المتوفى 764هـ إذ ورد فيه ثلاثة أبيات وردت في الديوان ضمن مقطوعة من خمسة أبيات أولها:

إنّي لأحْسُدُ مُقْلَتَيَّ عليكا حتّى أغُضَّ إذا نظرتْ إليكا[5]

ويحسب لهذا الكتاب أنه انفرد بذكر بيتين قالهما في زهر النيلوفر هما:

خافَ المَلالَ إذا طالتْ إقامَتُهُ فصارَ يَظْهَرُ أحْياناً ويحتجِبُ

---

(1) 2/ 101.

(2) 2/ 76.

(3) ص 325

(4) 1 / 261

(5) ص 279

كأنــهُ حــين يبــدو مــن مَطالِعِـــــهِ   صَـبٌّ يُقَبِّـلُ حِبّـاً وهــو يرتقــبُ[1]

ونلتقي بعد ذلك بكتاب "مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان" لليافعي، أبي محمد عبد الله بن أسعد بن سليمان المتوفى 768هـ الذي أورد مقطوعة تقع في ثلاثة أبيات وردت في مصادر قبله[2].

كما وردت فيه أربعة أبيات وردت ضمن قصيدة في الديوان، ووردت هذه الأبيات في مصادر سابقة[3].

ونلتقي بعد ذلك بكتاب "نزهة الأبصار في محاسن الأشعار" لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد العنابي المتوفى 776هـ، و"ديوان الصبابة" لابن ابي حجلة المغربي المتوفى في السنة نفسها، وقد انفرد الكتاب الأول بإيراد مقطوعة مكونة من ثمانية أبيات أولها:

اعلــمْ بــأنَّ صـــداقةَ الأحـــرار   أن تجعــلَ الإعــلانَ كالإسْــرارِ[4]

وذكر بيتين وردا في الديوان[5] كما ورد فيه بيتان هما الأول والثاني من مقطوعة وردت في الديوان مكونة من ستة أبيات وأولهما:

أهلُ الغـرامِ إذا مـا اسـتُعْطِفوا عطفـوا   والحر يغضي ويعفـو وهـو مُعْتَـرفُ[6]

أما الكتاب الثاني، وهو "ديوان الصبابة"، فقد أورد بيتين نسبا إلى الخبزأرزي سبق ذكرهما في مصادر سابقة[7].

وترجع أهمية هذا الكتاب إلى أنه انفرد بذكر مقطوعة من ثلاثة أبيات لم نجدها في مصدر آخر سواه، وأول هذه الأبيات:

---

(1) ص 230
(2) 2/ 267
(3) 2/ 275
(4) ص 150
(5) ص 222
(6) ص 88
(7) ص 257

ولكـــنَّ أرواحَ المحـــبين تلْتقـــي		إذا كانـت الأجـسادُ عـنهُنَّ نُوَّمـا[1]

ولا نلتقي في النصف الأول من القرن التاسع الهجري بأي مصدر من مصادر شعر الخبزأرزي، وفي النصف الثاني من القرن نلتقي بمصدر واحد فقط، وهو النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي المتوفي سنة 874هـ، ونجد فيه عشرين بيتاً للخبزأرزي[2] ذكرت جميعها في مصادر سابقة؛ فهو يعد مصدراً من مصادر توثيق شعر الخبزأرزي.

وفي النصف الأول من القرن العاشر الهجري نلتقي بكتاب "إتحاف النبلاء" لجلال الدين السيوطي المتوفى 911هـ الذي برغم تأخره انفرد بذكر بيتين للخبزأرزي هما:

شـكوتُ جلـوسَ إنـسان ثقيـــل		فجـــاوبني بمـــن هـــو أثقـــلْ

فكنـتُ كمـن شـكا الطـاعون يومـا		فـــزادوه مـــع الطـــاعون دُمَّـــل[3]

وفي النصف الثاني من القرن العاشر الهجري يلقانا مصدر مهم من مصادر شعر الخبزأرزي: وهو "معاهد التنصيص على شواهد التلخيص" لمؤلفه عبد الرّحيم بن أحمد العباسي، المتوفى سنة 963 وقد ذكر اثني عشر بيتاً للخبزأرزي، ونسب بيتين وردا في ديوان الخبزأرزي إلى المظفر بن كيغلغ[4]، وترجع أهمية هذا المصدر إلى أنه انفرد بذكر سبعة أبيات لم يذكرها مصدر آخر سواه، منها أربعة أبيات في وصف الشقائق[5] ورد بيتان منها في نهاية الأرب[6] ونسبا فيه لابنه أبي طاهر بن الخبزأرزي ومطلع هذه الأبيات:

وَرَوْضَـــةٍ رَاضَـــها النّـــدى فَغَـــدَتْ		لهـــا مِـــنَ الزّهْـــرِ أنْجُـــمٌ زُهْـــرُ

وثلاثة أبيات ألمح فيها إلى قصة يوشع بن نون، فتى موسى عليه السلام، واستيقافه الشمس[7]، وبيتان في رجل اسمه سحبان[8].

(1) ص 15
(2) 3/ 276 وما بعدها.
(3) مجلة عالم الكتب بالرياض نيسان 1983م ص 92
(4) 3/ 29.
(5) 2/ 6.
(6) 11/ 265.
(7) 4/ 197.
(8) 3/ 241.

وفي القرن الحادي عشر نلتقي بثلاثة مصادر من مصادر شعر الخبزأرزي، وأول هذه المصادر كتاب "الكشكول" لبهاء الدين العاملي المتوفى سنة 1031هـ، ونجد فيه خمسة أبيات قالها شاعرنا رداً على صديقه ا بن لنكك[1]، وقد وردت في مصادر أخرى سابقة.

ويذكر المصدر الثاني وهو "الصبح المنبي عن حيثية المتنبي" للشيخ يوسف البديعي المتوفى سنة 1073هـ، أربعة عشر بيتاً للخبزأرزي ورد معظمها في "الإبانة عن سرقات المتنبي" وفي "المنصف في نقد الشعر" وشرح ديوان المتنبي للعكبري ولكنه انفرد بذكر بعض الأبيات، لم يذكرها مصدر آخر سواه، منها ثلاثة أبيات تقع في مقطوعة واحدة مطلعها:

وشادنٍ زرتُه فرحَّب بي ترحيبَ جانٍ على مواليهِ[2]

أما المصدر الثالث فهو " شذرات الذهب في أخبار من ذهب" لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي المتوفى سنة 1089هـ، وقد روى أربعة أبيات[3] وردت في مصادر كثيرة قبله.

ونلتقي في القرن الثاني عشر الهجري بمصدر واحد فقط من مصادر شعر الخبزأرزي، وقد روى ثلاثة عشر بيتاً ذكرت كلها في الديوان،وفي مصادر أُخرى سابقة، فهو يعد مصدراً من مصادر توثيق شعر الخبزأرزي، وهذا المصدر هو: "أنوار الربيع في ألوان البديع"[4] للسيد علي صدر الدين بن معصوم المدني المتوفى سنة 1120هـ.

ولست ادّعي أنني استطعت حصر ما ورد في المصادر جميعها من شعر الخبزأرزي، وربما يكون قد فاتني شعر له سهوت عنه، بالإضافة إلى أنّ كثيراً من مصادرنا العربية ما زال مخطوطاً في مختلف مكتبات العالم، ولكنني بحثت ما وسعني البحث في جميع المصادر التي بين أيدينا، ولم أوفر – في ذلك – الجهد والطاقة.

---

(1) 2/ 314.

(2) ص 253.

(3) 2/ 276.

(4) 4/ 98، 267.

رواة أشعاره

روى عن الخبزأرزي قصائد ومقطعات من شعره جماعة من العلماء والرواة منهم: المعافى بن زكريا الجريري النهرواني المعروف بابن طرار الإمام المشهور، وهو من أتباع مذهب محمد بن جرير الطبري[1]، جاء في تاريخ بغداد[2]: أخبرنا محمد بن علي بن مخلد الوراق، أخبرنا المعافى زكريا الجريري، بالنهروان، قال: أنشدنا نصر بن أحمد الخبزأرزي لنفسه:

بِأبي أنْتَ مِنْ ملولٍ ألوفٍ ... رُضْتَني بالأمانِ والتخويفِ
حَارَ عَقْلي في حُكْمِكَ الجائر العد ... لِ وفي خلقك الجليلِ اللطيفِ
أنْتَ بالخَصْرِ والمؤزر تحكي ... قُوّةَ الشّوقِ بالفؤادِ الضّعيفِ
لَيْسَ عَنْ خِبْرَةٍ وَصَفْتُكَ لكنْ ... حركات دَلَّتْ على الموصوفِ
لَكَ وَجْهٌ كَأنّهُ البَدْرُ في التّـ ... ـمّ عليهِ تَطرُّقٌ مِنْ كسوفِ

وأحمد بن منصور بن محمد بن حاتم أبو بكر الوّراق المعروف بالنّوشري، وكان ثقة، وكان أول سماعه عن ابن صاعد في سنة ثماني عشرة وثلاث مئة ومات في يوم الجمعة الثاني عشر من محرم سنة ثمان وثمانين وثلاث مئة روى الخطيب البغدادي قال: أخبرنا أبو القاسم الأزهري،وعلي بن أبي علي البصري، قالا: أنشدنا أحمد بن منصور الورّاق، قال: أنشدنا نصر الخبزأرزي لنفسه:

لسانُ الْفَتى خنق الفتى حين يجهلُ ... وكُلُّ امرئٍ ما بَيْنَ فَكَّيْهِ مَقْتَلُ
إذا مَا لسانُ المرءِ أكْثَرُ هَذْرَهُ ... فَذَاكَ لِسانٌ بالبلاءِ مُوكَّلُ
وَكَمْ فاتحٍ أبواب شَرٌّ لِنَفْسِهِ ... إذا لَمْ يَكُنْ قُفْلٌ على فيه مقفلُ
كذا مَنْ رَمَى يَوْماً شرارات لفظهِ ... تُلَقّتهُ نيرانُ الجْوابَاتِ تُشْعِلُ[3]

(1) اللباب 1/ 275.
(2) 13/ 296 وما بعدها.
(3) 13/ 297 وما بعدها.

ومنهم: محمد بن أحمد أبو الحسن الأخباري، سكن الشام، وحدّث بطرابلس عن مجموعة من العلماء، وروى عنه مجموعة من العلماء والرواة، روى الخطيب البغدادي قال: أنشدنا التنوخي، قال: أنشدنا أحمد بن محمد بن العباس الأخباري، قال: أنشدنا نصر بن أحمد الخباز البصري لنفسه:

لَمّا جَفَاني مَنْ كانَ لي أُنساً أَنِسْتُ شَوْقاً ببعض أسْبابهْ

كمثلِ يعقوب بعد يوسف إذ حَنْـــ ـــنَ إلى شَمِّ بَعْضِ أثوابِهْ

دَخَلْتُ بَابَ الْهَوَى وَلِي بَصَرٌ وَفي خُروجي عميتُ عن بابِهْ[1]

ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد الأكفاني البصري، روى الخطيب البغدادي قال: حدثنا أبو منصور محمد بن محمد بن أحمد بن الحسين بن عبد العزيز العكبري – لفظاً – قال: أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد المالكي النضري – بعكبرا -أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد الأكفاني البصري، قال: خرجت مع عمي أبي عبد الله الأكفاني الشاعر وأبي الحسين ابن لنكك، وأبي عبد الله المفجع، وأبي الحسن السياك في بطالة عيد، وأنا يومئذ صبي أصحبهم، فمشوا حتى انتهوا إلى نصر بن أحمد الخبزأرزي، وهوجالس يخبز على طابقه، فجلست الجماعة عنده يهنون بالعيد، ويتعرفون خبره، وهو يوقد الشعلة تحت الطابق، فزاد في الوقود، فدخنهم، فنهضت الجماعة عند تزايد الدّخان فقال نصر بن احمد لأبي الحسين بن لنكك: متى أراك يا أبا الحسين ؟ فقال له أبو الحسين: إذا اتسخت ثيابي، وكانت ثيابه يومئذ جدداً من أنقى ما يكون من البياض للتجمل بها في العيد، فمشينا في سكة بني سمرة حتى انتهينا إلى دار أحمد بن المثنى، فجلس أبو الحسين بن لنكك،وقال يا أصحابنا، إنّ نصراً لا يُخلي هذا المجلس الذي مضى لنا معه من شيء يقول فيه، ونحب أنْ نبدأه قبل أن يبدأ بنا، واستدعى دواة وكتب:

---

[1] 13/ 296.

لنـصرٍ في فـؤادي فَـرْطُ حُـبٍّ أُنيـفُ بـه عَلـى كُـلِّ الـصِّحابِ
أتَيْنــاهُ فَبخَّرنــا بَخُــوراً مِـنَ الـسَّعْفِ المُـدَخِّنِ للثِّيـابِ
فَقُمْـتُ مُبـادِراً وَظَنَنْـتُ نَـصْراً أرادَ بِـذاكَ طَـرْدي أوْ ذَهـابي
فقـال: متـى أراكَ أبـا حُـسَيْنٍ؟ فَقُلْـتُ لَـهُ: إذا اتَّـسَخَتْ ثيـابي

فأنفذ الأبيات إلى نصر، فأملى جوابها، فقرأناها، فإذا هو قد أجاب:

مَنَحْـتُ أبـا الحُـسَيْنِ صَـميمَ وُدّي فَـداعَبَني بِألْفَـاظٍ عِـذابِ
أتَـى وثِيابُـهُ كقـتير شَـيْبٍ فَعُـدْنَ لَـهُ كَرَيْعَـانِ الـشَّبابِ
ظَنَنْـتُ جلوسَـهُ عِنْـدي كَعُـرْسٍ فَجِئْـتُ لَـهُ بِتَمْـسيكِ الثِّيـابِ
فَقُلْـتُ: مَتَـى أرَاكَ أبـا حُـسَيْنٍ؟ فَجـاوَبَني: إذا اتَّـسخَتْ ثيـابي
فـإنْ كـانَ التَعَـزُّزُ فيـهِ فَخْـرٌ فَلِـمْ يُكْنـى الوَصِـيُّ أبـا تُـرَابِ[1]

ومنهم أحمد بن محمد بن عمران، جاء في تاريخ بغداد: وأخبرنا ابن مخلد أخبرنا أحمد ابن محمد بن عمران، قال: أنشدنا نصر بن أحمد الخبزأرزي:

كَـمْ شـهوةٍ مـستقرة فرحـا قَـدِ انْجَلَـتْ عَـنْ حُلُـولِ آفـاتِ
وكـم جَهُـولٍ تَـراهُ مُـشْتَرِياً سُـرورَ وَقْـتٍ بِغَـمِّ أوْقـاتِ
كَـمْ شَـهَواتٍ سَـلَبْنَ صَـاحِبَها ثَـوبَ الـدِّياناتِ والمـروءاتِ

ومنهم عبد السميع بن محمد الهاشمي، روى صاحب يتيمة الدهر قال: وأنشدني أبو القاسم الحسين بن محمد بن حبيب المذكور، قال: أنشدني عبد السميع بن محمد الهاشمي، قال: أنشدني نصر بن أحمد الخبزأرزي لنفسه:

شـاقني الأهـلُ لم تـشقني الـدّيار والهَـوى صَـائِرٌ إلى حَيْـثُ صَـارُوا
جـيرةٌ فـرقتهم غربـةُ البَـيْن وبَـينَ القُلـوبِ ذاكَ الجِـوارُ
كَـمْ أنـاسٍ رَعَـوْا لنـا حـينَ غـابُوا وأنـاسٌ جَفَـوْا وَهُـمْ حُـضَّارُ
عَرَضُـوا ثُـمَّ أعْرَضـوا، واسْـتمالُوا ثُـمَّ مـالُوا، وأنْـصَفُوا ثُـمَّ جَـارُوا

---

(1) 13/ 298 وما بعدها.

لا تلُمْهُمْ عَلى التّجني فلَوْ لَمْ يَتَجَنّوا لَمْ يحسنِ الاعتذارُ[1]

ومن رواة أشعاره أيضاً، أبو حفص عمر بن علي الفقيه الذي أنشد الثعالبي صاحب اليتيمة عنه هذين البيتين:

وَرْدُ الْخُدودِ وَرُمَّانُ النُّهودِ وأغـ ـصَانُ الْقُدودِ تُصِيدُ السَّادَةَ الصّيدا

شَرْطي إِذا مَا رَأَيتُ الْخَصْرَ مختصراً والرّدْف مُرْتدفاً والْقَدّ مقدوداً[2]

ومنهم كذلك، أبو الحسن بن الجندي، وقد ذكره الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد[3]، في ترجمة الخبزأرزي.

---

(1) الثعالبي 2/ 134.

(2) 2/ 134.

(3) 13/ 296.

اختلاط شعر الخبزأرزي

واضطراب روايته

ونظرة فاحصة إلى ديوان الخبزأرزي وإلى الشعر الذي روته المصادر نلاحظ اختلاط هذا الشعر واضطراب روايته، ولعلّ أبرز مظاهر هذا الاختلاط ما يلي:

المظهر الأول: اختلاف رسم الألفاظ ونظامها، ويرجع هذا في الغالب، إلى التصحيف والتحريف، ومن نماذجه قول الخبزأرزي:

لَهُ مُقْلَةٌ مُذْ غِبْتَ لَمْ تطعم الكرى
وَقَلْبٌ عَلَى حَمْزِ الغَضا يَتَقَلَّبُ[1]

والصواب: جَمْر.

وقوله:

لا تلُمْني إنْ ضاق عفوكَ عني
في لهوى أنْ يَضيقَ بالشَّوْقِ صدري[2]

والصواب: فالهوى.

وقوله:

فمن عينك الكحلا كانتْ بَلِيّتي
فيويلاه من عنج بها وفتور[3]

والصواب: الكحلاء .... فويلاه

وقوله:

يا مبتدعاً قتل النفوس جهارا
أشْعَلْتَ بَيْنَ حَشا الجوانح نارا[4]

والصواب: مبدعاً.

ومن ذلك قوله:

---

(1) ديوانه ص 24.

(2) نفسه ص 145.

(3) نفسه ص 173.

(4) نفسه ص 125.

كأنمـــا الحـــــسن في خــــدّه ـــــ مـــاءُ النـــدى يمـــزجُ بـــالخمرِ[1]

والصواب: كأنّ ماءَ.

وقوله:

كـــذاك الرعـــا تـــسيءُ الظنـــون ـــــ إذا مـــا الـــذئابُ خَلَـــتْ بـــالغنم[2]

والصواب: الرعاة.

وقوله:

فلـم تحـسبنّ الفـضل في الحلـم وحـده ـــــ بل الجهلُ في بعضِ الأحايين أفضلُ[3]

والصواب: فلا

وقوله:

أريــت مـــودّتكم علـــى الأيـــامِ ـــــ فـــترى الاخـــا لفـــترة الإســـلامِ[4]

والصواب: فَتْر الإخاءُ.

والأمثلة على هذا المظهر أكثر من أضن تحصى أو تُعدّ، ولا داعي للإكثار منها، فهي ظاهرة شائعة في كتبنا العربية المطبوعة منها والمخطوطة سواء بسواء.

المظهر الثاني: الاختلاط في رواية ألفاظ شعر الخبزأرزي، والأمثلة على هـذا المظهـر كثيرة، وأنا أسوق بعضها للتدليل على ما أقول، فقد جاء في يتيمة الدهر[5]: وكان ابن لنكـك – على ارتفاع مقداره – ينتاب دكّانه ويسمع شعره. فحضره يوماً وعليه ثياب بـيض فـاخرة، فتأذّى بالدخان وساء أثره على ثيابه، فانصرف وكتب إليه:

لنـــصرٍ في فـــؤادي فـــرطُ حُـــبٍّ ـــــ ينيـــف بـــهِ علـــى كُـــلِّ الـــصّحابِ

أتينــــــاهُ فبخّرنــــــا بخــــــوراً ـــــ مِـــنَ الـــسعفِ المـــدخّن بالتهـــابِ

---

(1) ديوانه ص 151.

(2) نفسه ص 312.

(3) نفسه ص 462 وانظر تاريخ بغداد 13/ 297.

(4) نفسه ص 327.

(5) 2/ 132.

فقمـــتُ مُبـــادراً وحـــسبتُ نـــصراً يريـــد بـــذاك طـــردي أوْ ذهـــابي
فقـــال: متـــى أراك أبـــا حُـــسَيْنٍ فَقُلْـــتُ لـــه: إذا اتّـــسَخَتْ ثيـــابي

فلما قرئت عليه الرّقعة التي فيها هذه الأبيات، أملى على مَنْ كتب له في ظهرها هذه الأبيات:

منحـــتُ أبـــا الحـــسين صـــميمَ ودّي فَـــداعَبَني بِألْفـــاظٍ عِـــذابِ
أتـــى وثيابُـــهُ كالـــشَّيْبِ لَوْنـــاً فَعُـــدْنَ لـــه كَرَيْعَـــان الـــشبابِ
وَبُغْـــضٌ لِلْمَـــشيبِ أعَـــدُّ عِنْـــدي سَـــواداً لَوْنُـــهُ لَـــوْن الخـــضابِ
فـــإنْ يَكُـــنِ التَّقَـــزُزُ فيـــه فَخـــراً فلـــم يكنـــى الوصـــيُّ أبـــا تـــرابِ

وقد جاءَت أبيات الخبزأرزي في "تاريخ بغداد"[1] على الصّورة الآتية:

مَنَحْـــتُ أبـــا الحـــسين صـــميمَ وُدّي فَـــداعبني بألْفـــاظٍ عِـــذابِ
أتـــى وثيابُـــهُ كقـــتيرِ شَـــيْبٍ فَعُـــدْنَ لـــه كَرَيْعـــانِ الـــشَّبابِ
ظَنَنْـــتُ جُلوسَـــهُ عنـــدي كعُـــرْسٍ فجئـــتُ لَـــهُ بِتَمْـــسيكِ الثيـــابِ
فَقُلْـــتُ: متـــى أراكَ أبَـــا حُـــسَيْنٍ؟ فَجَـــاوَبَني إذا اتَّـــسَخَتْ ثِيـــابي
فـــإنْ كـــانَ التَّعـــزُّزُ فيـــهِ فَخْـــرٌ فَلِـــمْ يُكْنَـــى الوَصِـــيُّ أبَـــا تُـــرابِ

ورواها ياقوت الحموي[2] على هذه الصورة:

مَنَحْـــتُ أبـــا الحـــسين صـــميمَ وُدّي فَـــداعبني بألْفـــاظٍ عِـــذابِ
أتـــى وثيابُـــهُ كالـــشَّيْبِ بِـــيضٌ فَعُـــدْنَ لـــه كَرَيْعـــانِ الـــشَّبابِ
وَبُغْـــضي لِلْمـــشيبِ أعَـــدَّ عِنـــدْي سَـــواداً لَوْنُـــهُ لَـــوْنُ الخِـــضابِ
ظَنَنْـــتُ جُلُوسَـــهُ عنـــدي لِعُـــرْسٍ فَجُـــدْتُ لَـــهُ بِتَمْـــسيكِ الثيـــابِ
وقلـــتُ: متـــى أراكَ أبَـــا حُـــسَيْنٍ؟ فَجَـــاوَبَني إذا اتَّـــسَخَتْ ثِيـــابي
ولـــو كـــانَ التَّقَـــزُّزُ فيـــهِ خَيْـــرٌ لَمَـــا كُنِـــيَ الوَصِـــيُّ أبَـــا تُـــرابِ

(1) 13/ 298.
(2) معجم الأدباء 19/ 218.

ونجد هاتين الروايتين تختلفان عن رواية صاحب بدائع البدائة[1] الذي أوردَها على الصورة الآتية:

مَنَحْتُ أبا الحسين صميمَ وُدّي | فَداعبني بألْفاظٍ عِذابِ
ظَنَنْتُ جُلوسَهُ عندي كعُرْسٍ | فجئتُ لَهُ بِتَمْسيكِ الثيابِ
وَقُلْتُ: متى أراكَ أَبَا حُسَيْنٍ؟ | فَجَاوَبَني إذا اتَّسَخَتْ ثِيابي
فإنْ كانَ التَّقَذُّرُ فيهِ فَخْرٌ | فَلِمْ يُكْنَى الوَصِيُّ أَبَا تُرابِ

وتختلف هذه الروايات في قليل أو كثير عن رواية الديوان[2] ووفيات الأعيان[3] وشرح مقامات الحريري[4] واللباب في تهذيب الأنساب[5] وغيرها، ومثل آخر على هذا المظهر من مظاهر اختلاط شعر الخبزأرزي، قوله في الغيرة:

إِنّي لأَحسدُ مُقْلَتَيَّ عَلَيْكا | حتّى أغضُّ إذا نظرتُ إليكا
ما زالَ يَنْظُرُ في شمائِلكَ التي | هي فتنتي فَأَغارُ مِنْكَ عليكا
منْ لطِفْ إشفاقي ودقة عَبْرتي | أنّي أغارُ عَلَيْكَ مِنْ عَيْنَيْكا
ولو استطعت جرحتُ لفظك غيرتي | إني أراهُ مُقَبّلاً شفتيكا
خلص الهوى لَكَ واصطفتكَ مودتي | حتى حذرتُ عليكَ مِنْ أَبَوَيْكا

وهي رواية الديوان[6].

وقد جاءَت الأبيات في "حماسة الظرفاء"[7] على الصورة الآتية:

إِنّي لأَحسدُ ناظريَّ عَلَيْكا | حتّى أغضُّ إذا نظرتُ إليكا
وأراكَ تَخْطُرُ في شمائلك التي | هِيَ حَسْرَتي فأغارُ مِنْكَ عَلَيْكا

---

(1) علي بن ظافر الأزدي ص 350.
(2) ص 18.
(3) ابن خلكان 5/ 376.
(4) 4/ 221.
(5) 11/ 419.
(6) ص 267.
(7) 2/ 140.

ولو استطعت جرحتُ لفظك عامداً		إنـــــي أراهُ مُقَـــبّلاً شـــفتيكا
خلص الهوى لَكَ واصطفتكَ مودتي		وغـدوتُ مِـنْ حبيك طـوعَ يـديكا
مِـنْ فَـرْطِ إشـفاقي وَرِقّـةِ غَيْرَتـي		إنّـي أغـارُ عليـكَ مِـنْ مَلَكَيْكَـا
ولـو استطعتُ حجبتُ لفظك غيْرةً		إنـــي أراهُ مُقَـــبّلاً شَـــفَتَيكا

ولـو استطعتُ حجبْتُ لفظَكَ غَيْرَةً		إنـــي أراهُ مُقَـــبِّلاً شَـــفَتَيْكا

وقد جاءَ البيتان الخامس والثالث في الوساطة بين المتنبي وخصومه[1] على هذه الصورة:

مـنْ لطِـفْ إشـفاقي ودقـة عَبْرتـي		أنّـي أغـارُ عَلَيْـكَ مِـنْ عَيْنَيْكـا
ولو استطعت جرحتُ لفظك غيرةً		إنــــي أراهُ مُقَـــبّلاً شـــفتيكا

وجاءَا في الإبانة عن سرقات المتني[2] كما يلي:

مِـنْ فَـرْطِ إشـفاقي ورقّـةِ عَبْرَتـي		انـي أغـارُ عليـكَ مِـنْ مَلَكَيْكَـا
ولـو اسْتَطَعْتُ حجبتُ لفظكَ غَيْرةً		إنّـــي آراهُ مُقـــبّلاً شـــفَتيكا

ومثل ذلك أيضاً هذه الأبيات وهي من ضمن قصيدة وردت في الديوان[3]:

أحَـبٌ فمـن ذا الّـذي أخْلَفَـهْ		ومَـلٌ فَمَـنْ ذا الّـذي اسْـتَعْطَفَهْ
فـلا أحَـدٌ في الرِّضـى سـاءَهُ		وَلاَ أحَـدٌ في القِلَـى عَنَّفَـهْ
وكـانَ ذكيـاً كمـا قـد علمـت		فمـاذا التعـدي ومـاذا السفهْ

---

(1) ص 308.

(2) ص 39.

(3) ص 239.

وقد وردت هذه الأبيات في محاضرات الأدباء[1] ضمن مقطوعة من تسعة أبيات على الصورة الآتية:

أَحَبُّ فمن ذا الّذي كَلَّفَهْ ... ومَلَّ مَنْ ذا الّذي استَعْطَفَهْ

فلا أحدٌ في الرّضى سَرَّهُ ... وَلاَ أحَدٌ في القِلَى عَنَّفَهْ

وَكُنَّا وكانَ كما قد علمت ... فماذا التعدي وماذا السَّفهْ

ومثل أخير على ذلك: هذا البيت الذي ورد في حماسة الظرفاء[2] على هذه الصورة:

ولَوْ جملُ السّقاية لقَبُّوهُ ... بمعشوق لحَذَّفَ باذروجي

وقد ورد البيت في ثمار القلوب[3] على هذه الصورة:

ولو جمل السقاية لقبوه ... بمعشوق تحرى أخذ روحي

المظهر الثالث: وهو اختلاط المصادر في نسبة بعض الأبيات إلى الخبزأرزي مرّة، وفي نسبتها إلى غيره مَرَّة أخرى، ومن هذا الضرب الأبيات الكافية التي مرّت في المظهر الثاني ومطلعها:

إنــي لأحسدُ مقلتيَّ عليكا ... حتى أغضُّ إذا نظرت إليكا

وقد نسبت هذه الأبيات إلى بكر الشبلي[4] في ديوانه، وإلى البحتري[5]، ونسب الأول إلى الخبزأرزي في محاضرات الأدباء[6]، والبيتان الثالث والخامس له في الوساطة بين المتنبي وخصومه[7]، والإبانة عن سرقات المتنبي والتبيان في شرح الديوان للعكبري[8]، مع

(1) 4/ 713.
(2) 2/ 97
(3) ص 355
(4) ص 115.
(5) 4/ 2625.
(6) 3/ 235.
(7) ص 308.
(8) ص 39.

اختلاف في بعض الألفاظ وهذا يعود بنا إلى المظهر الثاني من مظاهر اختلاط شعر الخبزأرزي واضطراب روايته.[1]

ومن ذلك أيضاً هذان البيتان:

قد كان لي فيما مضى خاتمٌ　　فاليوم لو شئت تمنطقتُ بِهْ
وذبتُ حتى صِرْتُ لو زُجّ بي　　في مُقْلَةِ النّائم لَمْ ينتبهْ

وقد نسبا في "ديوان المعاني"[2] للخبزأرزي، ونُسبا إليه كذلك في: "حماسة الظرفاء"[3] و"محاضرات الأدباء"[4] و"الكشكول"[5] و"العمدة"[6] و"نهاية الأرب"[7]. ونسبهما صاحب "سمط اللآلئ"[8] وصاحب "معاهد التنصيص"[9] إلى يعقوب بن زيد التمار، وجاءا في شرح مقامات الحريري[10] بلا عزو، وورد البيت الثاني في "طيف الخيال"[11]، بلا عزو أيضاً.

وقد جاءا في نهاية الأرب[12] على هذه الصورة:

أنحلني الحبُّ فلو زُجَّ بي　　في مقلة النائم لم ينتبه
وكان لي فيما مضى خاتمٌ　　واليوم لو شئت تمنطقتُ به

وهذا يعود بنا إلى المظهر الثاني أيضاً.

ومثال آخر، هذان البيتان اللذان وردا في ديوان الخبزأرزي:

---

(1) 4/ 193.
(2) 1/ 272.
(3) 2/ 88.
(4) 2/ 91.
(5) 2/ 314.
(6) 2/ 51.
(7) 2/ 260.
(8) ص 181.
(9) 3/ 29.
(10) 1/ 148.
(11) ص 101.
(12) 2/ 260.

عَبْــــدُكَ أَمْرَضَــــتَهُ فَعُــــدْهُ		أَمِثْــهُ إنْ لَــمْ تَكُــنْ تُــرِدْهُ
قَــدْ ذابَ لَــوْ فَتَّــشْتَ عليــهِ		كَفُّــكَ في الفــرشِ لم تجِــدْهُ

وقد نسبهما صاحب "معاهد التنصيص"[1] مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ إلى شاعر آخر يسمى "المظفر بن كيغلغ".

ومن ذلك أيضاً هذان البيتان:

وبنفــسي مَــنْ إذا خَمَّــشْتُهُ		نثــرَ الــوردُ عليــهِ ورقَــهْ
وإذا مَــسَّتْ يــدي طُرَّتَــهُ		أَفْلَتَــتْ منــهُ فعــادتْ حلقــه

وقد وردا في شرح مقامات الحريري منسوبين إلى الخبزأرزي[2]، ووردا في كتاب المحبوب للسري الرفاء ومعهما بيت ثالث منسوبة إلى أبي مسلم الرستمي[3]، ووردا في البصائر والذخائر[4] منسوبين إليه كذلك، وأوردهما صاحب يتيمة الدهر منسوبين إلى الشاعر أبي عاصم البصري[5].

ومن ذلك هذه المقطوعة التي وردت في ديوان الخبزأرزي[6]:

وذي كــلالٍ كأنّــهُ بــستا		نُ حــسنه عنــد الــدهر منقــوشُ
وروضــة اليــاسمين عارضُــهُ		وهــوَ بلحْــظِ الرقيــبِ مخــدوشُ
والــدّرّ في ثغــرهِ منابِتُــه		والــوردُ في وجنَتيــهِ مفــروشُ
وقــدْ زهــا في جبينــه أبــداً		عنقــودُ صِــدْغٍ عليــهِ معــروشُ

(1) 3/ 29.
(2) 1/ 430.
(3) ص 378.
(4) 4/ 180.
(5) 2/ 368.
(6) ص 197.

وقد وردت في كتاب المحبوب منسوبة إلى السروي[1] مع اختلاف كبير في الألفاظ وهذا يعود بنا إلى المظهر الثاني من مظاهر اختلاط شعر الخبزأرزي.

ومن ذلك أيضاً هذان البيتان، وقد وردا في نهاية الأرب[2] منسوبين إلى الخبزأرزي:

صِلْ بخدّي خدّيْكَ تَلْقَ عجيباً ... مِنْ معانٍ يَحارُ فيها الضميرُ

فبخدّيكَ للربيعِ رياضٌ ... وبخدّيّ للدّموع غديرُ

وقد وردا في كتاب المحبوب للسري الرفاء منسوبين إلى الحسين بن الضحاك[3]، ونسبا – كذلك – إليه في: وفيات الأعيان[4] وشذرات الذهب[5]، ونسبا إلى عبد الله بن المعتز في كتاب المستطرف[6].

ومن ذلك أيضاً هذه الأبيات التي وردت في كتاب المحبوب[7] منسوبة إلى الخبزأرزي، بينما نسبها ابن الأثير في كتابه المثل السائر، إلى ديك الجن[8]:

لَمّا نَظَرْتِ إليَّ مِنْ حَدَقِ المها ... وضحكتِ عن متفتّح الأنوارِ

وعقَدْتِ بيْنَ قضيب بانٍ ناعمٍ ... وكثيبِ رَمْلٍ عُقْدَةَ الزُّنّارِ

عفرتُ خدّي في الثرى لكِ خاضعاً ... وعزمتُ منكِ على دخولِ النارِ

ومن ذلك أيضاً هذان البيتان، وقد وردا في ديوان الخبزأرزي مرتين:

إعلَمْ بأنَّ مَسَرَّتي ... لو كانَ فيها ما يضرُّكَ

(1) ص 381.

(2) 2/ 76.

(3) ص 424.

(4) 2/ 164.

(5) 3/ 124.

(6) 2/ 23. وهما له في مجموع شعره 3/ 275

(7) ص 454.

(8) 2/ 106. وانظر ديوان ديك الجن ص 79، 80

لتركــــتُ ذلــــك واتبعــــــتُ مــضرتي فيمــا يــسرك[1]

وقد وردا منسوبين إلى البحتري في ملحق ديوانه[2]، وذلك ضمن أربعة أبيات ومثل آخير على هذا المظهر من مظاهر اختلاط شعر الخبزأرزي واضطراب روايته هـذه المقطعـة، وقد وردت في ديوانه:

جَـــرَّدَهُ الحَمَّـــامُ عَـــنْ فِــضَّةٍ بيـــضاءَ فيهـــا عُكْنَـــةٌ بَـــضّة

كَأنّمــــا المــــاءُ بِأعْطَافِــــهِ طَــلٌّ علــى سَوْسَــنةٍ غَــضَّه

قَــدْ جَمَــعَ الأنــوارَ في خــدِّهِ كَأَنّــهُ مِــنْ حُــسْنِهِ روضــه

يــا ليــتَ لــي مِــنْ فَمِــهِ قُبْلَــةً وَلَيْــتَ لــي مِــنْ خَــدِّهِ عَــضّه[3]

وقد ورد ثلاثة أبيات من هـذه المقطعة في شرح مقامات الحريري[4] منسوبة إلى الحسين الضحاك، وهي على هذه الصورة:

جَــــرّدهُ الحّمــــامُ عــــن دُرَّةٍ تلــوحُ فيهـــا عُكْنَـــةٌ بَــضّه

كأنمــا الرَّشْــحُ علــى خَــدِّهِ طَــلٌّ علــى تفاحــةٍ غَــضّه

يــا ليتَــهُ زوّدنــي قُبلَــةً أولا فمــن وجنتــه عــضه

ومن ذلك هذا البيت الذي نسبه إليه صاحب المنصف[5]:

فــضيفُه في ربيــع طــول مُدّتــهِ وجــاره كــل حــين منــه في رجــبِ

إذ نجد هذا البيت في ديوان ابن الرومي[6] وهو السبعون من قصيدة طويلة أولها:

إن أنــس لا أنــسَ هنــداً آخــرَ الحقــبِ على اختلاف صروف الدهر والحقبِ

ومن ذلك هذان البيتان:

وحيــةٍ فــي رأســـها دُرَّةٌ تــسبحُ في بحــر قــصير المــدى

---

(1) ص 258.

(2) ج2 ص 388 ط بيروت.

(3) ص 337.

(4) 4/ 234.

(5) 1/ 360

(6) 1/ 194

إن بعــدت كــان العمــى حاضــراً   وإنْ دنــتْ بــانَ ســبيلُ الهــــدى

وهمـا لـه في المحـب والمحبـوب[1]، ولابـن الرومـي في ديوانـه[2] وللسري الرفـاء في ديوانه[3] وبلا عزو في البصائر والذخائر[4] وانوار الربيع[5].

ومن ذلك هذان البيتان:

أظهــرَ الكبريــاءَ مــن فــرط زهــوٍ   فتلقيتُـــهُ بـــذلٍّ الخـــضـــوعِ

وحبــاني ربيــعُ خدَّيــه بالـــــود   دِ فأمطرتُـــه ســـحاب الـــدموعِ

وهما له في نهايـة الأرب[6] وللحـسين بـن الـضحاك في ديوانـه 425، ولأبـي حمـزة الذهلي في تتمة اليتيمة[7].

ومن ذلك مقطوعته التي أولها:

ومــن طــاعتي إيــاهُ يُمْطــرُ نــاظري   إذا هــو أبــدى مــن ثناياه لــي برقــا

وهــي لـه في سمـط اللآلـي[8] وفي الإبانـة عـن سـرقات المتـنبي[9] والأول لـه في المنـصف[10] والبيتـان الأول والثـاني لجحظـة البرمكـي في ديوانـه[11]، ودون عـزو في الذخيرة[12].

ومثل قوله:

وحـــسن ينمـــنمُ ذاك العـــذار   كآثـــار مـــسك عليـــه غَـــزَلْ

---

(1) 1/ 240

(2) 1/ 132

(3) 2/ 142

(4) 4/ 250

(5) 6/ 47

(6) 2/ 76

(7) 1/ 84

(8) 1/ 178

(9) ص 47

(10) ص 121

(11) ص 131

(12) 1/ 324

كتـــاب مـــن الحـــسن توقيعـــه مـــن الله في خـــدهِ قـــد نـــزلْ

وهما له في المحبوب[1] والثاني مع بيتين آخرين في البصائر والذخائر لمحمد بن يعقوب[2].

وإلى جانب هذه المظاهر الثلاثة من مظاهر اختلاط شعر الخبزأرزي واضطراب روايته نجد مظهراً رابعاً، وهو: اختلاف ترتيب الأبيات في المقطوعة أو القصيدة الواحدة؛ فقد أورد صاحب "حماسة الظرفاء"[3] هذه المقطوعة للخبزأرزي:

1- كُـــلُّ الْهـــوَى صَـــعْبٌ ولكـــنَّني بُليـــتُ بالأَصْـــعَبِ مِـــنْ أَصْـــعَبهْ

2- أذابـــني الحُـــبُّ فَلَـــوْ زُجَّ بـــي في نـــاظِرِ النَّـــائم لم يَنْتَبِـــهْ

3- فكـــانَ لـــي قَبْـــلَ الهـــوى خَـــاتَمٌ فـــالآنَ لَـــوْ شِـــئْتُ تَمَنْطَقْـــتُ بِـــهْ

4- وَزَارَنـــي طَيْفُـــكَ حَتَّـــى إذا أرادَ أنْ يَمْـــضي تَعَلَّقْـــتُ بِـــهْ

5- يـــا مَـــنْ إذا أقْبَـــلَ قـــالَ الْـــوَرَى هـــذا أمـــيرُ الْحُـــسْنِ في مَوْكِبِـــهْ

6- عَبْـــدُكَ لا تَـــسْأَلْ عَـــنْ حَالِـــهِ حَـــلَّ بِأعْـــدائِكَ مـــا حَـــلَّ بِـــهْ

وجاءت المقطوعة في "المنصف في نقد الشعر"[4] كما يلي:

1- كُـــلُّ الْهـــوَى صَـــعْبٌ ولكـــنَّني بُليـــتُ بالأَصْـــعَبِ مِـــنْ أَصْـــعَبهْ

3- قَـــدْ كـــانَ لـــي قبـــل الهـــوى خـــاتمٌ فـــالآنَ لَـــوْ شِـــئْتُ تَمنطَقْـــتُ بِـــهْ

2- وَذُبْـــتُ حتّـــى صِـــرْتُ لَـــوْ زُجَّ بـــي في نـــاظِرِ الْوَسْـــنانِ لَـــمْ يَنْتَبِـــهْ

5- يَـــا مَـــنْ إذا أَقْبَـــلَ قـــالَ الـــورى: هـــذا أمـــيرُ الحـــسنِ في مَوْكِبِـــهْ

وقد أورد بهاء الدين العاملي هذه الأبيات في "الكشكول"[5] بترتيب آخر وهو:

2- يَـــا مَـــنْ إذا أَقْبَـــلَ قـــالَ الْهـــوَى: هـــذا أمـــيرُ الحـــسنِ في مَوْكِبِـــهْ

---

(1) ص 397

(2) 1/ 156

(3) 2/ 88.

(4) ص 516.

(5) 2/ 314.

1- كُلُّ الْهَوَى صَعْبٌ ولكنّني بُليتُ بالأَصْعَبِ مِنْ أَصْعَبِهْ
6- عَبْدُكَ لا تَسْأَلُ عَنْ حَالِهِ حَلَّ بِأَعْدائِكَ مَا حَلَّ بِهْ
3- قَدْ كانَ لي قبل الهوى خاتمٌ واليوم لَوْ شِئْتُ تَمنطَقْتُ بِهْ
2- فنيتُ حتى صِرْتُ لَوْ زُجَّ بي في مُقْلَةِ الْوَسْنانِ لَمْ يَنْتَبِهْ

ونجد في هذه الروايات الثلاث خلافاً في بعض الألفاظ، وهذا يعود بنا إلى المظهر الثاني من مظاهر اختلاط شعر الخبزأرزي واضطراب روايته، وهو الاختلاط في رواية ألفاظ شعر الخبزأرزي.

ومثل أخير على هذا المظهر، هذه المقطعة البائية التي وردت في ديوان الخبزأرزي[1]:

1- لا أستَطيعُ مِنَ الضَّنَا شكوى الضّنا ويكادُ ما بي أنْ يَرِقَّ لِمَا بي
2- لا صبرَ لي أنّى عليكِ تصبّري والتّيهُ دأبكِ والتذللُ دأبي
3- فَخَلَعْتُ في خِلَعِ العذولِ تَجَمُّلِي وَلَبِسْتُ ثوبَ السُّقْمِ تحْتَ ثيابي
4- لا تمزجوا كأسي فإنَّ مَدامِعي تكفي وتفضلُ عن مزاجِ شرابي

وقد وردت أبيات من هذه المقطعة في البديع في نقد الشعر[2] على هذه الصورة:

2- لا صبرَ عَنْكِ، بلى عليكِ تصبّري والهجرُ دأبكِ والتَّجَلُّدُ دابي
4- لا تمزجي قَدَحِي فإنَّ مَدامِعي تكفي وتفضلُ عن مزاجِ شرابي
1- لا أستَطيعُ مِنَ الضَّنَا شكوى الضّنا ويكادُ ما بي أنْ يَرِقَّ لِمَا بي

والاختلاف في الألفاظ بين الروايتين يعود بنا إلى المظهر الثاني.

المظهر الخامس: وهو تكرار بعض القصائد والمقطوعات مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ، مثل هذه المقطوعة:

متهوّد صبغ الهوى لوني لَهُ فأذاب جسمي في الهوى تذكارهْ
وكأنني من صفرةٍ غسلينة وكأنني من دقة زنارهْ

---

(1) ص 36.

(2) ص 222.

مــا قــد جحــدت هــواه وأنكرتــه شــهدت علــيّ مــن الهــوى آثــاره[1]

وقد تكرر ذكر هذه المقطوعة في صفحة أخرى من الديوان مع اختلاف طفيف في بعض الأبيات، إذ وردت في المرة الثانية على هذه الصورة:

متنــصرٌ صــبغ الهــوى جِــسْمي لَــهُ فَــأذابَ قلــبي في الهــوى تــذكاره
فكــأنّني مـــن صـــفرة غـــسلينة وكـــأنني مِـــنْ دِقّـــةٍ زنّـــاره
وإذا جحـــدتُ هـــواه أو أنكرتُـــهُ شــهدتْ علــيّ مــن الهــوى آثــاره[2]

ومثل ذلك قصيدته التي مطلعها:

حُلَـــلُ المحاسِـــنِ نزهـــة الأبـــصارِ والعــيشُ تحْــتَ معاقِــدِ الزُنّــارِ[3]

وعدد أبياتها ثلاثة عشر بيتاً، وقد وردت أولاً في ص 68، 69 من المخطوط، ثم وردت مرة أخرى في ص 140 باثني عشر بيتاً ومطلعها:

روضُ المحاسِـــنِ نزهـــة الأبـــصار والعـــيش تحـــت معاقـــد الزنـــار

مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ.

المظهر السادس: الخلط بين قصيدتين أو مقطوعتين من بحرين مختلفين وجعلهما قصيدة أو مقطوعة واحدة، مثل المقطوعة الآتية:

وذي كـــلالٍ كأنّـــه بـــستانٌ حَـــسَنٌ في الـــدهْرِ منقـــوشٌ
وروضـــة اليـــاسمين عارِضُـــهُ وهـــوَ بلحـــظِ الرّقيـــب مخـــدوشٌ
والـــدّر في ثغـــره صـــبابتُه والـــورد في وجنتـــهِ مفـــروشٌ
وقـــدرها في جبينـــه أبـــداً عنقـــود صـــدغ عليـــه معـــروش
وأحـــور صـــحبته في المـــسا وإنّـــي لمـــنْ دهـــشٍ مُـــرْعَشٌ
فقـــال: أتهـــزأ بـــي في الـــسلامْ وكـــان لمـــا قلـــتُ يَـــستوحِشُ

(1) ديوانه ص 123 وانظر ص 37 من المخطوط.
(2) نفسه، وانظر ص 63 من المخطوط.
(3) ديوانه ص 161.

فقلـــت: دهـــشت لمـــا قـــد رأيـــت   ومــــن ذا يـــراك ولا يـــدهش[1]

هكذا وردت المقطوعة في الديوان، وهي في الحقيقة مقطعتـان الأولى تنتهـي في البيـت الرابع من المنسرح والثانية ثلاثة أبيات من المتقارب.

ومثل ذلك هذان البيتان وقد وردا معاً:

يقولـون قـد أخفـى محاسـنه الـشعر   فهيهاتَ هل يخفى على الظلمـة البـدرُ

كَـمْ بَـيْنَ أرْضٍ قَفَـارٍ لا نبـاتَ بهـا   وأرضٍ أجرى عليها النبت والزهـرُ[2]

وواضح أنّ هناك خلطاً بين البيتين، ولا بد أنّ كُلَّ واحدٍ منهما ينتمي إلى قـصيدة أو مقطوعة تختلف عن الأخرى، لأنهما من بحرين مختلفين، فالبيت الأول من الطويـل، والثـاني من البسيط.

المظهر السابع: وهو الخلط والاضطراب في كتابة الأبيـات كـأن يكتـب البيتـان كأنهمـا بيـت واحد، ومن ذلك هذا البيت؛ وهو من بحر المجتث، وقد ورد في مطلع مقطعة مكونة مـن سـتة أبيات:

الـدّمعُ يـشهدُ أنـي قـانع بـسلامك   حجبت عني حتى منعت طيب كلامك[3]

وواضح أنّ هذا البيت هو عبارة عن بيتين، ويجب أن يكتب بهذا الشكل:

الــــدّمعُ يــــشهدُ أنــــي   قــــانع بــــسلامك

حجبــــت عــــني حتــــى   منعــــت طيــــب كلامــــك

---

(1) ديوانه ص 214، 215.

(2) ديوانه ص 98، 99.

(3) ديوانه 329.

ومثل ذلك أيضاً هذان البيتان، وقد وردا ضمن مقطوعة من مجزوء الرمل:

إنَّ مَـــنْ كُنـــتَ لَـــهُ أنـــ ـــــت سَـــقاماً وطبيبـــا

لقـــدْ نـــالَ مـــن الدنـــ ـــيا وفي الـــدُّنيا نـــصيبا

وقد وردا في الديوان على هذه الصورة :

إنّ مـن كنـتُ لـه أنـت سـقاماً وطبيباً

فلقدْ نال من الدنيا وفي الدنيا نـصيبا[1]

ومن ذلك هذه المقطوعة التي وردت في الديوان على الصورة الآتية:

أمَا تَنْظُرُ دَمْعَ العينِ مسكوباً على الخد

إذا ما سهد القلب فإن القلب يستعدي

وما يشكو الذي يلقاه إلاّ من ورا جهد

فياليتك في قلبي عسى تنظر ما عندي

سأرعاك على القرب وأرعاكَ على البعدِ

فكُنْ لي كيف ما أحببت من وَصْلٍ ومن صَدٌّ

فلومتّ من الوجد لما حلتُ عن العهدِ

طلبتَ الوصل لي وحدي كذا أحرمته وحدي

وواضح أنّ هذه المقطوعة من بحر الهزج ويجب أن تكتب على الصورة الآتية: [2]

أمـــا تنظـــر دمـــعَ العيـــ ـــن مـــسكوباً علـــى الخـــدّ

إذا مـــا ســـهّد القلـــب فـــإنَّ القلـــب يـــستعدي

ومـــا يـــشكو الـــذي يلقـــا ه إلاّ مـــن ورا جهـــدِ

فياليتـــــك في قلـــــبي عـــسى تنظـــر مـــا عنـــدي

ســـأرعاك علـــى القـــرب وأرعـــاكَ علـــى البعـــد

(1) ديوانه ص 31.

(2) ديوانه ص 74.

فكـــنْ لـــي كيفمـــا أحبيـــ ـــتَ مـــن وَصْـــلٍ ومـــن صَـــدٍّ
فلـــو مـــتّ مـــن الوجـــد لمـــا حلـــت عـــن العهـــد
طلبـــت الوصـــلَ لـــي وحـــدي كـــذا أحرمتُـــه وحـــدي

والأمثلة على هذا المظهر كثيرة في الديوان، وأكتفي بما أوردت، وقد فَصَّلت الحديث عن ذلك في مقدمة التحقيق.

الفصل الثاني

موضوعات شعره

(1) المديح

(2) الحكمة

(3) الوصف

(4) الغزل

(5) العتاب والاعتذار

(6) الهجاء

(7) التهنئة والهدايا

(8) الرثاء

(9) المجون

الفصل الثاني

موضوعات شعره

ذكر بعض الذين ترجموا للخبزأرزي، أنّ شعره جميعه كان في الغزل.

قال الثعالبي: "... فكان يخبز وينشد أشعاره المقصورة على الغزل"[1] وقال ابن خلّكان: "... وكان ينشد أشعاره المقصورة على الغزل"[2]. ونحن لا نستطيع أنْ نأخذ هذا القول على إطلاقه؛ فديوانه ضخم، وطرق فيه ألوان الشعر الغنائي، من غزل، ومدح، ووصف وحكمة وعتاب واعتذار؛ بل إنّ ما قاله في غير الغزل يبلغ نصف ما قاله في الغزل تقريباً، وسأتناول في الصفحات الآتية الحديث عن هذه الألوان الشعرية المختلفة.

---

(1) يتيمة الدهر 2/ 132.

(2) وفيات الأعيان 5/ 376.

المديح

كان المديح من أهم الأغراض التي تناولها الخبزأرزي في شعره، وتبدو شاعريته واضحة تماماً في هذا الغرض؛ فقد بذل ما في استطاعته من تجويد ومقدرة، ولا عجب في ذلك؛ فقد كان المديح هو المحك الذي يكشف معدن الشاعر ويعرّي جوهره، والامتحان الذي يقدم من خلاله ثمرة موهبته،وحصاد شاعريته، فقد كان هذا الفن يجري فيه فرسان الشعر جميعاً، وكان من اليسير على جمهرة المعجبين بالشعر والشعراء، أن يميزوا الشعر الأصيل المتمكن من الشاعر الوسط"[1].

وإذا نظرنا في قصائد المديح عند الخبزأرزي وجدناه يجري مع الشعراء العباسيين في الخروج على المقدمة الطللية التي بدأ الشعراء الثورة عليها نتيجة تطور كبير حدث في مفهوم الشعر في القرن الثاني بتأثير عوامل مختلفة"[2] وهو لا يلتزم لونا واحدا من المقدمات؛ بل ينوع فيها؛ فقد يجعل افتتاحيات بعض قصائده إظهار مشاعره وأحاسيسه، كغيره من الشعراء العباسيين الذين كانوا يستغلون مقدمات هذه القصائد في إظهار مشاعرهم والتعبير عنها، لدرجة أنهم كانوا في بعض الأحيان يستغرقون أكثر القصائد في عرض مشاعرهم الذاتية"[3] ويرى الدكتور هدّاره[4] أنّ سبب ذلك هو إحساس الشاعر ببعد قصائد المديح عن رغبته في التعبير عن نفسه وأحاسيسه.

ومن ذلك قوله في افتتاحية إحدى قصائده المدحية متشوقاً إلى الأحباب والجيران الذين أبعدتهم عنه غربة البُعد والفراق:

شاقني الأهلُ لم تُشقْني الديارُ

والهوى صائرٌ إلى حيث صاروا

---

(1) الشعر والشعراء في العصر العباسي ص 238.

(2) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ص 154.

(3) نفسه ص 372.

(4) نفسه ص 372.

جـــيرةٌ فـــرقتهمُ غربَـــةُ البيــــ

نِ وبـــين الجـــوى وذاكَ الْجِـــوارُ

لَـيْسَ تُنْـسَى تلْـكَ القلـوبُ عهـوداً

كـــذَّبَتْها يَـــوْمَ النَّـــوى أبْـــصارُ

أَلَـتَ تَـدْرِي أنَّ الهـوى لَـيْس يَحْلُـو

طَعْمُـــهُ أوْ يكـــونَ فيـــهِ مِـــرارُ

فأُنــاسٌ رَعَــوْا لَنــا حــينَ غــابُوا

وأُنـــاسٌ حُقــوقُهم خُــضَّارُ

عَرَضُــوا ثُــمَّ أعْرَضُــوا واسْـتَمالوا

ثُــمَّ مَــالُوا وَجــاوَرُوا ثُــمَّ جَــارُوا[1]

ومثل ذلك قصيدته في مدح أحد كبار رجالات البصرة الـتي يبـدؤها بالـشكوى مـن الدهر وذم الزمان:

الـــدّهرُ بـــؤسٌ للأنـــام وزيـــفُ

ولـــصرْفه بـــين الـــورى تَـــصْريفُ[2]

وقد يختار النسيب، كما في قصيدته اللاّمية التي مدح بها البريدي وفيها يقـدم صـوراً جميلة في وصف النساء دون أن يقيّد نفسه بالحديث عن امرأة معينة:

إقبـــالهنّ بـــشارة الإقبـــالِ | وحـضورُهنّ حـضورُ حـسنِ الحـالِ

هُـنَّ الغـواني بالجمـالِ عَـنِ الحُلـى | فجمـالُهنَّ يفـوقُ حَلْـيَ الحـالِ

أنغـــامُهنَّ لناطليقـــةُ نَغْمـــةٍ | موصـــولةٌ بِمُقَـــدَّماتٍ وِصَـــالِ

شِـبْنَ الملاحـةَ بالـدّلالِ وأشْـرِبَتْ

بقلـــوبهنَّ حَـــلاَوَةُ الإذلالِ

---

(1) ديوانه ص 111.

(2) نفسه ص 237.

دَلُّ المــــسيرِ بطَـــــرْفهنَّ وفوقَـــــهُ
عَقْــدُ الحواجِــبِ فيــهِ تِيــهُ الْعَــالي

وإذا اهتــزَزتَ لنــا تُهُــزُّ قلوبَنـــا
هَيْــفُ الْحُــضورِ ورُجُــحُ الأكْفــالِ

يُــشْفَى الغليــلُ بأُنْـسِهِنَّ كمثْــلِ مــا
يُــشْفَى العِطَــاشُ ببــاردِ السّلْــسالِ[1]

وهو يدمج في هذه المقدمة الحديث عن الخمرة، والغزل بالمذكر، ثم ينتقل بعد ذلك لوصف الممدوح.

وقد يبدأ قصيدته المدحية بذكر وداع الحبيبة كما في قصيدةته الرائية:

بَــدَتْ لــوداعٍ والتَّجَمّـــلُ ســتْرُها فــزالَ لإشــفاقِ التفــرقِ هجرُهـــا
ضــياءٌ كــأنَّ الــصُبْحَ يجلــوهُ وجْهُهَــا لنــا وكــأنَّ الليــلَ يُدْجيــهِ شَــعْرُها[2]

وقد يبدؤها بالشكوى من فراق الحبيب، ثم الفرحة بلقائه بعد ذلك كما في قصيدته الميمية:

ريــحُ شــوْقٍ للــبينِ كانــتْ سمُومــا
ثــم عــادت عنــد اللّقــاءِ نَــسيمًا

فهــي بــالأمْسِ نــارُ صــالِحٍ كانــتْ
وهــيَ اليــوم نـــارُ إبْراهِيمـــا

مــا أمَــرَّ الخُــروجَ عــن بلــدٍ فيـــ ـــها الحبيــب ومــا الــذّ القُــدومَا[3]

وهو لا يتحرج من أن يبدأ بعض قصائده بالغزل بالمذكر كما في قصيدته الميمية التي يمدح بها شخصاً يسمى أبا عمرْ:

---

(1) ديوانه ص 305.
(2) نفسه ص 124.
(3) ديوانه ص 322.

وعــــذبِ المُقبَّـــل والمُبتَـــسمْ لذيـــذِ المراشـــف والمُلتَـــثمْ[1]

ومثل ذلك قصيدته البائية التي يمدح بها أحمد بن علي وقصيدته الدّالية التي يمدح بها أمير البصرة.

وقد يختار التهنئة، كما في قصيدته التي يمدح بها ابن يزداد إذ بدأها بتهنئة الأمير بالسنة الجديدة، يقول، متلاعباً بالألفاظ:

سـنةٌ يــزادُ بهــا الأمــيرُ جَمــالا إقبالُهــا يُنمــي لَــكَ الإقْبَــالا
ســنةٌ وأســبوعٌ وشــهرٌ كُلُّهــا جُــددٌ تجــدّدُ أنْعُمــاً ونَــوالا
حَــوْلٌ بِحَــوْلِ اللهِ يَقْــضي بالــذي أمَّلْتَــهُ ويزيــدُ حالُــكَ حَــالا
عــامٌ يعــمُّ لــكَ الــسُّرُورُ وَلا نَــرى في نِعْمَــةٍ خَلَــلاً وَلا إخْــلالا
يــا مَــنْ أهَــلَّ لَــهُ هِــلالٌ طَــالِعٌ لا زالَ وجْهُــك للــسّعودِ هِــلالا[2]

ومثل قصيدته اللاّمية التي مدح بها أيضاً الأمير ابن يزداد ومطلعها:

إقبــالُ عــامٍ بــشكرِ الخــير مقبــولُ عنــد الأمــير لعيــد الــبرّ موصــول[3]

وبعد أن يهنئ الأمير بعيد النيروز الذي صادف وقوعه يوم جمعة، فأصبح العيد عيدين، يدمج وصف الطبيعة والربيع، ويستغله – بذكاء – فيجعلهما من العناصر الرئيسة للممدوح، وقد كان هذا الوصف للمناظر الطبيعية الجميلة وقت الربيع وسيلة بارعة للوصول إلى مدح الأمير:

---

(1) نفسه ص 310.

(2) ديوانه ص 290.

(3) نفسه ص 286.

لقـــدْ تزَيَّنَـــتِ الـــدُّنيا بزُخْرفِهـــا فـالرَّوْضُ قَـدْ مُثِّلَـتْ فيـه التماثيـلُ
فالغيمُ يبكي إذا مـا الـرَّوْضُ ضـاحكةٌ وبـاطنُ النَّبْـتِ بالأنـداءِ مَكْحُـولُ
يـومٌ لَـهُ زُفّـت الـدنيا عرائـسَها لهـنَّ مِـنْ سُـنْدُسٍ خُـضْرٍ سَـرابيلُ
يعمّمـان بـشيءٍ مِـنْ جواهِرِهـا مرصّـعات وفي الترصـيع تفـضيل
هـذا الرّبيـعُ مِـنَ الجنّـاتِ مُـسْتَرقٌ ففيـهِ مـنهنّ تمثيـلٌ وتمثيـلُ[1]

وينتقل بعد ذلك بألفاظٍ غاية في الجودة والعذوبة إلى المقارنة بين الورود وبين وجنة الحبيب:

فـالوردُ مـن وجنـة المعـشوق صَـنْعَتُهُ والطّيـب مِـنْ نَكْهَـةِ المعشوقِ معلـولُ
وردُ الحبيـب مـصونٌ لـيس يَقْطُفُـهُ إلاّ العيـون وَوَرْدُ الـرّوضِ مبـذولُ

ثم ينهي مقدمته بوصف الجو في ذلك اليوم؛ فهو معتدل لا حرّ ولا برد:

أمّـا النّهـارُ فَـلا حَـرٌّ ولا خَـصَرٌ والليـلُ لا قِـصَرٌ فيـهِ ولا طـولُ
فـلا طلائِـعُ جـيشِ القـيظِ طالعـةٌ كـذاكَ سـائقُ جـيشِ القَـرِّ مغلـولُ

والحقيقة أنّ وصف الطبيعة والربيع في قصيدة المديح عند الخبزأرزي: يذكرنا بقصيدة البحتري في مديح الهيثم بن عثمان الغنوي التي كان وصف الطبيعة فيها جزءاً من صيغة المديح وصلب كيانه، كما يقول الدكتور مصطفى الشكعة[2]. ويذكرنا – كذلك – بقصيدة أبي تمام في مديح المعتصم[3].

---

(1) ديوانه ص 286.
(2) الشعر والشعراء في العصر العباسي ص 713.
(3) ديوان أبي تمام 2/ 71.

وقد يختار الندم على ما كان منه في شبابه، ثم توبته بعد شيبه وكهولته، ويتحدث من خلال ذلك عن نظرات صائبة في الحياة أوحت إليه بها تجاربه؛ كما في قصيدته اللاّمية التي يمدح بها القاضي التنوخي:

أعاذلُ حَسْبُ المرءِ بالشيب عاذِلا   وأفحش جهلٍ أن يُرى الكهل جائلا
أعاذلُ قد أفضيتُ في اللّهو والصِّبا   طويلاً فلمْ يكسبْني اللهوُ طائلا
أكلتُ ثمارَ الدّهرِ والدَّهْرُ آكِلٌ   حياتي وأغضبْتُ الذي ليس عائلا
وما الوقت إلاّ كالمودَع إنّما   نراهُ بما فيه من الحال زائلا[1]

ثم يعود إلى نفسه، ويتذكر ما كان له من صولات وجولات في شبابه، وكأنّ هذه الأبيات حديث ذاتي يتحدث بها إلى نفسه، والنفس البشرية صارت ميداناً لدراسة الشعراء وملاحظاتهم، ملاحظة ظهرت في إنتاجهم الأدبي على نحو لم يعهده الأوائل ولم يفكروا فيه، فبعد أن كانت الأزمة عند القدامى في الماء والمرعى، أو هكذا كانوا يعتقدون على الأقل، صارت عند المحدثين في النفوس والصدور"[2].

ومن كل ذلك نرى أنَّ الخبزأرزي لم يَسِرْ على وتيرة واحدةٍ في مقدمة قصائده المدحية، إنما كان ينوّع فيها؛ ولكننا – على أية حال – لم نجد فيها قصيدة واحدة تبدأ بذكر الأطلال، وقد كانت هذه المقدمات تطول أو تقصر حسب الحالة النفسية للشاعر، فقد تكون خمسة أبيات وقد تصل إلى أربعة وعشرين بيتاً.

وإذا تركنا مقدمات قصائده المدحية، وانتقلنا إلى قصائد المديح نفسها؛ فإننا نرى أنه يتمثل المعاني العربية المتوارثة كالكرم والشجاعة والعفة، يقول أبو الفرج قدامة[3] إنه لما كانت فضائل الناس من حيث إنهم أناس، لا من طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوان على ما عليه أهل الألباب، من الاتفاق في ذلك، إنما هي: العقل، والشجاعة، والعدل، والعفة؛ كان القاصد لمدح الرجال بهذه الأربع الخصال مصيباً، والمادح بغيرها

---

(1) ديوانه ص 292.
(2) . الشعر العربي بين الجمود والتطور ص 131.
(3) نقد الشعر ص 96.

مخطئاً. وقد يجوز في ذلك أن يقصد الشاعر للمدح منها بالبعض والإغراق فيه، دون البعض، مثل أن يصف الشاعر إنساناً بالجود الذي هو أحد أقسام العدل وحده فيغرق فيه، ويتفنن في معانيه..." فنراه يمدح الأمير ابن يزداد بالكرم والشجاعة؛ فيقول:

وَكَم بِبَذْلِ النّدى أحيا المحامِدَ أو
فكم برغم العِدَى أرْدى الصناديدا[1]

ويبالغ في قصيدة أخرى بمدحه بالكرم والشجاعة:

إِحْسانُه عَمَّ أَهْلَ الشّرقِ كلّهم
فَرَبْعُهُ أبداً بالشُكْرِ مَأهول

إليهِ أقبلتِ الآمالُ أَجْمَعُها
تصدى فما غَيْرُهُ في النّاسِ مأمولُ

لَوْ عُدَّ في الخَلْقِ مَنْ يُغْذى بنعمتهِ
ما كانَ يرْويهمْ جَيحَانُ والنّيلُ

لَهُ دلائلُ إقبالٍ يوافقُها
يُمْنٌ وَرَأيٌ على التّوفيقِ مَدْلولُ

والحاسِبُ الشهمُ لا تجري أناملُهُ
بحَسْبِ ما أنْتَ مَشْكورٌ ومَسْئولُ

لم يبقَ طاغٍ وباغٍ لم يمسهما
مِنْ بَسْطِ كفّيكَ تنكيلٌ وتنويلُ،[2]

ومثل هذا نجده في قصيدة فائية:

---

[1] ديوانه ص 65.

[2] ديوانه ص 287.

يُنْمِيه صِبْيَةُ أُسْدِ حَرْبٍ مَا لَهُمْ
إلاّ القَواضِبُ والرِّماحُ عَرِيفُ

يَمْشُونَ في الحَلَقِ الحَصِيفِ وتحتَهُمْ
نَسْجُ الشجاعةِ في القُلوبِ حصيفُ

لو أنَّهُمْ عَدِمُوا السّيوفَ تَحَدَّرتْ
عَزَمَاتُهُمْ في الرَّوْعِ وَهيَ سيوفُ

تُجري الندى مجرى الدِّماءِ أكفُّهم
فَهُمُ حياةٌ للورى وحُتُوفُ

مَنْ كانَ وهّابَ الألُوفِ ولَمْ يَكُنْ
لَتَروضُهُ يَوْمَ العطافِ ألوفُ

يَقْسُو وَيَعْنُفُ في الحروبِ وَشَأنُهُ
في السّلم، بَرٌّ بالأنامِ رَءوفُ[1]

فرجال هذا الممدوح مدججون بالسلاح من سيوف ورماح، وحتى لو عدموا السلاح فشجاعتهم وقت الحروب تغني، وهم في وقت الحرب شجاعة وموت، أمّا وقت السلم فرأفة وحياة.

ويضيف الخبزأرزي إلى هذه المعاني المتوارثة، معاني أخرى، وهي معانٍ إسلامية محضة، ولا شك أنّ هذه المعاني الإسلامية قد دخلت إلى شعر المديح منذ القرن الأول الهجري؛ فشعر المديح منذ ظهور الإسلام قد بدأ يهتم بالفضائل المعنوية أكثر من اهتمامه بالفضائل الحسية، كالبسطة في الجسم وتألق الوجه وما إلى ذلك، وقد ازدهر هذا الميل إلى الناحية المعنوية مع اتساع آفاق الثقافة وانتشار العلوم الفلسفية وما إليها[2] فعندما يمدح الأمير ابن يزداد فإنه يبرز لنا هذه الفضائل المعنوية، كالإحسان والتقوى والرحمة، في أبيات جميلة الأسلوب فيقول:

(1) ديوانه ص 237. (2) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ص 371

فالحمـــــد للهِ إذ أرْعَــــى رعيَّتَـــهُ مَنْ لَيْسَ إحْسَانُهُ في النـاس مَجْحـودا

أمَّـا القُلـوبُ فقـدْ ألّفـتْ بأجْمَعِهـا إلى الأمـــير ابـــن يـــزدادَ المقاليـــدَا

لا غَـرْوَ إنْ كـانَ كُـلُّ النّـاسِ حامِـدَهُ مَـنْ لَـمْ يَـزَلْ مُحْسِناً لا زالَ محمـودا

اللهُ سَـــلَّ بِـــهِ سَـــيفَ المهابَـــةِ للتَّـــقوى وأصْبَحَ سَيْفُ البغـيِ مَغْمُـودا

كَـمْ سَـرْبَلَتْ رُحَمـاءُ النـاسِ رَحْمَتُـهُ وَكَـمْ تجـرّدَ فـيمن كـانَ مَـرْدودا[1]

وقد مضى الخبزأرزي يضفي على ممدوحيه هذه المعـاني الإسـلامية والمثاليـة الخلقيـة كالعدل، وحسن الرأي، وإحياء الأخلاق الحميدة ونشرها بين الناس، وتـأليف قلـوب رعيتـه ورعايتها على أكمل وجه.

يقـــسو ويـــرحمُ إمْلاحـــاً بـــذاكَ وَذَا فيبـــسطُ العَـدْل لـي بأسـاً وتَـسْديدا

يقلّـــبُ الـــرأيَ تـــصويباً وتـــصعيداً ويُبْـــرِمُ الأمْـــرَ تقريبـــاً وَتَبْعيـــداً

يـا مَـنْ لَـهُ عِنْـدَ كُـلِّ النـاسِ مَكْرُمَـةٌ آوَيْـتَ كُـلَّ رَجَـاءٍ كـانَ مَطْـرُودَا

أَحْيَيْـتَ مِـنْ كَـرَمِ الأخـلاقِ ميتتهـا فأنْـتَ توجِـدُ فـضلاً كـانَ مفقـودا

أَلّفْـتَ بـين قُلـوبِ النـاسِ فائتَلَفَـتْ بـاللطفِ منـكَ وقـد كانـت عناديـدا

---

[1] ديوانه ص 65 وما بعدها.

أنــتَ المبــاركُ والميمــونُ طَلْعَتُــهُ

تُرْعَــى الرّعيــةَ توفيقــاً وتَــسْديدا[1]

ويصفه في قصيدة أخرى بأنه يقوم بخدمة تقوى الله: [2]

أَقْبَلْــتَ تخــدم تقــوى الله مجتهــداً فــصِرْتَ بــاليُمْنِ والإقبــالِ مخــدوما

ويمدحه في القصيدة نفسها بعصمة الدنيا والدين:

يــا عــصمةَ الــدينِ والــدنيا وزينتَهــا لا زِلت مِـنْ نكبـات الـدهر معـصوما

وبالعدل والإحسان:

عَــدْلُ الأمــيرِ وإحــسانُ الأميرِهُمــا ردّا الزمــان عــن الأحــرار مخــصوما

وهو يحرص على مدح ممدوحيه بمثل هذه المعاني الإسلامية السامية.

ويضيف الخبزأرزي إلى مدائحه بالمثالية الخلقية العربية والفضائل الإسـلامية، مـدائح أخرى تتصل بوظيفة الممدوح وعمله ملائماً بين هـذه الـصفات والممـدوحين إذ لم يكـن مـن المعقول أن يُمدح أحد كتّاب الوزراء أو كتّاب الدواوين مثلاً بالشجاعة والبطولـة وإن أمكـن مدحه بالجود والكرم، بل المعقول أن يمدح بالفطنة والحصافة وبعد النظر وبراعـة القـول ومـا أشبه، ممّا يتعلق بطبيعة عمله، وهذه معان جديدة كان لا بُدَّ أن تـدخل مجـال المـدح[3] فعنـدما يمدح أبا القاسم التنـوخي* – وكـان قاضـياً فإنـه يمدحـه بـصفات تتناسـب ووظيفـة القـضاء، كالإنصاف والعدل ورفع الظلم:

جَـلاَ ظُلُمــاتِ الظُّلْــمِ نــورُ قــضائِهِ فَصَيَّرَ شَـمْلَ العَـدْلِ في النـاس شـاملا

إذا مــا قــضاياه تَخَلَّلْــنَ ظُلْمَــةً تُوَقَّــدْنَ أو يُحْــسَبْنَ فيهــا قَنــادِلا

والرأي الثاقب وكمال العقل:

إذا مــا رآهُ اللهُ خــيراً لِمَعْــشَرٍ

تــولّى علــيهم ثاقِــبَ الــرأي عــاقلا

---

(1) نفسه.

(2) ديوانه ص 320.

(3) في الأدب العباسي ص 360.

ويمدحه كذلك بأنه يملك بمنطقه فصل الخطاب، ويخوض به لجة العلم، ويحكم بما جاءت به آيات الله:

أظَلَّ على فصل الخطاب بِمَنْطقٍ
إذا جَدَّ في المعنى أصاب المقاتلا
تعبَّدَ ألفاظَ الإلهِ بلفظهِ
ويفصِلُ بالحقِّ المُبينِ المَقابلا
فيشفي قلوبَ السائلين مجاوباً
كما يختمُ الأفواهَ إنْ كان سائِلا
يخوضُ بِلُجِّ العِلْم غيرَ مُشَمِّرٍ
عنِ السَّاقِ حتّى يَحْسِبَ اللُّجُّ سائِلا

ويمدحه – كذلك – بسرعة الإدراك والنباهة والذكاء ونصرة الحق:

ويدركُ ما قالوا جميعاً فجاءَةً
ويبداهُم بالمشكلاتِ مُقَابِلا
إذا هُوَ حاجَى ذا الحَجَى نَصرَ الهُدَى
وأنتَ تراه مُرْشِداً لا مُخاتِلا[1]

وعندما يمدح أحمد بن عليٍّ وكان كاتبا؛ فإنه يصفه بأنه رئيس البلاغة والكتابة وأنه بذلك يشرّف الكتاب:

وامْدَحْ رئيسَ بَلاغَةٍ وكتابَةٍ
زانَ الْوُلاةَ وَشَرَّفَ الكُتّابا

ويمدحه بأن له قريحة نورية وبأنه لا يخلف وعده:

وقريحةٌ نوريةٌ لو جُسِّمَتْ
كانتْ لأقراطِ الذكاءِ شِهابا
ومواعداً لكَ يُنتجزن تتابعاً
إذْ وَعْدُ غيركَ يستحيل تُرابا[2]

وعندما يمدح ابن يزداد، وكان أميراً على البصرة، فإنه يمدحه بالعدل وردّ الظلامات عن المظلومين، وهو في ذلك لا يخاف لومة لائم لأنه يحكم شرع الله وتقواه:

---

(1) ديوانه ص 292 وما بعدها.

(2) نفسه ص 29.

زَحْزَحْتَ عَنْ كُلِّ مظلومٍ ظُلامَتَهُ
فصارَ مُلْكُكَ للراجين مظلوما
فحين حُكِّمْتَ في الدنيا وزُخرفها
حَكَّمْتَ دينكَ في دنياكَ تحكيما[1]

ولعلّ شاعرنا كان يجري في ذلك مجرى الشعراء العباسيين الذين كانوا يلائمون بين مدائحهم وممدوحيهم، وقد لاحظ ابن رشيق[2] هذا التطور الذي أصاب قصيدة المديح فذكر أنه ينبغي أن يكون قصد الشاعر في مدح الكاتب والوزير ما ناسب حسن الرويّة، وسرعة الخاطر بالصواب، وشدة الحزم، وقلة الغفلة، وجودة النظر للخليفة والنيابة عنه في المعضلات بالرأي أو بالذات، وبأنه محمود السيرة، حسن السياسة، لطيف الحس، فإن أضاف إلى ذلك البلاغة والخط، والتفنن في العلم؛ كان غاية.

وأفضل ما مدح به القائد: الجود، والشجاعة، وما تفرع منهما، نحو التخرق في الهيئات، والإفراط في النجدة، وسرعة البطش، وما شاكل ذلك.

ويمدح القاضي بما ناسب العدل والإنصاف، وتقريب البعيد في الحق، وتبعيد القريب، والأخذ للضعيف من القوي، والمساواة بين الفقير والغني، وانبساط الوجه، ولين الجانب، وقلة المبالاة في إقامة الحدود واستخراج الحقوق، فإن زاد إلى ذلك ذكر الوَرَع، والتحرج، وما شاكلهما، فقد بلغ النهاية.

ويرجع الدكتور هدّارة[3] هذا التخصص في شعر المديح إلى تشعب الحياة الفكرية وتعقدها.

ويسجّل الخبزأرزي في مدائحه للأمراء والولاة الأحداث التي تحدث في عهودهم، وأعمالهم التي قاموا بها، فنراه يذكر إخماد ابن يزداد للفتن التي كانت بالبصرة، وكيف أنّه رَدَّ إليها الأمن والأمان:

---

(1) نفسه ص 320.
(2) العمدة 2/ 134.
(3) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ص 370.

هــذا ابــن يــزداد الــذي أيامــه كَــسَتِ الــبلادَ بــشاشةً وجَمــالا

للبَــصرة الفــوزُ العظــيم فأمْنُهــا عَمَــرَ البقــاعَ وثمَّــرَ الأمــوالا

مهَــدّتها بــالرّفق منــك وطَالمــا بــالْحَرْقِ زُلْــزِلَ أهلــها زِلــزالا

فــاللهُ وقّــاهُمْ ببيتــك واتقّــوا واللهُ بلّغهــم بِــكَ الآمــالا[1]

ويكرر هذه المعاني في قصيدة أخرى ميمية؛ فيصف البصرة بأنها إقليم الشقاق ولكن ابن يزداد، بمقدرته وعدله وحزمه وإحسانه جعلها إقليماً متآلفاً:

صارتْ بك البصرة المأوى وقد غَنِيَتْ

وصــار مغنومُهــا في النــاس مغنومــا

عهدي بهـا وهـي إقلـيم الـشقاقِ فَقَدْ

صَــيَّرْتها أنْــتَ للتّــأليفِ إقليمــا

فــزادكَ اللهُ تمكينـــاً ومقـــدرةً

وزادَ أنـف الـذي عـاداك ترغيمـا[2]

ويؤرخ لنا في شعره تولّي البريديين مدينة البصرة ويصفهم بالكرم والشجاعة:

غــرّ البريــديين أحــسنُ منظــراً

للنـــاسِ فيـــه حـــدائقُ الآمـــالِ

إقبـال دولـتهم علـى كـل الـورى

متتـــابعٌ بفوائـــدِ الإقبـــالِ

قــد كــادت الأرزاق تقفــلُ فــانبرتْ

بركـــاتُهمْ بمفـــاتحِ الأقفـــالِ

وهـــمُ الثلاثــة شــبٌ فــيهم رابــعٌ

مِــنْ ذي المعــالي وهــو جــدٌ عــالِ

(1) ديوانه ص 290.

(2) نفسه ص 320.

أيــــامكم في العـــــالمين كأنهــــا

مِـــنْ حُـــسْنِها مـــصقولةٌ بِـــصِقالِ

عظمــتْ كفــايتكُمْ وَجَــلَّ عنــاؤكم

فــيكم تـــسيرُ ســـوائِرُ الأمثـــالِ[1]

وخصيصة واضحة في مدح الخبزأرزي، وهي أنه كان يستغل اسم الممدوح ويشتق منه بعض المعاني الخاصة بالمديح؛ مثل قوله في مدح أبي القاسم علي بن محمد التنوخي:

قَــسَمْتَ العطايــا إذ كُنيــتَ بقاســمٍ لأنــك تُكْنَــى بالــذي ظِلْــتَ فــاعلا

لعمــري لــئن سمّــى أبــاكَ مُحَمَّــدا وأنــتَ عليّــاً قــد أصــابَ الــسّوائلا

هُمــا اسْــمانِ شُــقَّا مِــنْ عُــلاً ومحامــدٍ رَأَوْا فيكمــا منهــا قــديماً مخــايلا[2]

ومثل قوله في قصيدة لامية يمدح بها أبا الحسن محمد بن يزداد:

صَــدَقَ الــذي سمّــى الأمــير محمــداً فهـــو المحمـــدُ ســـيرةً وخـــصالا

هــذا أبــو حــسن الــذي إحــسانه رَدَّ الأجـــاجَ مـــن الحيـــاة زلالا[3]

ومثل قوله في قصيدة ميمية يمدح شخصاً يسمى أبا عمر:

أبـــا عُمَـــرٍ عُمِـــرَتْ ســـاحتاكَ بِغَـــوْثِ اللطيـــفِ ورعـــي الـــذّمَمْ

ونلاحظ أنه في مدحه للممدوح لا ينسى أبناء الممدوح فيشير إليهم من خلال مدحه للممدوح كما في قصيدته الميمية السابقة؛ إذ يقول:

فَرِفْــدُكَ جــارٍ عَلَــى مَــنْ أقــامَ وبِـــرُّكَ زادَ لِمَـــنْ لَـــمْ يَقُـــمْ

وفي ابنـــكَ جُـــودٌ وتَوْفيقُـــه لِيَبْلُـــو أبــاهُ عَلَــى مــا رَسَــمْ[4]

(1) ديوانه ص 305.

(2) نفسه 295.

(3) نفسه ص 290.

(4) ديوانه ص 311 وما بعدها.

ومدائحه كانت مجالاً كبيراً لبث أحزانه وهمومه من مثل شكواه للأمير ابن يزداد الذي يبدو أنه كان قد وعده شيئاً ولكن الكاتب أخذ يماطل في تنفيذ طلب الأمير، وقد شك الخبزأرزي في أنّ الأمير هو الذي أبطل ما كان قد رسمه له؛ فيقول مخاطباً الأمير:

إنـي لأكـتم حاجـاتٍ ستثقِلُني ... وأثقَلُ السُّقم سِقمٌ كانَ مكتوما
ما حيلةُ العبدِ في إذكار سيّدِهِ ... بعدَ التغافُلِ عمّا كانَ معلوما
بينا أؤمـل أن ازدادَ نافلةً ... حتى منعتَ الذي قد كانَ مرسوما
والموتُ أجْمَلُ بالإنسانِ منزلةً ... مِنْ أنْ يُرى بخطام الذلّ مخطوما
لمَ أخّرَ الكاتبُ الإنجازَ موعدتي ... وكيف لا يجعل التأخير تقديما

ثم يقول:

لكن أرى المَطْلَ داءً في تطاوله ... وبالعنايةِ تُلقى الدّاءَ مَحْسُوما
هَلْ غيرُ إحسانِ فعلٍ أو إساءَتِهِ ... يبقى جزاؤهما في الصحفِ مَرْقوما
لا خيرَ في القولِ معسولاً مذاقتُه ... حتى إذا اختبروه كان مسموما
لا بُدّ مِنْ نفثةِ المَصْدورِ ينفثُها ... لولا الكلامُ لكانَ القلبُ مكلوما[1]

وفي قصيدة رائية يشكو الحساد والواشين الذين وجهوا له كلاماً قاسياً وأشعاراً نارية؛ وهو يستجير بالممدوح لإبعاد هؤلاء الواشين الكائدين:

أيها السيّد استجارتْ بِكَ الأيّـ ... ـامُ واستنصرتْ بِكَ الأشعار
يالقوم هاجوا هديرَ القوافي ... وتصافَوْا إذ راعُهُمْ فيهِ نارُ
ورموني بأسْهُم عَنْ قِسِيٍّ ... ما لها مِنْ حقيقةٍ أوْتارُ
ألْسُنٌ صادَفَتْ مبادِرَ غَيْثٍ ... فجَرتْ وهي في الحطام آبارُ
بهتوا غَيْبَتِي ببُهتانِ زوُرٍ ... عن قعودي فالزّورُ فيه ازورار[2]

---

(1) نفسه ص 320.

(2) ديوانه ص 111.

وقد اتخذ الخبزأرزي من قصيدة المديح وسيلة للارتزاق، وكاد لا يخجل من الطلب إن تلميحاً أو تصريحاً، ونحس من خلال قراءتنا لقصائده المدحية أنه دائم الاستجداء من الممدوحين كقوله يخاطب شخصاً يسمى أبا عمر:

وَلِي حاجَةٌ لَمْ أُطِقْ بَثَّها ... حياءً وقَدْ أخذتْ بالكظِمْ
أهابُكَ فيها لأنَّ الكَريمَ ... يُهابُ وإنْ كانَ لا يُحْتَشَمْ
لساني تَلَجْلَجَ عن حاجتي ... فترجمُها بلسانِ القَلَمْ
ويُشْرُكَ بَشرَّني بالمُنى ... وحُسْنُ الغنيِّ افتتاح الكرمْ
وقد جَدَّ عزمي على رِحلةٍ ... أجدِّد فيها صلاتِ الرَّحِمْ
فأنْعِمْ أياديكَ في رحلتي ... فحقُّ أياديكَ أنْ تُستَتِمْ[1]

وهو لا ينسى أن يقدّم شكره على ما فعله لإنقاذه مما كان فيه من بؤس وشقاء؛ فيقول في قصيدة ميمية مخاطبا ممدوحه:

ألستَ صَحَّحْتَ لي مودة أيَّا ... مي وقَدْ كانَ وَدُّهُنَّ سقيما
ألستَ آوَيتني وقد طردَ النّا ... سُ رجائي طَرْدَ الوصيِّ اليتيما
ورَمَمْتَ الرجاءَ وهو رميمٌ ... ثمّ أنتجْتَهُ وكانَ عقيما
فيقول الذي بدا كَشْف ضري ... إنّ ربي يحيي العظامَ الرَّميما
فَدَرَكْتَ بي لك الأمانَ وكانتْ ... هُمماً تُرْتَقَى وكانتْ هُمُوما
فغدا اسماً مُحجلاً بأياديك ... غُرّاً وكانَ قبلُ بهيما
فلو أنّي سكتُّ عن شكر آثا ... رك كَلَّمْنَ ذا الورى تكليما[2]

(1) نفسه ص 311. وقد ظن الدكتور شوقي ضيف أن شعر الخبزأرزي يخلو من التكسب يقول: "... لم يكن يحترف صنع الشعر للتكسب به وعرضه على الخلفاء وغير الخلفاء ليمنحوه الجوائز المالية الضخمة...". انظر: العصر العباسي الثاني ص 511.

(2) ديوانه ص 322.

ويقول في قصيدة فائية مخاطباً ممدوحه:

نظــرتْ إلـــيَّ الحادثـــاتُ فرَدَّهـــا   عـــني الأمـــيرُ وطَرْفُهـــا مطـــروفُ
لمـــا اسْـــتَعْنتُ علـــى الزمـــانِ بآبـــدٍ   نكـــصَ الزمـــانُ فـــصرفُه مِـــصروفُ
لـــولا خلائِـــقُ في الكـــريم كريمـــةٌ   لم يُـــستَبَنْ أنّ الـــشريفَ شـــريفُ[1]

وسمةُ أخرى بارزة في قصائده المدحية، وهي أنه كان يمدح شعره في القصيدة التي يقدمها بين يدي الممدوح؛ ففي قصيدته البائية التي قالها في مدح أحمد بن علي، يشبه هذه القصيدة في جمالها وبهائها بالعروس التي زفت إلى الممدوح كما يشبهها برضاب الحبيب:

خُـذْها إليـك أبـا الحـسين عروسـةً
زُفَّـتْ إليـك علـى البُنـودِ شـبابا
فـإذا بَـدَتْ مِـنْ خِـدْرِها جُعِلَـتْ لهـا
حركـــاتُ أفهـــامَ الرجـــالِ ثِيَابـــا
فـــيظنّ ســـامِعُها لِحُـــسْنِ نظامِهَـــا
أنْ قـــد نُثِـــرَتْ لـــسامعيه سَـــحابا
ويظـــنّ منـــشدها لعـــذبِ كلامِهـــا
أنْ قَـدْ ترشّـفَ للحبيـب رُضـابا[2]

ويكرر الخبزأرزي صفة العروس في قصيدته الهائية، وهي بكر المعاني، وخير العرائس بكرها:

فـــدونكها بِكْـــرُ المعـــاني زَفَفْتُهـــا
عروساً ومِنْ خـير العـرائِسِ بِكْرُهـا[3]

(1) نفسه ص 237.
(2) ديوانه ص 29.
(3) نفسه ص 125.

ويشبه مديحه في الأمير ابن يزداد بقبلة الحبيب:

مـدحٌ يَلَـذُّ مـن الأفـواه مَرْشَـفُه
كمـا يُلَـذُّ مـن المعـشوق تقبيـلُ[1]

ونلاحظ أنه كان ينهي قصائده المدحية بالدعاء للممدوح؛ فهو يختتم قصيدته الدّالية بالدعاء لأمير البصرة ابن يزداد بأن يزيده الله عزاً، ونصراً، وتمكيناً، وتأييدا:

فـزادك الله في بـدو وعافيـة
عِـزّاً ونـصراً وتمكينـاً وتأييـداً[2]

ويدعو لأحمد بن علي بأن تبقى يداه مبسوطتان بالنعمة والسُّطوة بالنعمة حتى يرجوه الناس وبالسُّطوة حتى يهابوه:

لا زلـتَ مبـسوطَ اليـدين بنعمـةٍ
ويـسَطْوَةٍ كـي تُرْتجـى وتُهابـا[3]

ويدعو لممدوح آخر بطول العمر؛ فيقول:

إذا نحـن قلنـا طـالَ عُمْـرُكَ أيْنَعَـتْ
يَـداكَ المعـالي أنَّ عُمْـرَكَ عمرُهـا[4]

هـذه هـي مـدائح الخبـزأرزي لـولاة البـصرة، وأمرائهـا، وقـضاتها وكتّابهـا، وكبـار رجالاتها، ورأينا أنه لم يلتزم المقدمة الطللية في القصائد كلها، كما إنه رسـم في هـذه القـصائد المثالية الخلقية المتوارثة، كما حرص على مدح ممدوحيه بالمعاني الإسلامية السامية، وقـد لاءَم بين مدائحه وممدوحيه، وسجل بعض الحوادث التاريخية التي وقعت في مدينة البصرة، كما أنـه كان يستغل اسم الممدوح بتوليد معان جديدة للمـديح، وكانـت مدائحـه مجـالاً لبـث أحزانـه وهمومه كما كانت وسيلة للارتزاق والطلب، وكانت مجالات للفخر بشعره كمـا أنهـا كانـت مجالاً للدعاء للممدوح بكل ما يتمنى من خير وصحة وعافية.

---

(1) نفسه ص 287.

(2) ديوانه ص 66.

(3) نفسه ص 29.

(4) نفسه ص 125.

الحكمــة

وللخبزأرزي نظرات صائبة في الحياة أوحت إليه بهـا تجاربـه الإنـسانية، ونلاحـظ أنّ هذه النظرات مبثوثة في شعره، في قصائد، أو مقطوعات مستقلة، أو أبيات مفـردة، أو مبثوثـة في أثناء قصائده التي قالها في موضوعات مختلفة.

ومن جوامع حكمه قصيدته اللامية التي يقول فيها:

لسانُ الفَتى خنقُ الفتى حين يجهلُ
وكـل امـرئٍ مـا بـين فكّيه مقتـلُ

إذا مـا لـسانُ المَـرْءِ أكْثِـرَ هـذرَهُ
فـذاكَ لـسانٌ بـالبَلاءِ مُوكّـلُ

وكَـمْ فـاتحٍ أبْـوابَ شَـرٍّ لِنَفْـسِهِ
إذا لَـمْ يَكُـنْ قُفْـلٌ عَلَـى فيـهِ مُقْفَلُ

كـذا مَـنْ رَمَـى يَوْمـاً شـرارات لفظِـهِ
تلقّتـهُ نـيرانُ الجوابـاتِ تـشعلُ

ومَـنْ لَـمْ يقيّـدْ لَفْظَـهُ مُـتَجَمّلاً
سـيطلقُ فيـه كـل مـا لـيس يجمـل

ومَـنْ لمْ يَكُـنْ في فيـهِ مـاءُ صِـيَانَةٍ
فمـنْ وجهـهِ غُـصْنُ المهابـةِ يَـذْبُلُ

فلا تَحْـسَبَنَّ الفـضلَ في الحلْـم وحـدهُ
بل الجهـلُ في بعـضِ الأحـايين أفـضلُ

ومَنْ ينتصرْ مِمَّـنْ بغـى فهـوَ مـا بغـى
وشَـرٌّ المـسيئين الـذي هـو أوّلُ

وقَـدْ أوْجَـبَ اللهُ القِـصاصَ بعدْلـهِ
وللهِ حُكْـمٌ في العقوبـات مُنْـزَلُ

فـإنْ كـانَ قَـوْلٌ قَـدْ أصـابَ مقَـاتِلاً
فـإنَّ جَـوَابَ القَـوْلِ أدهـى وأقتـلُ

وقـد قيـلَ في حفـظ اللسانِ وخَزْنِـهِ
مـسائِلُ مِـنْ كُـلِّ الفـضائِلِ أكْمَـلُ

ومَـنْ لَـمْ تقرّبْـهُ سـلامَةُ غَيْبِـهِ
فقربانُـه في الوَجْـهِ لا يُتَقبَّـلُ

ومـنْ يتخـذْ سـوءَ التخلّـفِ عـادةً
فَلَـيْسَ لَدَيْـهِ في عِتـابٍ معـوّلُ

ومَـنْ كثـرتْ منـهُ الوقيعـةُ طالبـاً
بهـا عـزةً فهـو المهـينُ المُـذَلَّلُ

وعَـدْلٌ مكافـاةُ المُـسيءِ بفعْلِـهِ
فمـاذا علـى مَـنْ في القـضيةِ يَعْـدِلُ؟

ولا فـضل في الحسنى إلى مـن يحسّها
بلـى عنـد مَـنْ يزكـو لديـهِ التفـضّلُ

ومَنْ جَعَلَ التعـريضَ محصولَ مَزْحِهِ
فـذاكَ علـى المَقْـتِ المـصرّح يحـصلُ

ومَـنْ أمِـنَ الآفـاتِ عُجْبـاً برأيـهِ
أحاطَتْ بهِ الآفاتُ مـن حيـثُ يَجْهَـلُ

أعَلّمكُـم مـا عَلّمَـتْني تجـاربي
وقـد قـال قَبلـي قائـلٌ متمثّـلُ:

إذا قُلْـتَ قَـوْلاً كُنْـتَ رَهْـنَ جوابِـهِ
فحاذرْ جَوَابَ السُّوءِ إنْ كُنْـتَ تَعْقِـلُ

إذا شِـئْتَ أنْ تحْيَـا سـعيداً مُـسَلَّماً
فَـدَبِّرْ وَمَيِّـزْ مـا تقـولُ وتفعَـلُ[1]

---

[1] تاريخ بغداد 13/297 وما بعدها.

والخبزأرزي – في هذه القصيدة – يدخل في موضوع الحكمة مباشرة دون مقدمة طلليّة، أو غزلية، وهو يحثنا على ما يلي:

1. عدم الإكثار من الهذر؛ لأنّ الهذر يؤدّي إلى الهلاك، ويجب على الإنسان أن يحفظ لسانه، ولا يتحدّث إلاّ بما يليق. ولعله بهذا يعبّر عن المثل الذي يقول: لسانك حصانك؛ إن صنته صانك، وإنْ أهنته أهانكْ.
2. الاّ نبدأ بالاعتداء، فالبادئ أظلم.
3. الوفاء بالوعد.
4. عدم الغيبة، وعدم الوقيعة بين النّاس.
5. عدم التعصّب للرأي.
6. التدبر قبل العمل.

وفي مقطوعة أخرى يتحدّث عن تجاربه في هذه الحياة، فيقول متحدّثاً عن الشهوة، وما يعقبها من غمٍّ، وهَمّ، وسلب للدين والمروءَة:

كَمْ شهوةٍ مستقِرّةٍ فَرحا
قد انجلت عن حلولِ آفاتِ
وكَمْ جهولٍ تراهُ مشترياً
سُرورَ وَقْتٍ بغمٍّ أوقاتِ
كَمْ شهواتٍ سَلَبْنَ صاحبَها
ثوْبَ الدياناتِ والمروءاتِ[1]

ومثل هذه الحكم الوعظية نجدها كثيراً في شعره، مثل قوله يحث الإنسان على الصبر:

أيُّها الإنسانُ صَبْراً إنَّ بَعْدَ العُسْرِ يُسْرًا
كَم رأينا اليومَ حُرّاً لم يكنْ بالأمسِ حُرًّا

---

[1] تاريخ بغداد 13/ 296.

لازمَ الصَّبْرَ فأمْسَى مالكاً ضُرّاً وصَبْرا
واشْرَبِ الصّبْرَ وإنْ كانَ مِنَ الصَّبْرِ أَمَرّا[1]

وقوله في مقطوعة أخرى يحث الإنسان على السعي والعمل، وألاّ يخاف شيئاً؛ بل يوكل أمره إلى القدر، فلا يغني حذر عن قدر:

كُنْ في أُمورِكَ ساعياً فالشَّيْءُ يقهرُهُ القَدَرْ
ليس التَّحَرُّزُ نافِعاً ولقلّما يُغْني الْحَذَرْ
كُلُّ الأُمورِ إلى الْقَدَرْ فإذا أتى عَشِيَ الْبَصَرْ.[2]

ونجد عنده ألواناً من الحكم الاجتماعية؛ مثل حثّه الإنسان الذي يبحث عن دار يسكنها، أن يسأل أولاً وقبل كل شيء عن الجار؛ فالجار قبل الدار:

إذا حَاوَلْتَ إيطاناً بِدارٍ فَفَتِّشْ قَبْلَ ذاكَ عَنِ الجِوَارِ
فإنْ أَلْفَيْتَ جارَكَ ذا احتفاظٍ
نَقِيَّ الْجيبِ مأمونَ الإزارِ
فجاوِرْهُ فقَدْ قَدَّمْتَ خَيْراً ودارُكَ بَعْدَ ذلكَ خَيْرُ دارِ[3]

ومثل قوله في مطلع مقطوعة له:

عَنِ الجارِ يَسْأَلُ باغي الْمَحَلّ قبلَ السّؤالِ عَنِ المنزِلِ[4]

وأبيات الخبزأرزي الحكمية المفردة، تعالج مختلف جوانب الحياة من مثل حديثه عن المسارَرَةِ في المجالس:

إذا أَنْتَ سارَرْتَ في مجلسٍ فإنّكَ في أهْلِهِ مُتَّهَمْ
فهذا يقولُ قَدِ اغْتابَنِي وذا يَسْتَرِيبُ وذا يتّهِمْ.[5]

(1) ديوانه ص 129.
(2) ديوانه ص 93.
(3) ديوانه ص 165.
(4) ديوانه ص 304.
(5) نفسه ص 312 وانظر محاضرات الأدباء 1/ 128.

ومثل تحمل المكاره في نيل المكارم:

فَقُــلْ لمرجّــي معــالي الأمــور　　بغــيرِ اجتهــادٍ: رَجَـوْتَ المُحــالا[1]

ومثل نصحه للإنسان ألاّ يكون وحده:

كُــنْ في الجماعــاتِ حيــثُ كــانوا　　فــالموتُ عُــرْسٌ مــع الجميــعِ[2]

ومثل نصحه الذي يتعب نفسه في تجميل نفسه، ألاّ يفعل ذلك لأنه مهما فعل فلن يزيد شيئاً على ما هو عليه:

فَــلا تُمُــنَّ بتنميــقٍ تُكَلِّفُــهُ　　لــصورةٍ حُــسْنُها الأصــليُّ يكفيهــا

إنّ الــدنانيرَ لا تُجلَــى وإنْ عَتُقَــتْ　　ولا تُزادُ علـى الْحُسْنِ الّـذي فيهـا[3]

وألاّ ينخدع الإنسان بالمنظر:

لا تَنظُــرَنْ إلى أثــوابِ مُغْتَــرِبٍ　　نــائي المَحــلُّ بعيــدِ الأهْــلِ والــدّارِ

وانْظُــرْ إِلَيْــهِ إذا مــا قــامَ في مــلأٍ　　بِمنطــقٍ لِــذَوي الألْبــابِ سَــحّارِ[4]

ومثل هذا كثير في شعره.

أمّا حكمةُ المبثوثة في قصائده؛ فنجدها في أغراضه التقليدية كالمديح، والغزل.

المديح: للمديح – كما رأينا عند حديثنا عن غرض المديح – نصيب وافر في شعر الخبزأرزي، وكما رأينا أيضاً، فقد كان يتخذ المديح وسيلة للارتزاق والطلب، وهو في مدائحه كلّها تقريباً، يعزّز أقواله بالحكم، من مثل قوله في مديح أحد الأشخاص:

---

(1) محاضرات الأدباء 1/ 130، 2/ 446.

(2) ديوانه ص 438.

(3) أمالي المرتضى 1/ 575، ومعجم الأدباء 18/ 221.

(4) شرح مقامات الحريري 2/ 201.

رأيْـتُ غِنَـى الـنَّفْسِ خَيْـرَ الغِنـى
كـذا عَـدَمُ الـصَّبْرِ شَـرُّ العَـدَمْ
وَخَيْـرُ الأَخِـلاءِ مَـنْ إنْ رَأى
جَمـيلاً أشَـاعَ وَعَيْبـاً كَـتَمْ[1]

فهو يؤمن بأنّ الغنى غنى النفس، وأنّ الصّبر واجب على الإنسان، ويرى أنّ خير الأصدقاء من إذا رأى خيراً أشاعه وإن رأى عيباً كتمه.

ومما ورد له من شعر الحكمة في شعر المديح، قوله من قصيدة يمدح بها ابن يزداد والي البصرة:

والْمَـوْتُ أجْمَـلُ بالإنـسان منزلـةً
مِـنْ أنْ يُـرَى بِخُطـامِ الـذُّلِ مَخطُومـا

فالموت أفضل من حياة الذلّ.

وقوله في القصيدة نفسها:

ولا يُـلامُ فتـىً يَحْتَـاطُ مُنْتَـصِحاً
لَيسَ احتياطُ الْفَتَى في النُّصْحِ مـذموما
لكـنْ أرَى الْمَطْـلَ داءً في تطاولـه
وبالعنايـةِ تُلْقـى الـدَّاءَ مَحْـسُوما[2]

فهو يرى أن الاحتياط غير مذموم، بل المذموم هو داء المطل.

وهو يختتم قصيدته بهذه الحكمة:

لا خَيْـرَ في القـولِ معـسولاً مذاقَتُـهُ
حتـى إذا اختـبروهُ كـانَ مَـسْمُوما

(1) ديوانه ص 310.
(2) نفسه ص 321.

لا بُـدَّ مِـنْ نَفْثَـةِ المَـصدورِ يَنْفُثُهـا
لَوْلا الكـلام لكـانَ القَلْـبُ مَكْلُومـا[1]

فالقول وحده لا ينفع، ولا بد كذلك للمكلوم مِنْ إظهار شكواه لأن عدم الإفصاح عن الشكوى يزيد من ألم القلب.

وهو يبدأ إحدى قصائده المدحية بالحكمة، كما في قصيدته اللاّمية التي قالها في مدح القاضي التنوخي، يقول:

أعـاذل حَسْبُ المرءِ بالـشيبِ عـاذِلا
وأفْحَشُ جهلٍ أنْ يُرى الكهـلُ جـاهلا

أعاذل قـد أفـضيتُ في اللـهو والـصّبا
طـويلاً فلـمْ يكـسبْني اللـهوُ طـائِلا

أَكَلْـتُ ثمـارَ الـدَّهرِ والـدَّهْرُ آكِـلٌ
حيـاتي وأَغْـضَبْتُ الـذي لَـيْسَ غـافلا

فهو يرى أنّ الشيب خير لائم للإنسان، وخير واعظ يردّه عن غيّه؛ فهو قد قضى شبابه في اللهو الذي لم يعد عليه بشيءٍ يذكر، بل عاد عليه بما يناسب فعله، وهو غضب الله سبحانه وتعالى.

ويمضي بعد ذلك في إيراد حكمه التي تعلمها من تجاربه في الحياة؛ فيقول عن الوقت:

ومـا الوَقْـتُ إلاَّ كـالمودَعِ إنّمـا
نـراهُ بمـا فيـه مِـنَ الحـالِ زائِـلا

ثم يمضي في تبيان صفات الممدوح، ويبرهن على أنَّ الجيد لا يخلّف إلاَّ جيداً، فصفات الممدوح قد ورثها عن آبائه وأجداده، ويدلّل على هذا بأسلوب الحكيم المجرب:

كـذي جـوهرٍ بـانَ المعـادنَ كُلَّهـا
وبهـديها قـد تـستتم الفـضائِلا

كـذلك تـأبيرُ المغـارِسِ في الثّـرى
تزكّـي وتُنْمِـي في الفـروع المـمائِلا

---

[1] ديوانه ص 321.

كـذا الـسيف في سـنخِ الحديـد فِرَنْـدُهُ

وإنْ يجتلـي حتّـى يكـدٌ الـصّيَاقِلا[1]

الغزل: كان الخبزأرزي من أبرز شعراء الغزل في العصر العباسي ولـو بحثنا عـن الحكمـة في أشعاره الغزلية، لوجدنا الكثير منهـا مبثوثـاً في قـصائده ومقطوعاتـه، فهـو يقـول في إحـدى قصائده الغزلية:

ففي الْغَـدْرِ تنغـيصٌ وفي الهجـرِ مِحْنَـةٌ   فقـد نـالني منـكَ العـذابُ مـضَعّفا

ظننّـا بكـم ظنّـاً جمـيلاً لمـيلكم   إليْنـا ولكـنْ ذلـك الظـنّ أخْلَفـا

إذا غابَ ماءُ الغُصْنِ عَنْ روضـةِ المنـى

فَحُـقٌ لأَغْـصانِ الْمُنـى أنْ تُقَـصَّفا

إذا رَحَلَ الإنصافُ عَنْ عرصـة الهـوى

فمـا للرّضـى عـذرٌ بـأنْ يتخَلّفـا[2]

وهو في معظم قصائده الغزلية يستوحي الحكمة من الموقـف العـام في القـصيدة مثـل قوله في قصيدة غزلية يتحدث فيها عن خلف حبيبه بوعده:

حفـاظُ الْفَتـى في غيبـه ووفـاؤُه

هُوَ الْفَـرْقُ مـا بـين الْقَطيعـةِ والْوَصْـلِ

وَمـا غائِـبٌ مَـنْ غـابَ وَهـو محـافِظٌ

وما زائرٌ مَنْ زارَ وهـو علـى رِجْـلِ[3]

فالحبيب يجب أن يحفظ حق من يحب في غيبته، فالـذي يفعـل ذلـك فكأنـه لم يغـب، وكذلك الزائر الذي يزور متعجّلاً، فكأنه لم يقر بحق الزيارة.

---

(1) ديوانه ص 292 وما بعدها.

(2) ديوانه ص 247.

(3) ديوانه ص 300.

وهو يختتم أحياناً قصائده الغزلية بأبيات في الحكمة تتصل بموضوع القصيدة، كقوله في الغيرة:

وما غَيْرَةُ العُشّاقِ إلاّ وفاؤُهُمْ
وَكُلُّ مُحِبٌّ لا يغارُ فلن يفي[1]

وقوله في ختام قصيدة غزلية أخرى:

وَذُو الجَهْلِ يُنْصِفُ مَنْ ضامَهُ
سَفاهاً ويَظْلِمُ مَنْ أنْصَفَهْ[2]

ونجد عنده بعض المقطوعات الغزلية تختصّ بالحكمة، وكأنّه يحكي لنا فيها تجاربه؛ كما في قوله مثلاً عن أهل العشق والحب والغرام:

أهْلُ الغَرامِ إذا ما استُعْطِفوا عَطَفُوا
والحُرُّ يُعطي ويعفُو وهو معترِفُ

والصُلْحُ خَيْرٌ وفي الإغضاءِ مَكْرُمَةٌ
وفي الوفاءِ لأخْداقِ الْفَتى شَرَفُ

والْعَفْوُ بَعْدَ اقتدارٍ فِعْلُهُ شَرَفٌ
والْهَجْرُ بَعْدَ اغتفارٍ فِعْلُهُ سَرَفُ[3]

ومثل هذا كثير في شعره.

---

(1) ديوانه ص 256.

(2) ديوانه ص 251.

(3) ديوانه ص 231.

الوصف

لقد شغف شاعرنا – مثل غيره من شعراء العصر العباسي – بوصف الطبيعة، ومناظرها الفاتنة، ومع أننا لا نجد في شعره الوصفي عمقاً إلاّ أننا نجد تجاوباً وجدانياً بين الشاعر ومظاهر الطبيعة المختلفة، ومن خير ما يصوّر ذلك وصفه للشقائق إذ يقول:

وَرَوْضَةٍ راضَها النّدى فَغَدَتْ ... لها مِنَ الزّهْرِ أَنْجُمٌ زُهْرُ
تنشرُ فيها أيدي الربيع لَنا ... ثوْباً من الْوَشْي حَاكَهُ الْقَطْرُ
كأنّما شُقَّ مِنْ شقائقَها ... على رُباهَا مطارِفٌ خُضْرُ
ثُمّ تَبَدّتْ كأنّها حَدَقٌ ... أجفانُها مِنْ دمائِها حُمْرُ[1]

ويشبه هذه المقطوعة وصفه لروضة فيها الورد والنرجس:

وَرَوْضَةٍ غَرْسُنَا يُغَرِّسُها ... حَريرُها مُشْرِقٌ وسُنْدسُها
يحكي خُدودَ المِلاحِ ثامِرُها ... وأعينَ الغانياتِ نَرْجِسُها
إذا نسيمُ الرّياحِ قابَلَها ... طيّبَ ما بَيْنَنا تنفّسُها
تَزْدادُ طيباً بِمَنْ يُحَرِّكُها ... وعارِفٌ حقَّها مُنَكِّسُها[2]

ووصف مظاهر الطبيعة يتصل عند الخبزأرزي مباشرة بمجلس الخمر والشرب من مثل قوله:

أشموسٌ أمْ بدورُ ... أمْ عُيُونٌ أمْ ثغورُ
بنباتِ النرجس الغضّ م ... لنا ثَمّ السّرورُ
ذَهَبٌ بينَ لُجَيْنٍ ... فيه مِسْكٌ وعَبيرُ
أعْيُنٌ رُكّبَ فيها ... حِدَقٌ ليست تدورُ
فَاسْقِنِي قائِلَةَ الأ ... جرانِ فاليوم مطيرُ

---

(1) معاهد التنصيص 2/ 6.

(2) ديوانه ص 194.

وتغنّــــوا مَـــــنْ لِقَلْـــــبٍ   فيـــــهِ للـــــشَّوْقِ سَـــــعيرُ[1]

وربما يمزج نشوته بالورود والزهور بنشوة الحب ونشوة الخمرة، ومن خير ما يصور ذلك قصيدته الرائية التي يحاول أن يحصي فيها كل ألوان الزهور والورود من أبيض، وأحمر، وأخضر، وأصفر:

والكـــأسُ فيـــه يـــديرُها   ســـعدٌ مِـــنَ الفَلَـــكِ المُـــدارِ

أو مـــا تـــرى نـــور الربيــــ   ــــع مـــضاحكاً نـــارَ العقـــارِ

نـــسَجَ الربيـــعُ بكفّـــهِ   حلـــلاً لأغـــصانِ العـــوارِ

بـــين ابيـــضاضٍ واحمـــرا   رٍ واصْـــفرارٍ واخْـــضِرارِ

كالـــدّرِّ واليـــاقوت والمرجـــا   نِ في حلـــــي العـــــذارِ

وكأنّمـــا العِـــشْقُ المـــبرّحُ   صـــانِعُ لـــونَ البهـــارِ

وكـــــأنّ آذريونَــــــهُ   لمّـــا تَبَـــسَّطَ للنّهـــارِ

وشـــقائق مثـــلِ الخـــدو   دِ لُطِمْـــنَ فاشـــتعلَتْ بِنـــارِ[2]

ويمضي في قصيدة أخرى فيذكر لنا الغصون والنسيم والساقي.

وروضـةٍ منـك ظَـلَّ الْغَيْـثُ يَنْسِجُهَا   حتـى إذا انتسجت أضْـحى يُـدَبّجها

يبكـي عليهـا بكـاءَ الـصَّبُّ فارَقَـهُ   إلْـفٌ فيـضحكها طَـوْراً ويُبْهِجُهـا

إذا تبـــسَّمَ فيهـــا وَرْدُ نَرْجِـــسِها   نـــاغى جـــنيٌّ خُزاماهـــا بَنَفْـــسَجُها

أقـــولُ فيهـــا لـــساقينا وفي يَـــدِهِ   كَـأْسٌ كَـشُعْلَةِ نـارٍ قـد توهجهـا

لا تمزجْنهـا بغـير الرّيـقِ منـكَ وإنْ   تبخـلْ فـإنّ دمـوعي سـوف تمزجُهـا

---

(1) ديوانه ص 119.

(2) نفسه ص 164.

أقَلُّ ما بي مِنْ حُبِّكَ أنَّ يَدِي

إذا سَعَتْ نَحْوَ قَلْبِي كادَ يُنْضِجُها[1].

وربما يضيف إلى نشوته بالورود والأزهار والرياحين وبالحب سماع القيان من مثل قوله:

هَيَّجَني تذكرّ الأظعان — والغانيات الخُرّدِ الحِسَان
يا صاحبيَّ الآن فاشفياني — لعلّ يُشفَى ألمُ الهجران
هذا أوانُ الشُّرْبِ والقيان — والمجلس الغضُّ مِنَ الريحان
أما ترى شقائقَ النّعمان — تضحكُ في بحبوحةِ البستان
رُمّانةٌ مِنْ أطيبِ الرُّمّان — لَوْلا جَوَى الْحُرْقَةِ والأحزان
لحت من في يده عناني — مَنْ لا أراهُ وهو لا يراني
أشكو إلى ذي قُدْرَةٍ مَكَاني — بثي وحرٌّ لي ألم القيان
لم يدرِ إسراري ولا إعلاني — إلاّ الذي بحبّه ابتلاني[2]

وله قصيدة بديعة يتحدث فيها عن الربيع وزهوره، ورياحينه ووروده، وطيوره التي شاركت الناس فرحتهم بقدوم الربيع بعد شتاء بارد، يقول:

قَدِمَ الربيعُ فَحَطَّ في آذارِ — بعَساكِرٍ للزَّهْرِ والأنوارِ
فتناثرتْ لقدومِها بتَفَصُّحٍ — بَعْدَ العُجومةِ ألْسُنُ الأطيارِ
وكأن إقبالَ الزمان من الشّتا — إقبالُ مسحورٍ من الأسحارِ
ومضى الشتاءُ بقرّه فتشرّبَتْ — بعد التَّجَمُّدِ جنةُ الأنهارِ
خلع الربيع على الرياض وألبست
خلع الربيع مشهر الأقطارِ
فيها رموض كالعيون تفتّحتْ — بَعْدَ الغُمُوضِ كَلَيلَةَ الأبْصَارِ

(1) ديوانه ص 46.
(2) ديوانه ص 339.

وكأنّهـــا للأقحوانـــةِ مُقْلَـــةٌ حبـــاتُ دُرٍّ طُفْـــنَ بالـــدينارِ[1]

ومضى بعد ذلك يذكر الخمرة وساقيها، ويذكر المغنية والعود في حجرها، ومشاركة العندليب والطيور الأخرى بفرحة قدوم الربيع.

وبالإضافة إلى هذه القصائد والمقطوعات المستقلة بوصف الربيع ومظاهر الطبيعة الجميلة، كان الشاعر يصف الربيع في مدائحه. وقد مرّ بنا ذلك عند حديثنا عن المديح في شعر الخبزأرزي.

ونجد عند شاعرنا – كذلك – لوناً طريفاً آخر من الوصف الذي بدأ ظهوره في القرن الثاني الهجري، وهو الوصف الساخر وهو أثر من آثار الروح الشعبية[2] وأمثل لهذا الوصف الساخر بقصيدته في وصف مأدبة طعام دعي إليها من أحد أصحابه، وقد هالَهُ ما رأى من قلة الطعام على المائدة، قال الخبزأرزي:

مـــن حـــديثي أنَّ ابْـــنَ بَكْـــرٍ دعـــاني لـــشقائي فليتـــه مـــا دعـــاني

غَرّنـــي منـــهُ منظـــرٌ ولبـــاسٌ وأثـــاثٌ ومجلـــسٌ وأوانـــي

مجلـــسٌ كالجنـــانِ حُـــسْناً ولكـــن أَقْـــبَحَ الجـــوعُ حُـــسْنَ تلـــكَ الجنـــانِ

فلعمـــري كـــانَ الخِـــوانُ ولكـــنْ لم يَكُـــنْ مـــا يكـــونُ فَـــوْقَ الخِـــوانِ

وجِفـــانٍ مثـــلُ الجـــوابي ولكـــن لـــيس فيهـــا مـــا يُـــرى بالعيـــانِ

وغُـــضارُ الألْـــوانِ جـــاءَت ولكـــنْ لـــيس فيهـــا روائِـــحُ الألْـــوانِ

---

(1) نفسه ص 162.

(2) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ص 465.

فــــإذا مـــــا أَدَرْتُ فيهــــا بَنَــــاني
لم أجـــــذْ مـــــا أَمَـــسُّهُ ببنـــــاني

إنّـــني ماضِـــغٌ علـــى غـــير شَـــيءٍ
غـــير صَـــكِّ الأَسْـــنانِ بالأَسْـــنانِ

تُرْجِـــعُ الكَــفُّ وهْـــيَ أَفْـــرَغُ مِنْهــا
عنـــد مـــدّي لهـــا فَـــدأبي وشـــاني

لـــو تراني والجـوعُ يـضحكُ مِنّـي
عنـــد غَـــسْلي يَـــدَيَّ بالأُشْـــنانِ

زادَ في الـــسُّفْرِ مُـــسْرِفاً مثلمـــا أَسْــ
ــرَفَ عنــد الطعــامِ بالنُّقْـــصانِ

والغـــضاراتُ فارغـــاتٌ أَتَتنـــا
وســـقانا بـــالمُتْرَعِ المـــلآنِ

سُـــكْرَةٌ فَـــوقَ جَوْعَـــةٍ تَـــرَكَتني
رامحـــاً كُـــلُّ جـــائعٍ سَـــكْرانِ[1]

وهذه الأبيات تدل – كما يقول شوقي ضيف – على روح الدّعابة عنده وأنه كان جميل المحضر عذب الفكاهة خفيف الظل على نفوس مواطنيه وعارفيه وعلى الشباب البصري خاصة ممّا جعلهم يتعلقون به تعلقاً شديداً[2] وتدل الأبيات، كذلك، على إبداع الخبزأرزي في هذا الوصف الساخر فهو يحوّل جمال الوصف في صدر البيت، إلى السخرية من هذا الجمال في عجزه، وكأنّ السامع لصدر البيت يستطرف الكلام، فيغلب عليه شيء من الرّاحة التي ترافق كلّ إعجابٍ بالجميل، ولكن عجز البيت يفوّت عليه تلك الهدأة؛ فإذا به يسخر ويضحك من وصف ما يسمع، فالشاعر يشبه المجلس بالجنان حسنا، ولكنه يخبرنا أنّ الجوع قد أساء إلى هذه الجنان، فالخوان موجود، ولكن لا شيء فوق الخوان، والجفان

(1) ديوان المعاني 1/297.
(2) العصر العباسي الثاني ص 511

موجودة، ولكن لا شيء فيها، أما ألوان الطعام فكثيرة، ولكن ليس لها رائحة الطعام، ويمد يده إلى الطعام، ولكنها تعود إلى فمه كما مُدّت وعلى الرغم من كل ذلك؛ فإنه يريد أن يقنع نفسه بوجود الطعام، فيبدأ بالمضغ، ولكن لا أثر لمضغ الطعام سوى صك الأسنان بالأسنان وعندما يحس بالشبع من لا شيء يقوم فيغسل يديه من أثر هذا الطعام الدسم.

وقد عثرت في ديوانه على قصيدة في وصف القلم، وربما تكون هذه القصيدة من أقدم القصائد العربية التي قيلت في وصف القلم وهو يبدؤها بقوله:

تطوي المنى عن طلاب علته   بالناسِ في كُتُبِهِ إذا نُشِرْ
وقدره فوق ما تملكه   فليس حبّي له بمُستكثَرْ
اختصه جعفر الإمام فقدْ   وُفِّقَ فيما اختصه جعفرْ

ثم ينتقل بعد ذلك للحديث عن فوائده، حتى يصل بعد ذلك للوصف، فهو ضامر الخصر، أخرس، ولكنه على الرغم من خرسه؛ فهو يترجم عمّا في الضمير، وهو نحيف دقيق شاحب اللون، وهو أعمى، ولكنه يبصر ما توحي به النفوس، وهو يرضع من غير أمه، ولكنه يمّج ما يرضع، وهو لهذا يبقى على حاله لا يكبر، وهو يحفى من كثرة مشيه وعندما يعالج، يصغر أكثر فأكثر:

ضامِرٌ جِسْمٍ تراهُ عَنْ خَرَسٍ   مترجماً عن جميع ما يُضمِرْ
قد سلبَ العاشقين دقّتهم   ولونهم في الخبر والمنظرْ
يبصرُ ما أوْحت النفوسُ له   ومالَهُ آلةٌ بها يُبْصِرْ
يرضعُ مِنْ غيرِ أمِّه لَبَناً   يمجُّهُ فوهُ فهوَ لا يكبُرْ
قَدْ يُزْدَرَى في عيانِهِ ولقدْ   يقضي بآثارِهِ إذا أثّرْ
يَحفى مِنَ المشْيِ في الرّضاعِ فإن   عولِجَ مِنْهُ رأيتَهُ أصغرْ[1]

(1) ديوانه ص 89.

الغـزل

للغزل رصيد ضخم في ديوان الخبزأرزي، ويمكن أن يعدّ من أكبر شعراء الغـزل في العصر العباسي، ويمكن حصر اتجاهات الغزل في شعره في ثلاثة اتجاهـات: الغـزل المعنـوي، والغزل المادي الفاحش، والغزل بالمذكر.

1- الغزل المعنوي: ونقصد به ذلك الغزل الذي لا نرى فيه وصفاً لأعضاء المرأة الـتي يتغـزل بها الشاعر؛ بل يبتعد عن ذكر الأعضاء والجسد، وهو غزل "مداره شعور الحب نفسه، وتـأثيره في نفس المحب، ومدى ارتباطه به، واندماجـه معـه، وموقـف الحبيبـة مـن صـاحبها في الـصدّ والوصال إلى ما سوى ذلك من النواحي المعنوية التي لا تتعرض لمواضع حسّيّة في المحبوبة"[1].

ومن بين المعاني التي خاض فيها شاعرنا في غزلـه المعنـوي الغـرام، والبعـد،والغياب وما يعانيه المحبوب من ذلك، يقول الخبزأرزي :

لَـهُ مقلـةٌ مـذغبت لم تطعـم الكـرى … وقلـبٌ علـى جمـر الغـضا يتقلـبُ
سـقاني الهـوى سـمّ الفـراق فـداوني … فعنـدك تريـاق الوصـال مجـرّبُ[2]

ويقول في مقطوعة أخرى مصوراً حالته بعد فراق حبيبه:

غـصصُ الفـراق مـزجن بالحـسرات … وفـراق مـن أهـوى فـراق حيـاتي
عجـبٌ لمـن يبقـى لبعـد حبيبـه … أن لا يمـوت بكثـرة الزفـراتِ
مـوت البريـة عنـد وقـت وفاتهـا … والعاشـقون لهـم فنـون ممـاتِ[3]

وفي مقطوعة أخرى يقول الخبزرأزي: إنه ترك لقاء حبيبه يوم الفراق خوفـا وإشـفاقا على قلبه الذي لا يطيق فراق الحبيب:

مـا تركْـتُ اللّقـاءَ يـومَ الفـراقِ … مِـنْ جَفـاءٍ لكـنْ مـن الإشـفاقِ
لم أطـقْ أن أزيـد قلـبي علـى مـا … فيـه مـن لوعـةٍ وحـرّ اشـتياقِ

---

(1) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ص 503.

(2) ديوانه ص 24.

(3) ديوانه ص 44.

لم أطـــقْ أنْ أرى فراقـــك جهـــراً   وفـــراقُ الحبيـــب غـــيرُ مطـــاقِ[1]

ويصوّر لنا في مقطوعة أخرى كيف أنّ فراق الحبيب هو الموت بعينه؛ بل هو أكثر من الموت؛ لأنه في الصدر باق:

لا قَـــضى اللهُ بيننـــا بـــالفراقِ   إنَّ طَعْـــمَ الفـــراق مـــرُّ المـــذاقِ

غـصصُ المـوتِ سـاعة ثـم تفنـى   وفـراق الحبيـب في الـصدر بـاقِ

يـا فـراقَ الحبيـب أنـت عـذابٌ   قاتـــلٌ للمحـــبّ حتـــى الـــتّلاقِ

كـل يـوم أمـوتُ مِـنْ الـفِ لـونِ   وأرى المـــوْتَ لَـــذةً للفـــراقِ[2]

وهو يدعو في مقطوعة أخرى ألا يبتلي الله العاشقين بالفراق فهو أشد شيء في هذه الحياة:

لا ابْتلـــى عاشـــقاً بفـــراقِ   فيلاقـــي مـــن جهـــده مـــا يلاقـــي

أيّ شـــيءٍ أشَـــدُّ مِـــنْ فقـــدِ إلـــفٍ

بعـد أنـس الهـوى وطيـبِ العنـاقِ[3]

وتحدث الخبزأرزي في غزله المعنوي عن انتجاز المواعيد وإخلافها،فهو يشكو في مطلع إحدى قصائده من نقض حبيبه المواعيد والعهود من بعد طيب الوصال:

صـــار التغـــزل في هـــواه عتابـــا   فهـــواه يمـــزج بـــالنعيم عـــذابا

ما ضرّ مـن أخلـصتُ في ديـن الهـوى   لرضـــاه لـــو حمـــل الوفـــاء ثوابـــا

نقـض العهـود وحَـلَّ عنـه ضـمانه   من بعد مـا عـذب الوصـال وطابـا[4]

ويطالب حبيبه في إحدى مقطوعاته الغزلية بأن يفي بوعده وينتهي من مماطلته، فإنجاز الوعد من شيم الكرام:

مـــولاي تمطلـــني غـــداً فغـــدا   وأرى غـــداً لا ينقـــضي أبـــدا

---

(1) نفسه ص 274.

(2) نفسه 272.

(3) ديوانه ص 271.

(4) نفسه ص 28.

أحييتني بالوعد يا أملي ومطلتني فأمتني كمدا
لا تنس عهدك لي فأوفِ به
إنّ الكريم يفي إذا وَعَدا[1]

وفي مقطوعة أخرى يخاطب الحبيب بأن لا يخلف وعده؛ فلا خير في وعد لا يتم:

لا تخلفِ الوعدَ لي أيا سَكَني فإنّ في خلفِه لي التَّلَفا
هجرُك إنْ دامَ لي بغير وفا قضيت وجْداً بغصّتي أسَفا
لا خيْرَ في الوعدِ لا تمامَ لَهُ كأنّه البرقُ لاح واختطفا[2]

وفي مقطوعة أخرى يشكو من خيانة العهد:

خنْتَ عهْدي وقدْ تبدّلتَ بعدي يا حبيبي ما كان ذلك ظنّي[3]

ويتحدث في غزله المعنوي أيضاً عمّا لاقاه في حبّه من ألم، وحزن ومرض، ونحول؛ فيقول في مقطوعة غزلية مصوّراً كل ذلك:

لا أستطيع من الضّنا شكوى الضّنا ويكادُ ما بي أن يرقّ لما بي
لا صبْرَ لي أنّى عليكِ تصبّري والتيه دأبك والتذلل دأبي
فخلعت في خلع العذول تجمّلي ولبسْتُ ثوب السّقم تحت ثيابي
لا تمزجوا كأسي فإنّ مدامعي تكفي وتفضُلُ عن مزاج شرابي[4]

ويرى في مقطوعة أخرى؛ أنّ حبيبه هو سبب المرض الذي أصابه، والدواء الذي أعطاه الطبيب لن يفيد شيئاً فحبيبه داؤه ودواؤه:

أتوني بالطبيب فساءَلوهُ فلمْ يَدْرِ الطبيب بما يُجيبُ
سَقاني شرْبةً لم تُغْن شيئاً سوى ما زاد في القلب اللهيبُ
فقلْتُ لَه: ألا دعْني لدائي وقُمْ فاذهب لشأنك يا طبيبُ

(1) نفسه ص 62.
(2) ديوانه ص 249.
(3) نفسه ص 337.
(4) نفسه ص 36.

دوائـــي في يـــديْ مـــنْ كـــان داءً فقـال: ومـا الـدوا؟ قلـت: الحبيـبُ[1]

وبنفس هذا المعنى يخاطب حبيبه فيقول له:

ســقامي يــبرا أنــت تعــرف طبَّــه

وهـل يعـرف الآسـقامَ غـيرُ طبيبهـا[2]

ويكرر هذا المعنى في مقطوعات أخرى كثيره، من مثل قوله:

هـــــل حـــــانَ أنْ تتعطَّفـــــا أمْ بَعْـــدُ قَلْبُـــكَ مـــا اشْـــتَفا

أنـــت الطبيـــب فمـــا يـــضرْ رُكَ لـــو شـــفيتَ المـــدْنَفَا[3]

ويتذلل الخبزأرزي ويتضرع لمن يحب ويعلن خضوعه التام له:

اعلـــــم بـــــأنّ مـــــسرتي لـــو كـــان فيهـــا مـــا يـــضرّك

لتركـــــت ذلـــــك واتبعـــــــتُ مـــضرتي فيمـــا يـــسرّك[4]

ويقول في مقطوعة أخرى:

تـذلَّلْ لمـنْ تهـوى تكـن واجـد العـزِّ فما غيْرُ من تهوى لقلبك مِنْ حِـرْزِ[5]

ويقول مظهراً خضوعه بعد انْ رأى دلال محبوبه الذي ظنه تيهاً وكبرياء:

أظهـر الكبريـاءَ مِـنْ فـرط زَهْـوِ فتلقَّيْتُـــه بـــذُلّ الخـــضوعِ[6]

وكانت الغيرة من أهم معاني الغزل المعنوي عند الخبزأرزي،وهـو يجعـل مـن الغـيرة دليلاً على وفاء المحب لحبيبه، والحبيب الذي لا يغار لا يفي لمن يحب:

ومـــا غـــيرةُ العـــشاقِ إلاّ وفـــاؤهم

وكـــلّ محـــبٍّ لا يغـــار فلـــن يفـــي[7]

ويبالغ في مقطوعة أخرى في غيرته على محبوبه حتى إنه يغار عليه من كلام نفسه:

---

(1) نفسه ص 27.

(2) ديوانه ص 40.

(3) نفسه ص 245.

(4) نفسه ص 128.

(5) نفسه ص 191.

(6) ديوانه ص 439.

(7) ديوانه ص 257.

إنّـــي لأحـــسدُ مقلتّـــيَّ عَلَيْكـــا حتـــى أغُـــضُّ إذا نظـــرتْ إليكـــا

وأراكَ تخطُـــرُ في شمائلـــك الـــتي هـــي فتـــنتي فأغـــارُ منـــكَ عليكـــا

مـــن لُطْـــفِ إشـــفاقي ورقّـــةِ عبرتـــي آنّـــي أغـــارُ عليـــكَ مـــن عينيكـــا

ولو استطعتُ جَرَحْـت لفظَـك غَيْـرَةً أنـــــي أراهُ مقـــــبّلاً شـــــفتيكا

خَلَصَ الهوى لَكَ واصـطفتك مـودّتي حتّـى حـذْرْتُ عليـك مِـنْ أبويكـا[1]

وكان الحسد من معاني الخبزأرزي في غزلـه المعنـوي؛ فهـو يقـول في مقطوعـة داعيـاً على الحسود بأن ينغصّ الله حياته لأنه مقيت:

نَغّـــصَ اللهُ حاســـداً نَغّـــصَ العيـــــشَ وقـد طـال للحبيـب المبيـتُ

مـــا يريـــدُ الحـــسودُ مِنّـــا ولكـــنْ كـلّ شـيءٍ مـن المقيـت مقيـتُ[2]

ويخبرنا في مقطوعة أخرى بأنه يخفي ما به خوفاً من شماتة الحسود:

أكـــتمُ مـــا حَـــلَّ بـــي لأنّـــي أخـــافُ أنْ يـــشمَتَ الحـــسودُ[3]

ويكثر كذلك من ذكر الصبر، فيحدثنا في مطلع قصيدة له بـأنّ يغطـي هـواه بالـصبر والجلد وذلك خوفاً من الوشاة:

لي مثل مالـكَ مـن شـوقٍ ومِـنْ كَمَـدِ لكـنْ أغطّـي الهـوى بالـصبْر والجَلَـدِ

---

(1) نفسه ص 351.

(2) ديوانه ص 42.

(3) نفسه ص 61.

أصونُ نفسيَ عن لَغْبِ الوشاة بها

وإنْ تلاعبتِ الأسقامُ في جسدي[1]

ويذكر الرقيب في مقطوعاته في الغزل المعنوي كقوله:

إنما يبصرُ الهوى صورة الوصل

بحيث الرقيب غيرُ بصير[2]

ويشير في قصيدة أخرى إلى أن حديثه مع من يحب يكون بالإشارات وذلك خوفاً من الرقباء:

تشاكَيْنا بألحاظ الجفون   لبقيانا على الودُّ المصونِ

إذا خِفْنا ظنوناً نتقيها   تجمّلنا لتكذيب الظنون

نعارِضُ بالصدودِ ظنونَ قومٍ   فتعترض الشكوكُ على اليقين[3]

ويكثر في غزله المعنوي ذكر البكاء، والدموع، والزفرات، والوجد والحنين،وهو يشكو في إحدى مقطوعاته من السهر الطويل والبكاء، ويجعل من احمرار عينيه دليلاً على ما يقول، ولكن حبيبه يعلّل احمرار عينيه تعليلاً حسناً؛ فيقول له: هذا الاحمرار قد قطفته بعينيك من خدودي:

شكوتُ إلى إلفي سهادي وعبْرتي

فقلت احمرار العين يخبر عن وجْدي

فقالَ محالٌ ما ادّعَيْتَ وإنّما

قَطَفْتَ بعينيك التورّدَ من خدّي[4]

ويبكي في مقطوعة أخرى من هجر حبيبه:

---

(1) نفسه ص 75.

(2) نفسه ص 175.

(3) ديوانه ص 344.

(4) نفسه ص 68.

كنتُ أبكي من هجرِ يومٍ بيومٍ

كيف إذ صار هجرُ شهرٍ بشهرِ[1]

وله مقطوعة أخرى يذكر فيها الدموع لفراق حبيبه، وهو لا يطلب منه سوى ردّ السلام، أو حتى زيارته ولو في المنام:

الدّمعُ يشهدُ أنّي — لقانع بسلامك
حجبت عني حتى — مُنِعْتُ طِيبَ كلامك
فهل عليَّ جُناحٌ — إنْ زرتَني في منامك
يا خيرَ مولىً لعبدٍ — رفقاً بقلبِ غلامك
أشكو إلى الله ربي — دمعاً جرى من غرامك
أطفئْ حرارة شوقي — وُقِيتَ شَرَّ حِمامِك[2]

ويكثر في غزله المعنوي كذلك ذكر الموت والحياة، وطروق الخيال، والأنفاس، والحُرَق، والشوق، والحنين، وغيرها من المعاني المعنوية.

ويمكن أن ندخل في هذا اللّون من الغزل حديث الشاعر إلى نفسه وإلى قلبه، أو ما يمكن أن نسميه الحديث الذاتي، كما في قصيدته الدّالية التي نحس فيها أثر العشق في نفس الشاعر، وفيها يتحدث إلى نفسه متسائلاً عن سبب هذه الخيانة، وعدم الوفاء بالوعد، وهو على الرغم من ذلك لا يتحول عن حبهم، فالوجد قد تمكّن من قلبه، والحزن قد سيطر على نفسه، وأصبح قلبه محاطاً بجيش لا يحصى له عدد من الوجد والأحزان، وهو لا يملك إلاّ أن يستسلم، ولا يملك إلاّ أن يشكو أحبته إلى الله فهو خير الحاكمين:

خانوا وإنّي على العهد الذي عهدوا

يا ليتهم وجدوا بعض الذي أجِدُ

---

(1) نفسه ص 146.

(2) ديوانه ص 329.

ما كـان أسـرع مـا خـانوا ومـا نكثـوا
عــن الوفـــاءِ ولم يوفــوا بمـــا وعـــدوا

أبالخيانـــة جـــازوني وقـــد علمـــوا
أنّـــي لقيـــت الـــذي لم يلقــه أحَـــدُ

لهفـــي علـــيهم فـــإني مـــن تـــذكرّهم
ما تنقـضي حـسرتي أو ينقـضي الأبَـدُ

تمكّـن الوجـد مـن قلـبي ومـن كبـدي
فلـــيس لـــي معـــهُ قَلْـــبٌ ولا كَبِـــدُ

مَنْ ذا يَسُدُّ طريـق الحـزن عـن كَلِـفٍ
طرائـــق الـــشوق في أحـــشائه تَقِـــدُ

سَـلَّ العــزامُ سـيوفَ المـوت يبرقُهـا
علـــى الحيـــاةِ فعـــزّ الـــصّبْرُ والْجَلَـــدُ

تغشى على القلب ذكراكُمْ إذا خطرتْ
بالقلـــب ممّـــا علـــى قلـــبي لكـــمْ يَـــرِدُ

كأنّمـــا الـــدهرُ أغـــرى بيننـــا حَـــسَداً
ونعمـــــةُ اللهِ مقـــــرونٌ بهـــــا الحَـــــسدُ

اللهُ يحكـــــمُ مـــــا بـــــيني وبيـــــنكمُ
بِكُمْ شَقيتُ وأعدائي بكم سعدوا[1]

وقد تحدث في مقطوعة أخرى عما يلاقيه من شدة الحب والوجد والشوق الذي أحرق قلبه، وبدل نومه أرقا، أما الحب فقد سيطر عليه تماما، وأشعلت ناره في كبده وربما يسلب روحه، يقول:

قَلْـــبٌ تَمَكَّـــنَ فيـــه الـــشوقُ فاحترقـــا
ومُقْلَـــةٌ بُـــدِّلَتْ مـــن نومِهـــا أرَقـــا

للحـــبِّ نـــارٌ علـــى الأكبـــاد مُـــشْعَلَةٌ
لـــو أشـــعلت في ضِـــرام النّـــار لاحترقـــا

(1) ديوانه ص 57.

كـم عَبْـرَة قَرَّحَـتْ دمعـي حرارتُهـا بمـاءِ قلْـبي فـصارت عَبْرَتـي علقـا

أمـا الهـوى فقـد اسـتولى علـى كبـدي

وسـوف يـسلبني مِـنْ مهجـتي رَمَقَـا[1]

وله مقطوعة أخرى يصور فيها عذابه، وما عاناه في ليلة أمضاها في البكاء الطويل، حتى إنّ الليل قد شاركه في بكائه وعويله، وهو يرفض نصيحة الناصحين، ويصرّ – على الرغم مما أصابه – على حبّه وكلفه:

كـم اسـتغاث الـسقامُ مِـنْ سـقمي

في ليلـةٍ لَـمْ أنَـمْ وَلَـمْ أنِـمِ

مـا زِلْـتُ أبْكـي والليـلُ معتكِـرٌ

حتـى بكـتْ لـي حنـادسُ الظُّلَـمِ

لا تنـصحوني فـإنّني كِلِـفٌ

أرى نـصيحي بعـين مـتّهمِ

لم أرَ مثـلَ الهـوى لَـهُ نِقَـمٌ

تـذاقُ منهـا حـلاوةُ الـنِّعَمِ[2]

ومثل هذا كثير في شعره، وأكتفي بما أوردت للتدليل على ما أقول.

2- أما النوع الثاني من الغزل في شعر الخبزأرزي؛ فهو الغزل المادي الحسي، والخبزأرزي تلميذ أبي نواس في هذا اللون من الغزل، يدور في دائرته، ويجري في فلكه، ومذهب الخبزأرزي في هذا اللون من الغزل مذهب غريب؛ فهو يتمنى لو كان له في كل عضو من أعضاء جسمه قلبٌ يحن إلى محبوبه، وعين تنظر إليه:

كـأنّ في كـلّ عـضوٍ لـي وجارحـةٍ

قلبـاً يحـنّ وعينـاً تـشتهي النظـرا[3]

---

(1) ديوانه ص 267.

(2) نفسه ص 325.

(3) ديوانه ص 130.

ويكرر هذا المعنى في قصيدة أخرى؛ فيقول:

وكــأنّ لــي في كُــلِّ عُــضْوٍ واحــدٍ
قلبــاً يحِــنّ ونــاظِراً مــا يَطْــرِفُ(1)

وربما كان هذا الغزل عند الخبزأرزي امتداداً للغزل الحسي الماجن الذي ظهر في القرن الثاني الهجري الذي كان بدوره امتداداً لغزل امرئ القيس في الجاهلية وعمر بن أبي ربيعة في عصر بني أمية، هذا الغزل الذي بلغ درجة التهتك والعهر مع الانتشار الواسع بسبب التأثيرات الاجتماعية القوية، وشيوع المجون والخلاعة بين الطبقات المختلفة(2). والخبزأرزي في هذا اللون من الغزل يذكر من الحبيبة كل ما يشتهيه، كما يصف فيه أعضاء الحبيبة الجسمية، فلم يترك عضواً إلاّ ذكره؛ فيقول في العيون واصفاً ألحاظها وتأثيرها في القلوب، ذاكراً أنها أشدّ تأثيراً من السيوف، فالسيف لا يقتل إلاّ إذا تجرّد من غمده أما جمال الطرف المكحل فيقتل وهو في غمده:

ولحظ عيون العين أمضى مضارباً
وأتْلَفُ للأرواحِ مِنْ قُضُبِ الهِنْدِ

عجبتُ مِن الطّرْفِ المكَحّلِ أنّهُ
تشحّطني بالسَيفِ والسيفُ في الغِمْدِ(3)

ويكرر هذا المعنى في مقطوعة أخرى؛ فيقول:

سهامُ عين الحبيب تقتُلني
كأنَّ في مهجتي لها هدَفا(4)

ويصف – في بيت آخر – جمال الطرف السّاجي الذي يمتزج بالغنج والدلال والشكل والاسوداد، فيزيد الناظر إليه اجتذاباً:

انظُرْ إلى الغُنْجِ يجري في لواحظه
وانظرْ إلى دَعَجٍ في طرْفه السّاجي(5)

ويتخوف، في مقطوعة أخرى، من غنج العيون وفتورها:

---

(1) نفسه ص 232، وانظر التبيان في شرح الديوان 2/ 259.

(2) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ص 513.

(3) ديوانه ص 69.

(4) نفسه ص 249.

(5) كتاب المحبوب ص 142، وانظر ص 399، وانظر ديوانه ص 386.

فمـنْ عينـك الكحـلاءِ كانـتْ بلـيّتي فـوْيلاهُ مــن غـنْجٍ بهـا وفتــورِ[1]

ويكثر من ذكر النهود، والأرداف، والقدود:

وردُ الخـدودِ ورمّـان النّهـودِ وأعـ ـطافُ القُدود تصيدُ السادة الصّدا[2]

ويقول في مطلع مقطوعة أخرى:

مَلَكَتْنـــا الخُـــصورُ والأردافُ وســبَتْنَا القُــدودُ والأعْطــافُ[3]

ويذكر في قصيدة أخرى شعر حبيبه الأسود، ووجهه الأبيض، وردفه المترجرج وقدّه المتثني، ويرى أنّ نور وجه حبيبه يفوق ضوء القمر، وتثني قدّه يزري بتثني الغصن الرطيب:

ليــلُ شــعرٍ مــن تحتــه بــدْرُ وَجْـهٍ

مــوج رِدْفٍ مــن فوقــه قَـدُّ غُـصْنِ

أيْــنَ لِلْبَــدْرِ مِثْــلُ هــذا التّلالــي

أيْــنَ للْغُــصْنِ مِثْــلُ هــذا التّثنّــي[4]

ويقول في بيت آخراً واصفاً الشعر الأسود والوجه الأبيض:

سَلْـسَلُ الـشعرِ فَـوْقَ وجـهٍ فحـاكى

ظُلْمَـةَ اللّيْـلِ فَـوْق ضَـوْءِ الـصَّبَاحِ[5]

ووصف الخدود والوجنات في قوله:

صِــلْ بخــدّي خَــدّيْكَ تَلْـقَ عجيبـاً

مِــنْ مَعَــانٍ يَحَــارُ فيهــا الـضّميرُ

(1) ديوانه ص 173.

(2) نفسه ص 64.

(3) ديوانه ص 236.

(4) نفسه ص 336.

(5) نفسه ص 388 وانظر البيت في ديوان المعاني 1/ 246.

فبخـــــدّيك للربيـــــع ريـــــاضٌ　　وبخـــــدّي للــــدّموعِ غـــــدير[1]

ويصف وجه حبيبه بالمصباح:

ياليـــلُ دُمْ لـــي لا أريـــدُ صـــباحا　　حـــسبي بوجْـــهِ معـــانقي مِـــصْباحا[2]

وهذا وجه يبهر الناظر إليه، ويجذبه نحوه؛ بل يقيّده، فيقف ليلاحظه:

لـــوْ أبْـــصَرَ الوجْـــهَ منـــهُ منهـــزمٌ　　يطْلُبُـــهُ الـــفُ فـــارسٍ، وقفـــا[3]

ويصف الفم، والرّيق، والأسنان، والأنفاس:

ويـا طيـبَ أنفـاسٍ وحُـسْنَ مُـضَحَّكٍ　　فذا المسكُ بل أزكى وذا الدرّ بـل أصـفى

ويـــا خَمْـــرَ ريـــقٍ فوقَـــهُ وردُ وَجْنَـــةٍ　　فمنْ لي بذا رشْفاً ومَنْ لي بذا قَطْفَا[4]

وفي بيت آخر يصف الأسنان باللؤلؤ:

وإذا تبـــسَّمَ عـــن تلالـــي ثغْـــرِهِ　　أبْـصرت سمطـي لؤلـؤٍ في رصْـفِهِ[5]

وفي بيت آخر يصف الأسنان بوصف نادر، وهو وصفها بالنجم:

حـــسْبي بمـــضحكه إذا غازلتُـــهُ　　مُـــسْتغنياً عـــنْ كُـــلِّ نجْـــمٍ لاحـــا[6]

ويصف الجسد بالقضيب الناعم:

وعقـــدْتِ بـــيْنَ قـــضيبِ بـــانٍ نـــاعمٍ　　وكثيـــب رمـــلٍ عُقْـــدَةَ الزُّنّـــارِ[7]

ويصف القد لاستقامته، واستوائه، وانتصابه بحرف الألف:

(1) ديوانه ص 406.
(2) نفسه ص 51.
(3) نفسه ص 444.
(4) نفسه ص 240.
(5) نفسه ص 263.
(6) نفسه ص 51.
(7) كتاب المحبوب ص 454.

أَهَيَــفُ يحْكــــي بِقَــدِّهِ الأَلِفَــا   يَخْــسَرُ مَــنْ لَــمْ يكــنْ بــهِ كَلِفَــا[1]

ويصف الخبزأرزي البشرة وصفاً حسّياً ملموساً تراه العين، ويبالغ في وصف رقتها، إذ جعل البشرة كلون الدرّ الأبيض المشرب بحمرة الخمر الممزوجة باللّبن، فتراه من الظاهر كاللؤلؤ الشفاف اللاّمع، وترى داخله ماء العقيق الأحمر، يقول الخبزأرزي:

دُرّيـــةُ اللّـــوْنِ فيـــهِ مُـــشْرَبَةٌ   حُمْـــرَةُ خَمْـــرٍ تُمـــازِجُ اللّبنـــا

كـــاللؤلؤ الرّطـــبِ لـــونُ ظـــاهرِهِ   وفيـــهِ مـــاءُ العقيـــق قـــد بطَنـــا[2]

ومحور شعره الحسّي الماديّ هو الرغبة في امتلاك المرأة، ونجد في شعره هذا عبثاً ومجوناً وفحشاً.

كما إننا نجد في شعر الخبزأرزي نوعاً آخر من الغزل، وهو التغزل بالمذكر، وهو آفة ابتلي به الشعر العربي منذ القرن الثاني الهجري "حتى إنّ هذا اللّون الشّاذ من التغزل أصبح نوعاً جديداً في تاريخ الشعر العربي" كما يقول الدكتور محمد مصطفى هدّارة[3].

ونجد في هذا اللّون من الغزل الشاذ المعاني المعنوية، والمعاني الحسية الفاحشة، وربما مرّ بنا بعض هذه المعاني المعنوية عند حديثنا عن الغزل المعنوي، أما المعاني الجسدية الفاحشة؛ فلا داعي للحديث عنها واستعراضها "لأنّ مثل هذا الضرب من الشعر يتنافى مع إنسانية الإنسان" كما يقول الدكتور مصطفى الشكعة[4].

وقبل أن أختتم الحديث عن الغزل في شعر الخبزأرزي لا بدّ من الإشارة إلى أنني وجدت في شعره بعض المقطوعات والقصائد التي تتحدث عن الحب والعشق وأهل الغرام، وكأنها قصائد تعليمية تذكر بقصيدة حمدان بن أبان اللاحقي التي وصف فيها الحبّ وأهله وطبيعته وصوره المختلفة[5]؛ ويمكن أن نطلق على هذه القصائد والمقطوعات وصف الشعبية

---

(1) ديوانه ص 444.

(2) كتاب المحبوب ص 105، وانظر ص 540.

(3) اتجاهات الشعر العربي ص 520.

(4) الشعر والشعراء في العصر العباسي ص 303.

(5) انظر كتاب الأوراق قسم أخبار الشعراء ص 57 وانظر كذلك: اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ص 363 – والعصر العباسي الأول ص 193

بمعنى أنّه يعالج العواطف العامة التي تتصل بالنفوس جميعاً، ولا يقف عند أنواع بعينها من المشاعر الخاصة"[1]، وذلك كما جاء في قصيدته الميمية التي يتحدث فيها عمّا يجب أن يكون بين الحبيبين، فلا شيء أحسن من حبيبين أخلص بعضهما لبعض فاندمجا كأنهما شخص واحد ولا عجب في ذلك فهما من خلْق الله سبحانه وتعالى والله أحسن الخالقين:

لا شيءَ أحْسَنُ مِنْ إلْفين قَدْ قَسَمَا — حُسْنَ الرّعايةِ والإخلاصِ بينهما
تقاسما الْحُسْنَ والإحسانَ فامتزجا — على الصفاتِ فصارا في الهوى عَلما
كأنّما قَلَمٌ قَدْ خَطَّ شَكْلَهُمَا — بَلْ كانَ ذلك لُطْفَ الله لا قَلَما

ثم يصف ما يدور بينهما من حديث لطيف كأنه الورود والأزهار:

ترى الفُكاهةَ والآدابَ بينهما — حدائقاً ورياضاً تُنْبِتُ الحِكَما
قد أعطِيا مِنْ فنونِ الشّكْلِ ما اشْتَهيا
وحُكّما في صُروفِ الدهر فاحْتَكَما

وهما يشاركان بعضهما بعضاً الفرح والسّرور:

وحين يسلمُ هذا يزدهي فرحاً — لِعِلْمِهِ أنَّ مَنْ يَهْوَاهُ قَدْ سَلِمَا
لو حُرّكا انتشرا شَكْلاً وإنْ نَطَقَا — تناثرَا لُؤلؤاً نظماً وَمَا نُظِمَا

وهما قد رضعا الوفاء الذي كانت حياتهما منه، وهما يحسّان ببعضهما فكأن روحيهما روحٌ واحدة، وأمّا وهمهما فوهم واحد أيضاً ويبلغ شدة شعورهما بشعور بعض أنهما يحلمان الحلم نفسه في منامهما:

تراضعا بوفاءٍ كان عيشهما — منهُ ولو فُطِمَا ماتا وما انفطما
كأنّ روحيهما روحٌ فأنت ترى
وهميهما واحداً في كُلّ ما وَهِمَا
وليس يحلُم ذا حُلْماً بِرَقْدَتِهِ
إلاّ وهَذا بذاك الحلم قد حَلِما

---

(1) تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري ص 370.

ولو عذب أحدهما بالنار، وذاق الآخر نعيم الجنة، لتنعم الأول بما نعم بـه الثـاني، ولتألّم الثاني بما تألم به الأوّل، ولو مرض أحدهما لما نعم الآخر بحياته لأنه علم بمرض حبيبه:

اعجب بإلفين لو بالنّار عُذّبَ ذَا
وذاك في جَنّةِ الفِرْدَوْسِ قَدْ نَعِمَا

لكانَ يَنْعَمُ هذا مِنْ تنعّم ذا
وكانَ يألم هذا ذلكَ الألَما

حُسْنُ اتّفاقٍ بِظَهْرِ الْغَيْبِ بينَهُما
في كل حالٍ تراهُ الدَّهْرَ مُلْتَئِمَا

لَوْ مَسَّ ذا سَقَمٌ قامَتْ قيامَتُهُ
لِعِلْمِه أنَّ مَنْ يَهْواهُ قَدْ سَقِمَا

كذا يكونُ ودادُ الأَصفياءِ كذا
تصفو القلوبُ فيجلو نورُها الظُّلَمَا

وإذا اشتكى أحدهما للآخر بما يحس به، فإنّ الآخر يجد لَذّة في سماع شكوى حبيبه؛ وكلّ واحد منهما يحفظ سرّ الآخر؛ فهو كالحرم له:

يلتذّ هذا لشكوى ذا ويعلمه
وفي التذاذهما تصديق ما علما

كلّ له حرمٌ مِنْ صَوْنِ صاحبِهِ
ولن يصادَ مَصُونٌ يألَفُ الْحَرَمَا

ويختتم هذه القصيدة الطريفة بالدعاء للمحبين المخلصين في هواهم:

يا ربّ إنّ الهوى لا كادَ يُخْلِصُهُ
إلاّ الكرام فَزِدْ أَهْلَ الهوى كَرَما[1]

ونلاحظ كذلك أنّ غزله كان مطلقاً عامّاً بمعنى أنّه لم يذكر لنا في غزله اسم امرأة واحدة تغزل فيها.

كما إنه يكثر في شعره الغزلي ذكر الحدائق والرياض والورود والأزهار، كقوله مخاطباً الورد:

---

(1) ديوانه ص 317.

فيــا وردُ أمْتِعْنــا بطيــبٍ وبَهْجــةٍ   فأنْــتَ بتــشبيه الحبيــبِ حبيــبُ
وروّحْ قلــوبَ العاشــقينَ وَحَيِّهــا   وهــل بقيــت للعاشــقين قلــوبُ[1]

وفي مقطوعة أخرى يشبه حبيبه بالبستان، وأعضاء جسمه بألوان الورود والزهور:

وذي كــلالٍ كأنّـــهُ بُـــسْتا   ن حُــسنٍ في الزّهــرِ مَنْقُــوشُ
وروضـــةُ اليـــاسمين عارضُـــهُ   وهـــو بِلَحْـظِ الرّقيـبِ مَخْـدُوشُ
والـــدّرّ في ثغــــرهِ مَنَابِتُـــهُ   والـــوردُ في وجنتيـــهِ مفـــروشُ
وقـــدْ زَهـــا في جبينـــه أبـــداً   عنقــود صــدغٍ عَلَيْــهِ معــروشُ[2]

وهذا كثير في شعره.

ونجد في شعره الغزلي – كذلك – بعض المعاني الطريفة والصّور المبتكرة، مثل مقطوعته الرائية التي يذكر فيها أنه لم يعد يتبين مكان هلال الدجى، ومكان هلال البشر، ولم ينقذه من حيرته سوى تورد وجنتي هلال البشر وسواد شعره، وهذا ما يفتقده هلال الدجى:

رأيــتُ الهــلالَ ووجْــهَ الحبيــبِ   فكانــا هلالـــين عنــد النَّظَــرْ
فَلَــمْ أدرِ مِــنْ حَيْرَتــي فيهمــا   هــلالَ الــدُّجى مِــنْ هِــلالِ البشرْ
وَلَــوْلا التَّــوَرُّدُ في الْــوَجْنَتَيْنِ   وَمَــا راعَــني مِــنْ سَــوَادِ الــشَّعْر
لَكُنْـتُ أظُــنُّ الهــلالَ الحبيـبَ   وكُنْـتُ أظُــنُّ الحبيــبَ القمــر[3]

ومثل هذين البيتين اللذين يصوران حظّه التعيس في الحب؛ إذ انقطع به جسر الحب عندما حاول اجتيازه:

وَلَمّـا رَأيـتُ الْحُـبَّ قَـدْ مُـدَّ جِـسرُهُ
وَنُـودِيَ بالعُـشّاقِ: وَيْحَكُـمُ فِـرُّوا

(1) نفسه ص 26.
(2) نفسه ص 214.
(3) ديوانه ص 92.

تبـادَرْتُ نَحْـوَ الْجِـسْرِ كَيْمـا أَجُـوزُهُ
فـأَدْرَكَنِي الحِرْمـانُ وانْقَطَـعَ الْجِـسْرُ[1]

ومن ذلك أيضاً هذا البيت الطريف:

فَمِـــنْ شُـــغْلِ قَلْبِـــي بِمـــا نِلْتُـــهُ
ذهلْــتُ بــه عَــنْ جميــعِ الأُمــورِ[2]

ومن ملحه الغزلية أيضاً قوله:

لَـوْ حُـزَّ بالـسَّيْفِ رأْسـي في مَحبَّـتكُمْ
لمـالَ يهـوي إِلـيكْم مـسرعاً راسـي

ولو بَلَى تحـت أَطْبَـاقِ الثَّـرى جـسدي
لكنتُ أَبلـى ومـا قلـبي لكـم ناسـي[3]

---

(1) ديوانه ص 102.

(2) محاضرات الأدباء 4/ 715.

(3) ديوانه ص 208.

العتاب والاعتذار

أكثر الخبزأرزي من العتاب في شعره، وهو عنده في لونين أولهما في عتاب الحبيب؛ أما ثانيهما ففي عتاب الصديق.

ويدور عتاب الحبيب – في معظمه– حول عدم الوفاء بالوعد، والصَّدق من الحبيب؛ من مثل قوله:

مـولاي تُمطُلُني غداً فَغدَا وأرى غداً لا ينقضي أبداً
أحْيَيْتَني بالوعدِ يا أملي ومَطَلْتَني فأمَتَّني كَمَدا
لا تُنس عهدَكَ لي فأوْفِ بِهِ إنَّ الكريمَ يفي إذا وَعَدا[1]

ويكرر هذا المعنى في مقطوعات أخرى كثيرة من مثل قوله:

وَعَدْتَ مواعيداً فكانَتْ نسيَّةً فعاملني منكَ التَّبَغّضُ بالنَّقْدِ[2]

ويكثر في كتابه شكوى الفراق والبعد،وربما يعكس هذا نفساً تحمل الود وتتألم أشد الألم لهذا البعد والفراق من مثل قوله يخاطب حبيبه للعودة إليه لأنّ الفراق أشد من الموت:

ماذا يَضُرّكَ لو رَثَيْتَ لعاشقٍ مُتَحَيِّرٍ بين الرَّجا واليَاسِ
مولايَ عبدُكَ صارَ مُذْ فارَقْتَهُ مِمّا بِهِ أحدوثةٌ للنّاسِ
لو ماتَ كانَ الموتُ أيْسَرَ عِنْدَهُ مّما يكابِدُ في الهوى ويقاسي[3]

ويعاتب حبيبه لإعراضه وصدوده ويطلب منه أن يتعطف عليه لأن الصدود قد أضناه، يقول في لغة سهلة تمثل لغة الحياة اليومية:

شَفَّ قلبي مَضَاضَةُ الإعراضِ فتنغَّصَتْ لَذَّةُ الإعراضِ
كيف يُرْجَى شفاءُ مَنْ أمْرَضَتْهُ لحظاتٌ من الجفونِ المراضِ
قد براني لهوُ الصُّدودِ وأضْنى مِنْ عَليلِ الصدودِ والإعراضِ[4]

---

(1) ديوانه ص 62.
(2) نفسه ص 67.
(3) نفسه ص 211.
(4) ديوانه ص 221.

وفي قصيدة أخرى يطلب من حبيبه أن يعود إليه ويعاتبه على هذا البعد الذي كان سبباً في علته:

يا طبيبَ القلوبِ قلبي عليلٌ ... فَتَلَطَّفْ وافطن لبعضِ المعاني
ومتى يرتجي العليلُ شفاءً ... وهو يَلْقَى الطَّبيبَ بالكِتْمانِ
فَتَعَطَّفْ لخلوةٍ تبسط الأنس ... بكفِّ العتابِ والأشجانِ
فَعَسَى أنْ تنالني رحمةُ الوَصْلِ ... فأنجو من سخطةِ الهِجْرانِ[1]

ومِنْ مُلَحِهِ في العتاب قوله:

خَجِلَ الحبيبُ من العتا ... بِ فَوَرَّدَ الخَدَّ الخجلْ
فخشيتُ منهُ تغضُّباً ... فمسحتُ ذلك بالقُبلْ
مالي وما لعتابِ مَنْ ... لو شاءَ يَقْتُلُني قَتَلْ[2]

أمّا عتابه للأصدقاء فإننا نرى فيه إخلاص الخبزأرزي لأصدقائه،وأقف عند مقطوعتين تمثلان موقفه من الصداقة،وكيف يجب أن يكون الصديق بالنسبة إلى صديقه، والمقطوعتان في عتاب صديقه وجامع ديوانه ابن لنكك البصري الشاعر، وهما من جيد شعره، يقول في الأولى:

لِمَ لا ترى لصداقتي تصديقا ... فينا، ولم تَدْعُ الصَّديقَ صديقا؟
ذو العقل لا يرضى بوَسْمِ صَداقةٍ ... حتى يرى لحقوقها تحقيقا
فلمن يرجّى الحقَّ أنْ يُدْعَى أخاً ... وعلى الرفيق بأن يكون رفيقا
إنْ غاب غاب محافظاً أو حَلَّ كا ... نَ مداعباً، أو قال كان صدوقا[3]

[1] نفسه ص 342.
[2] نفسه ص 281.
[3] مروج الذهب 4/ 352.

فعلى الصديق أن يرعى حق الصداقة، وأن يحافظ على صداقته عند ابتعاده عن صديقه، وإن كان قال شيئاً صديقه فيجب أن يكون صادقاً في كل ما يقول.

ويعتب على صديقه في المقطوعة الثانية بسبب قطعه للصلة التي كانت بينهما؛ فيقول:

أعليك أعتب أم على الأيام؟
بدأتْ وكُنْتَ مؤكداً بتمامِ
قطع التواصل قربنا بتواعدٍ
وقطعْتَ أنتَ تواصُلَ الأقلامِ
هلاّ ألفت إذا الزمانُ مشتَّتٌ
والإلْفُ للأرواح لا الأجسامِ

وعلى الرغم من هذه القيطعة التي ابتدأ بها صديقه، فهو يرى أنّ صديقه ربما كان معذوراً في ذلك:

عُذْراً أبا عيسى عسى لك في القِلا
عُذْرٌ، وذا علمٌ بلا إعلامِ[1]

ونجد في شعره كذلك أبياتاً يعاتب فيها ابن يزداد أمير البصرة لأنه تأخر في عطيته، وهذه الأبيات تقع في خلال قصيدة يمدح بها ابن يزداد ومطلعها:

يومٌ أتى بنسيم الريح موسوماً
مُباركٌ بِزِمامِ الملكِ مزموما[2]

وقد مرت بنا عند حديثنا عن موضوع المديح في شعره.

وربما كان من أجمل ما صاغه الخبزأرزي في العتاب قصائده ومقطوعاته التي قالها في عتاب أصدقائه وأحبابه، ومن خلال هذا العتاب يعالج صفة العتاب نفسها مستشهداً على ما يقول بأبيات من الحكمة أوحت بها إليه تجاربه في هذه الحياة، وأمثل لها بقصيدته التي يقول في مطلعها:

---

(1) مروج الذهب، 4/ 353.
(2) ديوانه ص 319.

بـدأتَ بعتـب كـان فرعـاً بـلا أصْـلِ
ولم تنتظر عـذري فتقـبض عـنْ عَـذْلي
فـــلا تتـــسرّع بالعتـــابِ فَمُبْكِـــتٌ
ئـــسَرُّعُ خِجـــلٌ بالعتـــابِ إلى خِجـــلٌ
وكُــلُّ عِتــابٍ كــانَ صَــعْباً ئـضيَّقَتْ
مسالكهُ الحُسْنى إلى الكذب السَّهْلِ[1]

ثم يبدأ الخبزارزي بعد ذلك في تحليل هذه الصفة، فلا يجب على الإنسان أن يمضي حياته في العتاب؛ فالعتاب مُزْرٍ بالإنسان، ويجب على الصديق أن يحفظ صديقه في حضوره وفي غيبته، وهو يستشهد على كل ما يقول بأبيات في الحكمة، وقد مرّت بنا أبيات الحكمة هذه عند حديثنا عن الحكمة في شعره.

ونجد في شعره بعض القصائد والمقطوعات المستقلة بالاعتذار، وهو يقدّم اعتذاره لأصدقائه وأحبته عمّا بدر منه تجاههم، وهو في المقطوعة الآتية يقدّم اعتذاره لأحد أصدقائه، وعلى ما يبدو فقد أساء إلى هذا الصديق إذ هجاه في شعره، وهو يعتذر عن هذه الزلة لأنه كان في حالة سكر:

أخي لا تؤاخذني وإن كـان لـي ذنـبُ
فَجُـرْمُ الفتـى في الـسكر داعيـةُ العُـذْرِ
وحـــسبك ظَنّـــاً أنّـــني كنـــتُ مجرمـــاً
علـى خَبَـرٍ فيـه اعتـذرتُ علـى خَبْـرِ
فهـا أنـاذا أدرى بعـذري مِـنَ الـذي
جنـاهُ علـيَّ الـسُّكْرُ إذ أنـا لا أدري

---

(1) ديوانه ص 300.

وإنْ كـان شِـعري قَـدْ أتـاكَ بزلّـةٍ

فَقِـدْماً لَقَـدْ أعْفـاكَ مـن ذنبـه شـعري

فـدونك عُـذْراً قـام فِكْـري بـصُنْعِهِ

عَلَـى أنّ ذنـبي لم يحـسّ بـه فِكْـري[1]

ويصل اعتذاره أحياناً إلى حدّ الاستعطاف كما جاء في مقطوعته الفائية الـتي يقـول فيها:

أهْلُ الغَـرامِ إذا مـا اسـتعطفوا عطفـوا

والحُـرُّ يُعطـي ويعفـو وهـو مُعْتَـرِفُ

والـصُّلحُ خـيرٌ وفي الإغـضاء مكرمـةٌ

وفي الوفـاءِ لأحـداقِ الْفَتـى شَـرَفُ

والْعَفْـوُ بَعْـدَ اقْتـدارٍ فِعْلُـهُ شَـرَفٌ

والهجـرُ بعـد اغتفـارٍ فِعْلُـهُ سَـرَفُ

وقـدْ يـصدّق عـذري في مـصالحكم

مـا لا يـصدق تبليـغٌ ولا قَـرَفُ

عاقبْ بما شئت غـيرَ الهجرِ نَـرْضَ بـهِ

فـالهجرُ فيـه لإخـوان الهـوى تَلَـفُ

إنَّ التفـضُّلَ والإحـسانَ أيّهمـا

رأيت في ذا وهـذا فـوق مـا يَـصِفُ[2]

فأهل الهوى يغفرون ويسامحون، والصلح خير، والوفاء شرف، والعفو بعد المقدرة فعله شرف كذلك، وعلى الرغم من كل ذلك فإذا لم يقبل الحبيب عذره فليعاقب بما يشاء غير الهجر والبعد ففيهما تلف له.

---

(1) ديوانه ص 139.

(2) ديوانه ص 231.

وهو في قصيدة أخرى لا يدري كيف يعتذر لمن يحب ويهوى، فذنوبه في حق حبيبه أكبر من أن يعتذر منها، وهو يدعو على نفسه بالموت لأنه لم يقم بالواجب نحو حبيبه ولم يعرف قدره:

عذرتُ حبيبي أن أقامَ على هجري
لأنّ ذنوبي قد كَثُرْنَ على الْقَدْرِ

وما أنا إلاّ مِثْلُ جابِرِ عَظْمَةٍ
فلما برا ثنّى بِكَسْرٍ على الْجَبْرِ

أَسَأتُ إلى مَنْ لَمْ يزرْني مُحْسِناً
فحقّي بأنْ أرْمَى بقاصِمَةِ الظَّهْرِ

أَيَعْرِفُ قَدْري ثُمَّ أجْهَلُ قَدْرَهُ
فلا عرّف الرحمنُ من دونه قَدْري[1]

ولعلّ قصيدته البائية التي مطلعها:

أخي لا تؤاخذني وإنْ كانَ لي ذنبُ
فليسَ على العُشّاقِ في فِعْلِهِمْ عتبُ[2]

تعدّ من أجمل القصائد التي قيلت في فن الاعتذار؛ فهو يقدّم اعتذاره أولاً لصديقه لأنه لم يستطع الوفاء بوعده، وهو بهذا قد فاته التمتع برؤية صديقه وسماع حديثه العذب، والذي منعه من الوفاء بوعده انشغاله بخليل له، وهو بفعلته هذه يكون قد مال إلى الضلال وإلى التصابي ومن كان مذهبه كذلك فلن يفلح أبداً:

وعدتُكَ وَعْداً عاقني عنه عائقٌ
وللناسِ أسْبَابٌ لها يقلب القلبُ

---

(1) ديوانه ص 141.

(2) ديوانه ص 22.

لقـد فـاتني كـلُّ المنـى حـينَ فـاتني
مـشاهدك الحـسنى ومنطقـك العـذْبُ
ولا كـانَ لـي خِـلٌّ عليـك مقـدّماً
إذا ذُكِـرَ الخِـلاّنُ عنـديَ والـصَّحْبُ
فخالَفْـتُ توحيـدي وعُقْـتُ أئمـتي
ومِلْتُ إلى الجِبْتِ المضلّلِ والنـصب[1]
ولَوْلا التّصابي كانَ في الحسن مـذهبي
فـلاحٌ ولكـن لـيس يفلـح مـن يـصبو

ثم يخبر صديقه بعد ذلك بأنـه وقـع في حَيْـرة أيلـبي دعـوة الـصديق؟ أم يلـبي دعـوة الحبيب؟ وقد أشار عليه قلبه بتلبية دعوة الحبيب لأن في عدم تلبيته دعوته مـوت لـه، وهـو لم يثنه التقصير عن زيارته، وإنما الذي ثناه عن ذلك تثني قامة الحبيب:

تحيّـرْتُ في تـرك الحبيـب وتـرككم
ففـي تركـه لهـوٌ وفي تـرككم ذنـبُ
وقـال فـؤادي لـيس يعـذرك الإخـا
علـى جفـوة إذ لـيس يعـذرك الحِـبُّ
ولّمـا رأيْـتُ القَلْـبَ سَـهّلَ سـخطكُمْ
لِيُرْضي الهوى أيقنتُ أنّ الهوى صَـعْبُ
ولما حَسَـسْتُ المـوتَ كَـذَّبْتُ وعـدَكُمْ
فقولوا أكان المـوتُ خـيراً أ م الكِـذْبُ
ولم تتغالـبْ شـهوةٌ ومـروءَةٌ
فيفترقـا إلاّ وللـشّهْوَةِ الغلْـبُ
ولم يثـني التقـصير عـنكم وإنّمـا
ثنى عزمتي لّمـا انثنـى الغُـصُنُ الرَّطْـبُ

[1] في هذا البيت إقواء.

ثم يحدّث صديقه عمّا دار بينه وبين حبيبه لعلّه يقبل عـذره، ثـم يعـود إلى الاعتـذار ويطلب من صديقه أن يقبل عذره، فهو قد أخطأ في حقه، ولكل جوادٍ كبوة، ويطلـب منـه أن يكون جواداً ولا يدنّس أخلاقه الكريمة بالقِلى عقاباً له وسخطاً عليه:

وقد يخلـصُ الإخـوانُ مِـنْ بَعْـدِ عَثْـرَةٍ كما تشبّهت الخيلُ من بعـد مـا تكبـو

وأيّ جـوادٍ لم يكـنْ منـه هفـوةٌ وأي حسامٍ في الأحـايين لا ينبـو

فـلا تدنّـسَنْ أخلاقَـك الغُـرُّ بـالقِلى فحيث يكونُ الْجُورُ لا يُحْمَدُ الخطـبُ

وما الأنس إلاّ حيث يـستطلع الرّضـى وما الرَّعيُ إِلاّ حيث يستعذبُ العشبُ

وما شأنيَ الإخلاصُ في الـودّ والهـوى وما الأَكْلُ مِنْ شأني هناكَ ولا الشّرْبُ

ولستُ أحِبُّ الفضلَ مـن غـير وجهـهِ كما لا تحبُّ الشمسَ مطلعهـا الغـرْبُ

ويختتم اعتذاره بمدح شعره فيصفه بالدّر الذي نظـم عقـوداً ولكـن دون أن تجـد فيـه عيباً واحداً:

فـدونك أمثـالاً مـن الـدّرّ نظّمـتْ سموطـاً ولكـنْ مـا تخللّهـا ثقـبُ

الهجاء

بضاعة الخبزأرزي في هذا الفن قليلة، فليس في شعره سوى قصيدتين ومقطوعة وبعض الأبيات المفردة هي إلى فن الوصف الساخر أقرب منها إلى فن الهجاء، أما القصيدة الأولى؛ فقد هجا بها عاشقاً أعمى، واعتمد فيها على التصوير الساخر، وعلى التجسيم والتشخيص، وقد ابتدأها بتعجبه من هذا الأعمى العاشق الذي لم يعذب عينيه بالسهر كباقي العشاق والمحبين، وهو يعد هذا من الآيات والعبر، وهو يرى أن للحب كبائر وآثاما كثيرة، ولكن عشق الأعمى من أكبر الكبائر، فالحب أعمى، والعاشق أعمى، وهو على هذا أعمى البصيرة والبصر، يقول:

مــن عينــهِ قــط لم يَلْتَــذّ بــالنّظرِ ... فلــم يعــذّبها في العــشق بالــسّهرِ
أعْمــى يحــنّ إلى مــن لــيس ينظــره ... هــذا لعمــري مــن الآيــاتِ والعِبَــرِ
والْعِــشْقُ أكْبَــرُ أنْ تُحْــصى كبــائِرُهُ ... لكــنّ عــشقَ العَمــى مِــنْ أكْبَــرِ الكِبَــرِ
الحــبُ أعْمَــى وذا أعْمَــى يحــبُّ وذا ... على القياسين أعْمَى القلب والبصر

وينتقل بعد ذلك إلى وصف المعشوق؛ فيرى أن ملمسه من مسد، وحديثه صاخب، ورائحته نتنه كريهة، ولو كان غير ذلك، لوُجِدَ لهذا الأعمى عذر في عشقه، فهو على الأقل لا يستمتع منه بشمة أو لمسة أو سماع لكلامه اللطيف، ثم يرسم لنا صورة (كاريكاتورية) لهذا المعشوق إذ يشبه مشيته بمشية القرد أو مشية القط، يقول:

لــو كــان معــشوقه ذا منطــقٍ حــسنٍ ... أوْ ملَــبسٍ نــاعمٍ أوْ مــنفسٍ عَطِــرِ
قلنـــا يَلّـــذُّ بـــشمٍّ أو ملامـــسةٍ ... أو مـــسمعٍ حـــين لا يلتـــذُّ بـــالنظرِ
لكــنّ معــشوقَهُ في اللمــسِ مِــنْ مَــسَدٍ ... واللفظُ مِنْ صَخَبٍ والشمّ من قذرِ

لـو كـانَ مِمَّـن لَـهُ في حُـسْنِهِ خَبَـرٌ   قلنـا لَـهُ عـشقهُ جَهْـلاً علـى الخَبَـرِ
ما عِشْقُ مَـنْ لـيس يـدري أنَّ مِشْيَتَهُ
في صـورةِ القِـرْدِ أوْ في صـورةِ الهِـرَرِ

ثم يختتم قصيدته بهذه المفارقة الصارخة:

أَعْمـى يقـولُ إذا مـا الـشوقُ أَقْلَقَـهُ   عَيْني أُديرُ فمـا لـي لا أرى قمـري؟![1]

ويهجو في القصيدة الثانية قارئاً للقرآن الكريم، ويبدو أنـه كـان جـاهلاً بـالقراءة، ذا صوت رديء، وعلى ما يبدو فإنّ هذا القارئ قد تعرّض للخبزأرزي بالهجاء؛ إذ يبـدأ قـصيدته بقوله:

أتجـرؤ في تلبـيس ذكـرك في ذكـري   وتطمـع في تـدليس قـدرك في قـدري
وإنّـــك إنْ تُـــزْري عَلَـــيَّ مُعَـــذَّرٌ   لأنّـي أرى التـنّينَ يُـزرْي علـى البَـذْرِ

ثم يبدأ بعد ذلك بهجائه هجاءً ساخراً؛ فهو لا يقرأ بل يمضغ ألفاظـه، وهـو بقراءتـه المحرّفة للقـرآن يـدعو إلى الكفـر، ولا يعجـب بـه سـوى الـشيطان الـذي يـشجعه علـى هـذا التحريف:

فيــا زاريــاً مــا زال يمــضغُ لَفْظَــهُ   إذا قــرا القــرآن يــدعو إلى الكفــر
يقـــول لـــه الـــشيطان عنـــد قراتـــه   أَجَدْت بمـا حَرَّفْـتَ مـن محكـمِ الـذِّكْرِ

وبألفاظ ساخرة وبهجـاء (كاريكـاتوري) يبـدأ في وصـف قراءتـه للقـرآن، ووصـف مخارج الحروف؛ فهو يختتم سورة "الفاتحة" في شهر لقلة حفظه، وإذا قرأ لفظة "الـسّراط" فإنـه يمـد السين كأنه يلاحق صبياً، وهو يعاني أشد المعاناة في قراءتـه، فـإذا قـرأ سـورة "النازعـات" فـإنّ روحه تكاد تخرج من جسده، أمّا إذا قرأ "والعصر" فإنـه يعـصر العـين عـصراً، وإذا قـرأ سـورة "الفجر" في عتمة الليل، فإنه لن ينتهي من قراءتها إلاّ بعد طلوع الفجر، وقد طوّل مرة في قـراءة سورة "الحشر" حتى خالها الشاعر وقفة الحـشر، وهـو بهـذه القـراءة يزهّـد النـاس في الإسـلام فيكسب الإثم بدلاً من الثواب، وعلى الرغم من كل ذلك؛ فهو يفاخر بقراءتـه ويـشبه نفـسه

---

(1) ديوانه ص 157.

بعاصم وأبي عمرو المقرئين؛ وهو لا يدري بأنه جاهل،وهذه مصيبة المصائب، يقول الخبزأرزي:

إذا ما قرا حرفاً لتنفيس حفظه — فمحفوظُه أن يختم الحمدَ في شَهْرِ
يمدّ لنا سينَ "السراط" كأنّه — يُجَرِّي صبياً فهو يجري إذا يُقْرِي
ينازعُ في "والنّازعات" إذا قرا — ويغْصِبُ منه العينَ في عين والعصرِ
إذا ما قرا "والفجر" في عتماتِهِ — تراه يقاسيها إلى مطلع الفَجْرِ
قرا "الحشرُ" يوماً بالغداة مصلياً — فطوَّلَ حتى خلتُها وقفةَ الحَشْرِ
يزهّدُ في الإسلامِ قبحُ قراتِهِ — فيكْسِبُ فينا الإثمَ من موضعِ الأَجْرِ
وَيحْسِبُ مِنْ جَهْلٍ وعُجْبٍ بأنّهُ — كعاصمِ المقريُّ أو كأبي عمرو
جَهِلْتَ ولم تعلمْ بأنّكَ جاهِلٌ — فمن لي بأن تدري بأنك لا تدري[(1)]

ويهجو في مقطوعة قصيرة رجالاً بخلاء، يمنعون الخير، ولا يعطون سائلاً؛ يقول فيهم ساخراً:

مالي قليلٌ وكسبي ليس ينفعني — وقد بُليتُ بأقوام مفاليسِ
الخيرُ عندهُم في وقت بدرهُم — أعز من نُوْرَةٍ في عهد بلقيسِ[(2)]

وله بعض الأبيات المفردة في الهجاء، وهي قريبة من السب والشتم، كقوله:

لم يَعْدُكَ القِرْدُ في خَلْقٍ وفي خُلُقٍ — إلاّ بخفّته للّعب والذّنَبِ[(3)]

وقوله:

فأنتَ في الخَلْقِ لا وَجْهٌ ولا بَدَنٌ — وأنتَ في الخُلْقِ لا عقلٌ ولا أدَبُ[(4)]

---

(1) ديوانه ص 142.
(2) نفسه ص 212.
(3) نفسه ص 370.
(4) نفسه ص 357 وانظر التبيان 2/ 359.

التهنئة والهدايا

لم تكن التهاني عند الخبزأرزي في قصائد مستقلة؛ إنما كانت في مقدمات قصائده في المديح، وقد كانت هناك أيام سنوية يخرج فيها أهل سامراء وبغداد وغيرهما من مدن العراق للهو والقصف والمجون وهي أيام الأعياد[1]، ومن هذه الأعياد عيد النيروز في أول الربيع، وهو أول السنة الفارسية، وقد نوّه الخبزأرزي بذكر هذا العيد كقوله يهنئ الأمير ابن يزداد به، وقد صادف أن يكون هذا العيد في يوم جمعة، فينتهز الخبزأرزي الفرصة ليقدم التهنئة مزدوجة، يقول الخبزأرزي:

إقبالُ عامٍ بشكر الخير مقبولُ | عند الأمير لعيد البرّ موصولُ
يوم العَروبةِ والنيروز قد جُمعا | فاليوم يومٌ له تاجٌ وإكليلُ
يومٌ من الجمعةِ الغرّاءِ غُرّتُهُ | وفيه من مهجةِ النيروز تحجيلُ
يومٌ تألّف من عيدين: عيد تُقى | وعيدِ مُلْكٍ بلا فضلٍ وتفضيلُ
فانعم بنيروزك الميمون طائِرُهُ | وبالسّعادةِ حَبْلُ الحظِّ مفتولُ
وعِشْتَ ما عِشْتَ ممّا شِئْتَ مِنْ نِعَمٍ | فيها عليك كظِلّ العزّ تظليلُ
فاليوم عظّمَهُ كسرى وبَجّلَهُ | فحظُّهُ منكَ تَعْظيمٌ وتبجيلُ
يومَ تصاغُ به التيجان مِنْ زَهَرٍ | لابن الملوك وللجيش الأكاليلُ[2]

وكان عيد المهرجان، وهو عيد فارسي أيضاً يقع في أول الشتاء، من الأعياد التي يحتفل الناس بحلولها، وللخبزأرزي قصيدة ميمية في مدح ابن يزداد في مطلعها يقدم التهنئة للأمير بحلول عيد المهرجان، يقول:

---

(1) العصر العباسي الثاني ص 95.

(2) ديوانه ص 286.

يـومٌ أتـى بنـسيم الـريح موسـوما

مُبـارَكٌ بزمـامِ المُلـكِ مَزْموما

المهرجـانُ الـذي كانـتْ تُبَجِّلُـهُ

ملـوكُ فـارسَ تبجـيلاً وتعظيمـا

فـاليُمْنُ طـائرُهُ والـسَّعْدُ طالعُـهُ

تفـاؤلٌ يوجِـبُ الزُّلفـى وتنجيمـا

وفي هذه القصيدة أيضاً يهنئ الأمير ابن يـزداد بمناسبة شـفائه مـن وعكـة ألمت بـه، يقول:

جاءَتْـكَ عافيـةٌ فـازَ الأنـامُ بهـا فـوزاً عظيمـاً فمخـصوصاً ومعمومـا

مِنْ بَعْـدِ مـا أشـفق الإرهـاقُ أنْفُـسَهُمْ

وضُـرِّمَتْ جمـرات الخـوف تـضريما

وبألفاظ سهلة تقـترب مـن لغـة الحيـاة اليوميـة يـصوِّر الـشاعر مـا ألمّ بالنـاس عنـد سماعهم بمرض أميرهم، فالناس قد أُصيبوا بما أصـابه،وانقلبت لـذّاتهم إلى منغـصات، حتـى نسيم الريح حسبوه لظىً يشوي القلوب:

وَعْـكُ الأمـيرِ وقـاهُ اللهُ كُـلَّ أذى

أنـشا سـحاباً مـن الأحـزان مزكومـا

لم يَبْـقَ في الأرضِ لا روحٌ ولا بَـدَنٌ

إلاّ وقَـدْ كـان مِـنْ حُمّـاكَ محمومـا

حُمّـاكَ نغَّـصت اللـذاتِ فانْقَلَبَـتْ

مـن التـنغُّصِ غـسليناً وزقّومَـا

حتى حسبنا نـسيمَ الـريح صـارَ لظـىً

يشوي القُلوبَ وصـارَ الظِّـلُّ يَحْمومـا

ويحمد الله – مهنئاً الأمير – بكشف البلوى وتفريجها:

سبحانَ مَنْ كَشَفَ البلوى وفَرَّجَها

مِنْ بعدِ ما صَمَّمَ المكروهُ تَصْميما

فنحمـــد اللهَ في تجْديـــدِ نعمتِــهِ   حمـــداً يُحَقِّــقُ للتجديــدِ تتميمـا[1]

وفي مطلع قصيدة مدحية أخرى يقدم التهنئة للأمير ابن يزداد بمناسبة حلول عام جديد، يقول الخبزأرزي مهنئاً الأمير ومتلاعباً بالألفاظ:

سَـنةٌ يُـزادُ بهـا الأَمـيرُ جمـالا   إقبالُهـا يُنمـي لَـكَ الإقبـالا

سَـنةٌ وأسـبوعٌ وشـهرٌ كُلُّهـا   جُـدد تجـدّد أنعُمـاً ونَـوالا

حَـوْلٌ بحَـوْلِ اللهِ يقـضي بالـذي   أمَّلْتَـهُ ويزيـدُ حالُـكَ حـالا

عـامٌ يعـمُّ لـك السـرورُ ولا نـرى

في نِعْمَـةٍ خَلَـلاً ولا إخـلالا

يـا مَـنْ أهَـلَّ لَـهُ هِـلالٌ طـالعٌ   لا زالَ وجْهُـكَ للسُّعودِ هِـلالا[2]

وفي ديوانه مقطوعة مستقلة في تهنئة أحد الأمراء بالعيد، يقول فيها:

عيـدُ الأمـير علـى الزَّمـانِ أمـيرُ   وكـذاكَ تـأثيرُ الخَطـيرِ خطـيرُ

يـا زينـةَ الأعيـاد عِـشْ لِتَزينَهـا   أبـداً فعيـشُك للزمـانِ خـبيرُ

بـاليُمْنِ والبَركـاتِ ظِلْـتَ معيّـداً   وظِـلالُ عيـدكَ غبطـةٌ وسـرورُ[3]

ويتصل بالتهاني، تقديم الهدايا، وكثيراً ما كانوا يتهادون بالورود والرياحين في أيام الربيع ويرسلون معها ببعض الأشعار، وكذلك كانوا يتهادون ببعض التحف والطرف النفيسة، وقد يصفون ما يهدونه تظرفاً[4] ونجد في شعر الخبزأرزي وصفاً لسبحة سبج كان قد أهداها إلى القاضي التنوخي، وكتب معها:

بعثـتُ يـا بـدر بـني يعـربِ   بـسبحةٍ مـن سَـبَجٍ معجـبِ

---

(1) ديوانه ص 319.

(2) ديوانه ص 290.

(3) ديوانه ص 121.

(4) العصر العباسي الثاني ص 228.

يقــــولُ مَـــــنْ أبْـــصرَها طرفُـــــهُ   نِعْـــمَ عتـــادُ الخـــائفِ المُـــذْنِبِ
لم تخـــط إنْ فكـــرت في نظمهـــا   ولونهـــا مـــن حمـــة العقـــربِ[1]

وأهدى الخبزأرزي إلى ابن يزداد والي البصرة فَصّاً، وكتب معه:

أهـــديت مـــا لـــو أنّ أضـــعافه   مُطَّـــرَحٌ عنـــدكَ مـــا بانـــا
كمثـــل بلقـــيسَ الـــتي لم يَـــبِنْ   إهـــداؤُها عنـــد ســـليمانا
هـــذا امتحـــان لـــك إن تُرْضَـــهُ   بـــانَ لنـــا أنّـــكَ ترضـــانا[2]

ويعتذر لأحد الأشخاص بأنّ هديته كانت متواضعة، فلو أهدى له ملك مصر لكان قليلاً ويرجو منه أن يقبل هذه الهدية المتواضعة يقول الخبزأرزي:

أمَـا لَـوْ كُنْـتُ مُهْـدِيَ ملـك مِـصْرٍ
إليـكَ لقـلَّ عَـنْ مقـدار شـكرِكْ
فأهْـدَيْتُ القليـلَ بيـسط أُنْـسِي
وأسـألُكَ القبـولَ ببسط عُـذْرِكْ[3]

(1) نشوار المحاضرة 5/ 29.
(2) وفيات الأعيان 5/ 380.
(3) ديوانه ص 182.

الرثـــاء

من الغريب أنني لم أعثر في شعر الخبزأرزي إلاّ علـى مقطوعـة واحـدة، وبيـت شـعر مفرد في موضوع الرثاء، وعلى ما يبدو فإن قصائده في الرثاء قد ضاعت ضمن مـا ضـاع مـن شعره، أمّا المقطوعة فقد عثرت عليها في ديوانه، وهي مكونـة مـن أربعـة أبيـات يـصور فيهـا حزنه العميق على موت حبيب له، يقول الخبزأرزي:

اســـــتودع الـــــرحمن بهـــــ ـــــجةَ ذلـــك الوجـــه الحَـــسَنْ
لم أدرِ بَعْـــــــدَ فِراقِـــــــهِ كيْـــــفَ ا لتّلـــــذُّذُ بالوسَـــــنْ
يـــا ســـالبي ثـــوبَ الـــسرو ر ومُلْبِـــسي ثـــوبَ الحـــزن
خَلَـــــتِ المنـــــازلُ مـــــنكمُ فخلــتْ مِــنَ الــرّوح البَــدَنْ[1]

أمّا البيت المفرد، فقد رواه صاحب المنصف في نقد الشعر ويبدو أنّهُ من قـصيدة قالهـا الخبزأرزي في رثاء أحد الكبراء ويظهر فيه دقة التفكير وبعد الخيال، يقول:

فـــإنْ كـــانَ لمْ يحتـــلّ قـــبراً نـــزورهُ
فـإنَّ لَـهُ في قَلْـبِ كُـلُّ امـرئٍ قَبْـرا[2]

(1) ديوانه 332.

(2) ص 407.

المجون

شارك الخبزأرزي غيره من شعراء عصره القول في المجون، ونجد نزعته للمجون واضحة في بعض قصائده، ومقطوعاته؛ فنجد الألفاظ المقذعة، والأوصاف المجونية التي يأباها الذوق السليم، ويرجع الدكتور محمد مصطفى هدّارة[1] نزعة المجون، في الشعر العربي، إلى القرن الثاني الهجري.

وعلى ما يبدو؛ فإنّ انتشار مذاهب غُلاة الشيعة في البصرة قد ساعد على انتشار المجون، وقد نبّه أحد الباحثين على وجود صلات قديمة بين غلاة الشيعة والمجان[2].

لقد عرفت البصرة، منذ العهد العباسي، مجموعة من الشّعراء المجّان والخلعاء، من أمثال: بشار بن برد، وأبي نواس، ووالبه بن الحباب، وسلْم الخاسر، وغيرهم، وقد كانوا يدعون في شعرهم إلى الانحراف عن جادّة الصوّاب، وربما يعد الخبزأرزي، في شعره المجوني، امتداداً لهؤلاء.

وشعره المجوني فيه كثير من الألفاظ التي تخدش الحياء، ويعفّ القلم في هذا المقام عن كتابة مثل هذه الأبيات التي يظهر فيها المجون، والدعوة إليه، ولولا حرصي على ذكر الألوان الشعرية المختلفة التي نظم فيها الخبزأرزي لضربت صفحاً عن الحديث عن هذا الغرض.

(1) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ص 204.

(2) هو المستشرق فلهوزن، انظر المرجع السابق ص 205.

الفصل الثالث

خصائص شعر الخبزأرزي الفنية العامّة

1- تأثره بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف

2- المعاني والصّور

3- التجسيم

4- البديع

5- الحوار

6- الموسيقا

7- اللغة

8- التكرار

9- وحدة القصيدة

10- بعض عيوب شعره

الفصل الثالث

خصائص شعر الخبزأرزي الفنية العامّة

1- تأثره بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة:

على الرغم من أنّ شاعرنا كان أميّاً لا يقرأ ولا يكتب؛ فقد كان يحفظ كثيراً من الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، وكان الاقتباس من القرآن الكريم، ومن الحديث النبوي الشريف من أهم خصائصه الفنية، ولا نحتاج في إثبات ذلك إلى كبير جهد؛ فبنظرة فاحصة لشعره نعرف أنه قد تأثر بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة سواء باقتباس الألفاظ؛ أو تأثره بمعانيهما؛ فهو يقول مثلاً:

أيّها الإنسان صبراً   إنّ بَعْدَ العسر يُسرا[1]

وواضح أنّه أخذ الشطر الثاني من قوله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾[2] وقوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾[3].

ويقول:

فقلتُ ما قال قبلي نسوةٌ بصرتْ   بيوسف الحسن ما هذا الفتى بشرا[4]

وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[5].

---

(1) ديوانه ص 129.

(2) سورة الطلاق: 7.

(3) سورة الشرح: 5، 6.

(4) ديوانه ص 131.

(5) سورة يوسف: 31.

وإذا نظرنا إلى قوله:

لا زلت حياً كذا المولى لك الفا ئز والشانئ الأبتر[1]

فنجد أنه اقتبس "الشانئ الأبتر" من قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾[2].

وقوله في الأمير ابن يزداد:

حُمّاكَ نَغّصَتِ اللذاتِ فانقلبتْ من التنغّص غسليناً وزقوما[3]

وكلمة "غسلين" و"زقوم" من ألفاظ القرآن الكريم، وردت الأولى في قوله تعالى: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾[4] ووردت الثانية في قوله تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾[5]، وقوله: ﴿لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾[6]، وقوله: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ﴾[7].

ومثل ذلك كلمة "تسنيم" التي وردت في قوله:

وكأنّي ولم أرَ النارَ والجنـ ـنةَ ذقتُ الغسلين والتسنيما[8]

فهي من ألفاظ القرآن الكريم، وردت في قوله تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ﴾[9].

وفي قوله:

لقد ذبت إذ أبدى إليّ مضاحكاً كما ذابَ شيطانله تقضّ له شُهبُ[10]

---

(1) ديوانه ص 91.

(2) الكوثر: 3.

(3) ديوانه ص 319.

(4) الحاقة: 36.

(5) الصافات: 62.

(6) الواقعة: 52.

(7) الدخان: 43.

(8) ديوانه ص 322.

(9) المطففين: 27.

(10) ديوانه ص 22.

فقد تأثّر فيه بقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾[1]. وقوله ﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾[2] وقوله: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾[3].

وفي قوله:

فيقـول الـذي بـدا كـشفَ ضـرّي إنَّ ربـي يحيـى العظـامَ الرّميمـا[4]

وقد أفاد من قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[5].

وكذلك في قوله:

مـصونٌ تجنّبـت في حبـه جميـع الفـواحش إلاّ اللّمَـم[6]

أفادَ من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ...﴾[7] الآية.

وإذا نظرنا إلى قوله:

أخـيٌّ أذابـني هَـمٌّ قـديم وصـيّرني كعرجـون قـديمِ[8]

فإننا نجد أنّه اقتبس كعرجون قديمْ من قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾[9].

---

(1) الصافات: 10.

(2) الحجر: 18.

(3) الجن: 8، 9.

(4) ديوانه ص 322.

(5) يس: 78، 79.

(6) ديوانه ص 310.

(7) من الآية 32 من سورة النجم.

(8) ديوانه ص 328.

(9) يس: 39.

وقوله:

فخالفــتُ توحيـدي وعُقْــتُ أئمــتي ومِلْتُ إلى الجِبْتِ المضلّلِ والنّـصبِ[1]

وكلمة "الجبت" من ألفاظ القرآن الكريم وردت في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ .....﴾[2].

وقوله:

نهـــرٌ يطيِّـــبُ بالحبيـــب وطيبـــه فكأنّـــهُ بـــين الجنـــانِ الكـــوثرُ[3]

فقد اقتبس كلمة "الكوثر" من القرآن الكريم، وقد وردت في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾[4].

وقوله:

مـــا إن تطـــل علـــى كـــذو بٍ مثلِـــه الـــسبعُ الطبـــاق[5]

(1) ديوانه ص 22.

(2) النساء: 51.

(3) ديوانه ص 109.

(4) الكوثر: 1.

(5) ديوانه ص 449.

وكلمة "السبع الطباق" من ألفاظ القرآن الكريم، وقد وردت في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾[1]، وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾[2].

وفي قوله:

وقد أوجبَ اللهُ القصاصَ بعدلِهِ ... وللهِ حُكْمٌ في العقوباتِ مُنْزَلُ[3]

تأثر بالآية الكريمة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ...﴾[4].

وبالآية الكريمة ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[5].

وتبدو الإفادة من الأساليب القرآنية في قوله:

كأنما الدّهرُ أغرى بيننا حسداً ... ونعمةُ اللهِ مقرونٌ بها الحسدُ[6]

فقد تأثر فيه بقوله تعالى عن الحسد: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ...﴾[7].

وقوله:

بلغتْ روحي التراقي من الشوْ ... قِ ولو زدتُ لم تقمْ في التراقي[8]

فقد تأثر فيه بقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ﴾[9].

---

(1) الملك: 3.
(2) نوح: 15.
(3) ديوانه ص 462.
(4) البقرة: 178.
(5) البقرة: 179.
(6) ديوانه ص 57.
(7) النساء: 54.
(8) ديوانه ص 274.
(9) القيامة: 26.

وفي قوله:

هـو المـوتُ مخلـوقٌ لـهُ الخلـقُ أجْمَـعُ فليسَ لَهُ عـن أنفُـسِ النـاسِ مقلـعُ[1]

تأثر بالآية الكريمة: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ....﴾[2].

ومن التأثر بالجمل القرآنية قوله:

مِـنْ سُـنَّةِ اللهِ إهـداءُ الـشكورِ لَـهُ ومـا لـسُنَّتِهِ في الخَلْـقِ تبـديلُ[3]

فقد أفاد فيه من الآيـة الكريمـة: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً﴾[4] ومـن قولـه تعـالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلاً﴾[5] ومن قوله تعالى أيضاً: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً﴾[6].

وقوله:

مـا حَـرامٌ إحْيـاءُ نَفْـسٍ ولكـنْ قَتْـلُ نَفْـسٍ بغـيرِ نَفْـسٍ حَـرَامُ[7]

فقـد أفـاد فيـه مـن قولـه تعـالى: ﴿.... وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾[8] وقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ....﴾[9].

---

(1) ديوانه ص 428.
(2) آل عمران: 185.
(3) ديوانه ص 287.
(4) الأحزاب: 62.
(5) فاطر: 43.
(6) الفتح: 23.
(7) ديوانه ص 474 وانظر البيت في المنصف في نقد الشعر ص 367.
(8) الأنعام: 151.
(9) الإسراء: 33.

وقوله: ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ....﴾[1].

وقوله في مدح ابن يزداد:

هـذي فعـالٌ مـن فعالـك تحتـذى فاسمعـه لا لغـواً ولا كِـذّابا[2]

وهو مقتبس من قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا﴾[3].

ومثل هذا قوله:

خطـرات قلـبي في طرائقهـا تـذر القلـوبَ طرائقـاً قـدداً[4]

فتعبير "طرائقاً قدداً مأخوذ من قوله تعـالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾[5].

وقوله:

واللهُ أعلـمُ حيـثُ يجعـلُ فَـضْلَهُ وكفَـى بـذلك للحـسود جوابـا[6]

وهو متأثر في هذا بقول الله تعالى: ﴿..... ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[7].

وفي قوله:

أبـدع في خلقـهِ مُـصَوِّرُهُ فأكمـلَ الحُـسْنَ فيـه إذ صَـوَّر[8]

---

(1) الفرقان: 68.

(2) ديوانه ص 29.

(3) النبأ: 35.

(4) ديوانه ص 62.

(5) الجن: 11.

(6) ديوانه ص 29.

(7) الأنعام: 124.

(8) ديوانه ص 90.

تـأثر بالآيـة القرآنيـة الكريمـة: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾[1] وبقولـه تعـالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[2].

وشبيه ببيته السابق قوله:

هـذا الـذي ابتـدع الـرحمن صـورته   فـلا تفـاوت فيـه فـارجع البَـصرا[3]

وقـد اقتـبس "فـارجع البـصرا" مـن قولـه تعـالى: ﴿... فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾[4].

وقوله:

لـــو أنهـــا دارُ المقـــام لعـــدَلْت   لكنهـــا خُلقَـــتْ لغـــير مقـــام[5]

فقد أفادَ في هذا البيت من قوله تعـالى: ﴿... وَٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[6]، ومن قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[7]. وقوله تعالى: ﴿وَمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾[8].

---

(1) غافر: 64.
(2) التغابن: 3.
(3) ديوانه ص 131.
(4) الملك: 3.
(5) ديوانه ص 327.
(6) الأعراف: 169.
(7) القصص : 83.
(8) العنكبوت: 64.

وشبيه ببيته السابق قوله:

فـلا كانـت الـدنيا إذا كـان عيـشها　　　ولـذّتها كـالثّوبِ يَبْلـى ويُـسْلَبُ[1]

فقد أفاد فيه من قوله تعالى: ﴿...وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَـٰعٌ﴾[2].

وقد تأثر في شعره – بشكل كبير – بسورة يوسف ﷺ وذلك من مثل قوله:

كيعقـــوب الـــنّبيّ جَـــلا عمـــاهُ　　　موافـــاة القمـــيصِ مـــع البـــشيرِ[3]

وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[4].

وقوله:

علـــيّ واللهِ فيهـــا شـــنّعوا كـــذّبوا　　　ككذبِ أولادِ يعقوبٍ علـى الـذئبِ[5]

وواضح أنّ هذا مأخوذ من قوله تعالى حكاية عن إخوة يوسف ﷺ ﴿قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَـٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ﴾[6].

وقوله:

كمثـــل يعقـــوب بعـــد يوســـف إذ　　　حَـــنَّ إلى شَـــمِّ بعـــض أثوابـــه[7]

(1) ديوانه ص 24.

(2) الرعد: 26.

(3) ديوانه ص 176.

(4) يوسف: 96.

(5) ديوانه ص 37.

(6) يوسف: 17.

(7) ديوانه ص 377.

وهذا مأخوذ من قوله تعالى حكاية عن يوسف وأبيه وإخوته ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٣ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾[1].

وقد تأثر في شعره بقصص القرآن، من مثل قوله:

أيا شبيهُ الذي باعوهُ إخوتُهُ　　　أيا سميّ الذي ألقوهُ في النّار[2]

وواضح أنه يعني في الشطر الأول يوسف ﷺ، قال تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَـٰبُشْرَىٰ هَـٰذَا غُلَـٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَـٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ۝١٩ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾[3].

أما الشطر الثاني فيعني فيه إبراهيم ﷺ، قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ۝٦٨ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾[4].

وتأثر كذلك بقصة هاروت وماروت التي وردت في القرآن الكريم، من مثل قوله:

لو جاء ناظره ببابلَ لاعترت　　　هاروتَ أو ماروتَ أخذَةُ سحره[5]

وقوله أيضاً:

يـنكسٍ رأسهُ لهاروتَ في　　　بابل إذ كان مثله يسحر[6]

---

(1) يوسف: 93، 94.

(2) ديوانه ص 167.

(3) يوسف: 19، 20.

(4) الأنبياء: 68، 69.

(5) ديوانه ص 184.

(6) ديوانه ص 89.

قال تعالى في سورة البقرة: ﴿.....وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ.....﴾[1].

ومثل أخير على تأثر الخبزأرزي بالقرآن الكريم قوله:

أســتودع اللهُ أحبابــاً حُـسِدْتُ بهــم   غــابوا ومــا زوّدونــي غــير تثريــبِ
بـائوا ولَـمْ يَقْـضِ زَيْـدٌ مِـنُهُمُ وَطَـراً   ولا انقضت حاجة في نفسِ يعقـوبِ[2]

فقد لَمَّحَ في المصراع الأول من البيت الثاني إلى قوله تعالى: ﴿...فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا...﴾[3].

ولّمح في المصراع الثاني مـن البيـت نفسه إلى قولـه تعـالى: ﴿...إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا...﴾[4].

أما تأثر الخبزأرزي بالحديث النبوي الشريف، فنجد له أمثلـة كـثيرة أيـضاً مـن مثـل قوله:

كــلّ مَــنْ دَلَّ علــى الخَــيرِ   فــشطرُ العُــرْف لــهْ
إنَّ مَــنْ دَلَّ علــى الخَــيرِ   كمــنْ قــد فعلــهْ[5]

وواضح انَّ هذا مأخوذ من قوله ﷺ: "مَنْ دَلَّ على خيرٍ فَلَهُ مثلُ أجْرِ فاعله"[6]، وذكـر أحمد بن حنبل في مسنده: قال ﷺ لرجلٍ أتاه: إذهب فإنَّ الدّال على الخير كفاعله"[7].

---

(1) البقرة: 102.

(2) محاضرات الأدباء 3/ 65. وانواع الربيع في الوان البديع 4/ 267.

(3) الأحزاب: 37.

(4) يوسف: 68.

(5) ديوانه ص 299.

(6) مسند احمد بن حنبل 4/ 120.

(7) نفسه 5/ 357.

وقوله في المدح:

يـــد الـــذي يعطـــي هـــي م العليـا وأنـتَ علـى الأنـام العـالي[1]

وهو مأخوذ من قول الرسول ﷺ: "واللهِ لأن يأخذ أحدكم حبلاً فيحتطب فيحمله على ظهره فيأكل أو يتصدق خيراً له مِنْ أنْ يأتي رجلاً أغناه الله من فضله فيسأله أعطاه أو منعه ذلك بأنّ اليد العليا خير من اليد السفلى"[2].

وأخذ قوله:

رأيـتُ غِنـى الـنَّفْسِ خيْـرَ الغِنـى   كـذا عَـدَمُ الـصَّبْرِ شَـرُّ العَـدَمْ[3]

من قوله ﷺ "ليس الغِنى عن كَثْرةِ العَرَضِ ولكنَّ الغنى غنى النفس"[4].

وقوله:

رَحِـــمَ اللهُ مِـــنَ العـــالَمِ مَـــنْ   حَـضَرَ النـاسَ بخـير أو سـكت[5]

من قوله ﷺ: "مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلْيتّقِ اللهَ عزّ وجل وليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليتق الله وليكرم ضيفه، ومَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليتق الله وليقل حقاً أو ليسكت"[6].

وإذا نظرنا إلى قوله:

إذا أنـــت ســـارَرْتَ في مجلـــسٍ   فإنّـــك في أهْلِـــهِ مُـــتَّهمْ
فهـــذا يقـــول: قـــد اغتـــابني   وذا يـــستريب وذا يـــتهم
يقولـــون: لـــو كـــان هـــذا الـــسّرا   رُ خـــيراً لمـــا كـــان بـــالمتهَّم[7]

(1) ديوانه ص 306.

(2) مسند أحمد بن حنبل 2/ 243.

(3) ديوانه ص 310.

(4) عمدة القارئ – كتاب الرّقاق – حديث رقم 33. مسند أحمد بن حنبل 2/ 243.

(5) ديوانه ص 41.

(6) مسند أحمد بن حنبل 5/ 24 وانظر 5/ 412.

(7) محاضرات الأدباء 1/ 128، وديوانه ص 312.

فإننا نرى أنّ هذا المعنى قد أخذه من قول الرسول ﷺ: إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجَ اثنان دون صاحبهما فإنّ ذلك يحزنه[1].

وبالإضافة إلى تأثره بالقرآن الكريم، وبالحديث النبوي الشريف؛ فقد تأثر أيضاً بالمعاني الإسلامية، وما حثّ عليه الإسلام من الالتزام بالأخلاق القويمة، وعدم الركون إلى ملّذات الحياة، يقول الخبزأرزي:

هم عاكفونَ على الدنيا وزخرفها	والموتُ في مرصد الأعمارِ معتكفُ
هم غافلون وما الآجالُ غافِلَةٌ	ومطمئنون والأرواح تختطفُ
ألهاهم رشفهم ماء المنى ونسوا	أنَّ الزمانَ لماءِ العمرِ مرتشفُ
فمنْ تعجّلِ مسلوب ومخترم	ومنْ يؤخّرُ فالإيهام والخَرَفُ
فأيّ هذين محسودٌ ومغتبطٌ	من عاجل الموت أو من ذاله خلف؟[2]

وهو هنا يعجب كيف أنّ الناس يركنون إلى الحياة الدنيا وملذاتها، وهم يرون الموت يقف لهم بالمرصاد، وهم غافلون والموت ليس بغافل، ومطمئنون إلى الحياة، والناس يموتون من حولهم، والجميع هالك، ولكن بعضهم يعجّل له في موته، وبعضهم يؤجل إلى حين.

ويخبرنا في مقطوعة أخرى أن كل شيء ميسوراً كان أو معسراً، فهو مقدر لنا ولكن يجب علينا تتبع الخير واجتناب الشر:

كل الأمور فميسورٌ ومعسورُ	تجري به قدمٌ تسعى ومقدورُ
والخير والشر مقرونان في قرنٍ	فالخيرُ مُتَّبعٌ والشرُّ محذورُ[3]

ويحدثنا في مقطوعة أخرى عن وجوب مساعدة الإخوان ويعد هذا ذخراً، ويخبرنا بانه يجب على الإنسان أن يقدّم مروءته على تحقيق شهوته، وإن لم يفعل ذلك فلن يحظى بشكر الناس وحمدهم، يقول الخبزأرزي:

---

(1) مسند احمد بن حنبل 1/ 425.

(2) ديوانه ص 230.

(3) ديوانه ص 118.

مــؤازرة الإخــوانِ ذُخْــرٌ مــن الــذُّخرِ
وللْحُــرِّ أنْ يــشكُو هَــوَاهُ إلى الحُــرِّ
ومَـــنْ لم يجانـــبْ شَـــهْوَةً لمـــروءةٍ
كــذلكَ لا يحظــى بحمــدٍ ولا شُــكْرِ[1]

ويحثّ الناس في بيتٍ آخر على التمسك بدينهم:

وإذا أضــاعَ النــاسُ ذِمَّــةَ ديــنهم   لم يُحفَظــوا بمــودّة وذمـــامِ[2]

وفي أبيات أخرى يحث على حُسْن اختيار الصديق، فنتجنب الأشرار ونصادق الأخيار لأنّ القرين بالمقارن يقتدي:

فتجنــب الأشــرارَ تجْنــبْ شَــرَّهُمْ   واخــتر لنفــسك صُــحْبَةَ الأخيــارِ
مــن لاذ بالفُجّــارِ يُــدْعى فــاجراً   وكــذاك مَــنْ قــد لاذَ بــالأبرارِ
إنّ القــرينَ هــو الــنظيرُ فــإنْ تكــنْ   حُــرّاً فــدونك صــحبة الأحــرارِ[3]

ومن الجوانب الأخلاقية في شعره الّتي تتفق مع المعاني الإسلامية هذه المقطوعة التي تتحدث عن التّسامح، والعفو عن المسيء، وعدم الحقد على أحد، وعدم الظلم، أو الردّ على الظالم، فالله سبحانه وتعالى هو المنتقم من الظالم على ظلمه، وتحث المقطوعة كذلك على التمسك بأهداب الدين وعلى أن يكون باطن الإنسان كظاهره، يقول الخبزأرزي معبراً عن كل هذه المعاني التي تتفق مع ما ينادي به الإسلام، بألفاظ سهلة ويسيرة:

لمّــا عفَــوْتُ ولم أحْقِــدْ علــى أحَــدِ   أرَحْــتُ نفــسيَ مِــنْ هَــمِّ العــدَاواتِ
إنّــي أحيِّــي عــدوّي عنــد رُؤْيَتِــهِ   لأدْفــعَ الــشّرَّ عنّــي بالتحيّــاتِ
ولــسْتُ أبْغــي وإنْ بَغــيٌ يكففنــي   كفــانيَ البغــيَ جبّــارُ الــسّمواتِ
والغــلُّ والحقــدُ مَــنْ يخلــعْ لباسَــهُما   فقــد يُلَــبِّس أثــوابَ الــدّياناتِ

---

(1) ديوانه ص 144.
(2) ديوانه ص 327.
(3) ديوانه ص 161.

أخفـي جمـيلاً كمـا أبْـدي ويَـسْتُرُني مِـنَ البليّـاتِ عَـلاّمُ الخفيـاتِ[1]

والحقيقة أنّ الجوانب الأخلاقية في شعر الخبزأرزي مبثوثة بكثرة في قصائده ومقطوعاته، وربما أشرت إلى بعض هذه الجوانب عند حديثي عن موضوع الحكمة في شعره، وأكتفي بما أوردت للتدليل على ما أقول.

(1) ديوانه ص 43.

2- المعاني والصور:

تكثر المعاني الجديدة والصور والأخيلة في شعر الخبزأرزي، وقد استطاع أن يلتقط لنا صوراً عديدة طريفة من مثل قوله في الرثاء:

فـإنْ كـانَ لم يحتـلّ قـبراً نـزورُه
فـإنَّ لَـهُ في قَلْـبِ كـلِّ امـرئٍ قـبرا[1]

وهو معنى جديد يبرز فيه دقة التفكير، وبراعة الخيال، ومن بين الصور الجديدة التي ابتدعها الخبزأرزي قوله:

لَـوْ حُـزَّ بالسيف رأسـي في محبـتكم
لمـالَ يهـوي إليـكمْ مسرعاً راسـي
ولَوْ بلي تحت أطباق الثرى جسدي
لكنتُ أبْلى ومـا قلبي لكـم ناسـي[2]

وقوله مصوراً حظّه في الحب:

ولمّـا رأيـتُ الحُـبَّ قَـدْ مُـدَّ جِسْرُهُ
ونـوديَ بالعـشاق: ويحكـمْ فِـرُّوا
تبـادرتُ نَحْـوَ الجِسْرِ كَيْمـا أجـوزُهُ
فـأدركني الحرمـانُ وانْقَطَـعَ الجِسْرُ[3]

ومن هذه المعاني الطريفة أيضاً قوله:

ومِـنْ طـاعتي إيّـاه يُمْطِـرُ نـاظري
إذا هُـوَ أبْـدى مـن ثنايـاهُ لـي بَرْقـا[4]

---

(1) ديوانه ص 407 وانظر البيت في المنصف في نقد الشعر ص 312.
(2) ديوانه ص 208.
(3) ديوانه ص 102.
(4) المنصف في نقد الشعر ص 121.

فجاء في هذا البيت بما يشاكل بعضه بعضاً، ويتعلّق اللفظ به، كما يقول ابن وكيع التنيسي[1].

ومن هذه الصور الطريفة قوله:

وكـذاك نـيرانُ القلـوبِ إذا الْتَظَـتْ
يَوْمـاً نـشفن مـن العيـون المـاء[2]

فجعل صلةً بين نشف ماء العيون ونار القلـوب، وفي بيتـه مطابقـة لطيفـة بـين النـار والماء.

وقوله:

لــو أنَّ ذا القــرنين في ظُلُماتِــهِ
ورآهُ يـضحكُ لاستَـضاءَ بِثَغْـرِهِ[3]

وقوله مصوراً معنى من ارتحل فخلّف قلبه عند حبه:

أنـا غائـبٌ والقلـبُ عِنْـدَكَ حاضِـرٌ
سافرتُ عنكَ ومـا الفُـؤادُ مسافِرُ[4]

ومن صوره العذبة اللطيفة قوله مصوراً جمال حبيبه:

ولو لم يكـنْ بـدرُ الـدُّجى ذا وقاحـةٍ
لما كـانَ في أرضٍ بهـا أنـت يطلـعُ[5]

ومن ذلك قوله مصوراً حزنه وأساه؛ وقد أحسن في ذلك وأجاد:

إنَّ نفــسي تــذوبُ في كــلّ يــومٍ
حـسراتٍ ومـن جفـوني تـسيلُ[6]

---

(1) نفسه.

(2) ديوانه ص 355، وانظر المنصف في نقد الشعر ص 262.

(3) ديوانه ص 184.

(4) ديوانه ص 405.

(5) ديوانه ص 427.

(6) ديوانه ص 465 وانظر البيت في الإبانة عن سرقات المتنبي ص 167.

ولنستمع إليه في هذه الصّورة الطريفة مصوّراً تسويف حبيبه ومماطلته:

خلّيتني ضائعاً والحالُ حائلةٌ
ورُمْتَ في الكَيْل بَخْساً بعد تطفيفِ
أسْنى العوارفِ ما يأتي الزّمانُ بهِ
عفواً وطوْعاً بلا مَطْلٍ وتَسْويفِ
إذا أساءَ وضيعُ القدرِ خاملُهُ
إليَّ لم يَخْلُ مِنْ لَوْمٍ وتعنيفِ[1]

ومن ذلك أيضاً هذه الصورة التي التقطها من الحياة العامة:

إلى كمْ أذِلُّ واسْتَعْطفُ وأنْت تجورُ ولا تُنْصفُ
أيا يوسفَ الحسن صِلْ مُدْنفاً مدامِعُهُ لَمْ تَزَلْ تَذْرِفُ
أعيذُكَ مِنْ ظالمٍ غاشمٍ سوى الخلف في الوعدِ لا يعرفُ
ولي مُهْجَةٌ أنْتَ أتْلَفْتَها عليكَ غرامةُ ما تتلفُ[2]

ومن معانيه اللطيفة البديعة قوله مصوراً نفسه بعد أن نال ما يريد:

فمِنْ شُغْلِ قلبي بما نِلْتُهُ ذهلتُ بهِ عن جميعِ الأمور[3]

ومن ذلك أيضاً قوله:

كُنْ في الجماعاتِ حيثُ كانوا فالمَوْتُ عُرْسٌ مع الجميعِ[4]

ومن ذلك معنى التسلّي عمّن رغب في غير حبيبه يقول الخبزأرزي:

اذهبْ وهَبْتُكَ للّذين اخترتهم هبةَ الكريمِ فإنّه لا يرجعُ[5]

ومن ذلك تصوير ضياع النصح لمن لا يقبله:

---

(1) ديوانه ص 447 وانظر الأبيات في الإبانة عن سرقات المتنبي ص 179.
(2) ديوانه ص 442، وانظر الأبيات في الإبانة عن سرقات المتنبي ص 194، والصبح المبنى عن حيثية المتنبي ص 72.
(3) ديوانه ص 420 وانظر البيت في محاضرات الأدباء 4/ 714.
(4) ديوانه ص 438.
(5) ديوانه ص 429.

إنْ كـان حمـدي ضـاعَ في نـصحكم		فـإنّ أجْـريَ لـيس بالـضائعِ[1]

وفي تصوير الظالم المتظلّم:

ظلمـتَ سـراً وتـسْتعدي علانيـةً		ألْهَبْتَ نـاراً وتـستعفي مِـنَ اللّهـبِ[2]

وفي ذم من اعتذر فأساء:

وكـمْ مـذنبٍ لمـا أتـى باعتـذارهِ		جنى عذرُه ذنباً مِـنَ الـذّنبِ أعْظَمَـا[3]

ومثل تصوير الأحوال الشّاقة التي تبلغ بها الرئاسة:

فقـلْ لمرجّـى معـالي الأمـور:		بغـير اجتهـادٍ طَلَبْـتَ المُحـالا[4]

ومن صوره الطريفة ومعانيه الجميلة ما وصف به القد:

أهَيَـفُ يحكـي بقـدّه الألِفـا		يَخْـسَرُ مَـنْ لَـمْ يَكُـنْ بِـهِ كَلِفَـا

لـو أبْـصَرَ الوَجْـهَ منـهُ مُنهـزِمٌ		يَطْلُبُـه ألْـفُ فـارسٍ وقفـا[5]

ولنا أنْ نتخيل هذا المحبوب بقدّه المستقيم، وهو واقف، وقد رآه منهزم يلحقه ألف فارس، ثم عندما يراه يذهله جماله فيقف ناسياً ما هو فيه.

ومن هذه الصور والمعاني الطريفة ما قاله في الزيارة:

خَليلَـيَّ هَـلْ أبْـصَرْتُما أوْ سمعتمـا		بـأكْرَمَ مِـنْ مـولى تمـشّى إلى عَبْـدِ

أتـى زائـراً مِـنْ غـيرِ وَعْـدٍ وقـالَ لِـي		أصُونُكَ مِـنْ تعْليـقِ قَلْبِـكَ بالْوَعْـدِ[6]

---

(1) ديوانه ص 437.

(2) ديوانه ص 468 وانظر البيت في محاضرات الأدباء 1/ 221.

(3) ديوانه ص 478.

(4) ديوانه ص 467.

(5) ديوانه ص 444.

(6) ديوانه ص 69.

ومن ذلك هذه الصورة التي يوازن فيها بين عيني محبوبه، وبين زهور النرجس:

جمالُ عَيْنَيكَ عطّلَ النَّرْجِسْ حتّى تقاضى ودارَ في المجلسْ
أبصرَ عينيكَ فانثنى خجلاً فهوَ لِفَرْطِ الحياءِ قَدْ نُكسْ
لو استطاعَ الكلامَ قالَ: كذا كانَ، ولكن لسانهُ أخرس[1]

وهو يستعين بالتشبيه لإتمام الصورة التي يأتي بها في شعره، من مثل قوله:

قلبي كأنَّ أسيراً قد أحاطَ به
جيشٌ مِنَ الكَرْبِ لا يُحْصَى لَهُ عَدَدُ[2]

فهو يشبّه قلبه بالمقاتل الذي وقع أسيراً في يد الأعداء، وهؤلاء الأعداء هم جيش من الأحزان لا يُحصى عددُ أفراده.

ومثل قوله:

ضياءٌ كأنَّ الصُبْحَ يَجْلوهُ وَجْهُها
لَنَا وَكَأنَّ اللَّيلَ يُدْجيه شعرُها[3]

وهو تشبيه جميل؛ إذ يجعل نورَ الصباح من بياض وجه حبيبته، ويجعل سواد الليل من سواد شعرها.

ومثل قوله:

فإذا بدا بلوائِهِ فكأنَّهُمْ أسراءُ قَدْ بَصرُوا بوجْهِ أميرِ[4]

فهو يشبه حبيبه، عندما يطلع على عاشقيه، بالأمير، ويشبه عاشقيه بالأسرى الذين بهتوا لجماله، فأصبحوا أسرى له.

ومن تشبيهاته اللطيفة، قوله واصفاً تفاحة من لونين: أحمر وأصفر، يقول:

---

(1) ديوانه ص 192.
(2) ديوانه ص 57.
(3) ديوانه ص 124.
(4) ديوانه ص 178.

وتفاحةٍ مِنْ سَوْسَنٍ صيغَ نصفُها
ومِنْ جلَّنارٍ نصفُها وشقائقِ
كأنَّ الهوى قد ضَمَّ مِنْ بَعْدِ فُرْقَةٍ
بها خَدُّ معشوقٍ إلى خَدُّ عاشقِ[1]

فهو يشبه هذه التفاحة بخدّي عاشقين قد ضمّها الهوى بعد طول فراق.

ومن تشبيهاته البديعة قول يصف رقة البشرة:

درّيةُ اللونِ فيه مشربَةٌ
حُمْرَةَ خَمْرٍ تمازجُ اللَّبنا
كاللؤلؤ الرَّطْبِ لونُ ظاهِرِهِ
وفيه ماءُ العقيقِ قَدْ بَطنا[2]

فهو يشبه البشرة بلون الدرّ الأبيض المشرب بحمرة الخمر الممزوجة باللبن، فيرى من الظاهر كاللؤلؤ اللامع الشفاف، وترى داخله ماء العقيق الأحمر.

ومن استعاراته الجميلة التي أعجب بها علماء البلاغة القدامى والمحدثون قوله:

لما نظرْتِ إليَّ من حَدَقِ المها ... وبَسَمْتِ عن متفتح الأنوارِ
وعقدتِ بين قضيب بانٍ ناعمٍ ... وكثيب رملٍ عقدةَ الزنّارِ[3]

فاستعار القضيب للقد، والكثيب للردف، وقد ربط بين فمها ومتفتح الأنوار، وبين جسمها وقضيب البان، وهذه الاستعارة من رائع الاستعارات، كما يقول الدكتور أحمد مطلوب[4]. وقد أعجب ابن الأثير بهذه الأبيات، وقال: وهذه الأبيات لا تجد لها في الحسن شريكا[5].

---

(1) نفسه ص 270.

(2) كتاب المحبوب ص 540 وانظر ص 105.

(3) كتاب المحبوب ص 268 وص 454، ونسبهما ابن الأثير في المثل السائر 2/ 106 لديك الجن.

(4) فنون بلاغية ص 132.

(5) المثل السائر 2/ 106 ونسبهما لديك الجن.

والحقيقة فإن المعاني، والصور الطريفة أكثر من أن تحصى في شعره، غير أنه يجب الإشارة إلى بعض المعاني التي أخذها الخبزأرزي من غيره من الشعراء، من ذلك قوله:

أنــــا في بحــــرِ جــــدْواهُ غريــــقٌ بــــيْن أمْــــواجِ
ومِــــنْ قِلّــــةِ مــــا أثــــني عليــــهِ صِــــرْتُ كالهــــاجي[1]

أخذه من قول البحتري:

جَلَّ عنْ مذهب المديح فقدْ كا دَ يكون المديح فيه هجاءَ[2]

ومن ذلك قول الخبزأرزي:

هو البدرُ مبسوطاً على الأرض نورُهُ ولكنْ له من كفّ لامِسِه بُعْدُ[3]

أخذ معناه من قول أبي عيينة المهلبي:

وقُلْتُ لأصحابي: هي الشمسُ ضَوْؤُها قَريبٌ ولكنْ في تناولها بُعْدُ[4]

ومنه قول الخبزأرزي:

كَمْ جاهلٍ وادعٍ في عيشِهِ فَرِحٌ وعاقلٍ شَفَّهُ الإقتارُ والتَّعَبُ
يُرى الغِنى عند قَوْمٍ لا غَناءَ لَهم والجدُّ يَنْفِرُ مِمَّنْ عندهُ الأدَبُ[5]

وقد أخذه من قول دعبل الخزاعي:

وقَدْ عَلِمْتُ ومالي ما أعيش بهِ أنَّ التي أدْرَكَتِني حِرْفَةُ الأدبِ[6]

---

(1) ديوانه ص 387.
(2) ديوانه 1/15.
(3) ديوانه ص 390.
(4) الإبانة ص 76.
(5) ديوانه ص 358.
(6) الإبانة ص 91.

ومنه قوله:

مـالي بـصدّكَ يـا غـزالَ المِرْبَـدِ ... فلقـد أطَلْـتَ تحيّلـي وتلـدّدي[1]

أخذه من قول الأحوص:

وبـالنُّعْفِ مـن فيفـا غـزالٍ ذكرتُهـا ... فطـالَ نهـاري واقفـاً وتلـددي[2]

ومنه قوله:

وجْـهٌ تكامَـلَ حُـسْنُهُ ... لَمّـا تُطَرِّفُـهُ عِـذارُهْ

والـسّيْفُ أحْـسَنُ مـا يُـرى ... مـا كـانَ مُخْـضَراً عـذارهْ[3]

أخذه من قول الحسين بن الضحاك:

اخـضرّ عارضُـهُ ولاحَ عـذارهُ ... والبـدْرُ لـيْسَ يـشينُه آثـاره

والـسّيفُ لـولا خُـضْرَةٌ في مَتْنِـهِ ... مـا كـان يُعْـرَفُ عتقُـهُ ونجـاره[4]

وأخذ قوله:

فلي مـع النـاسِ عيـدٌ في الهـلالِ ولـي

وحـدي هـلالٌ وعيـدٌ فيهمـا زيـدا[5]

من قول العباس بن الأحنف:

للنّـاسِ في الـشهرِ هـلالٌ ولـي

في وجْهِهـا كُـلُّ صـباحٍ هـلالُ[6]

ويفيد أحياناً من أقوال بعض العلماء؛ فينظمها في شعره، كقول بعضهم: ليس معي من العلم إلاّ أنّي أعلم أنّي لا أعلمُ، أخذه الخبزأرزي؛ فقال:

---

(1) ديوانه ص 77.

(2) ديوانه الأحوص ص 110.

(3) ديوانه ص 122 وانظر كتاب المحبوب ص 400.

(4) كتاب المحبوب ص 286.

(5) ديوانه ص 64.

(6) ديوانه ص 257.

جَهِلْـتَ ولمْ تعلـمْ بأنّـكَ جاهـلٌ

فمنْ لي بأنْ تدْري بأنّـك لا تـدري[1]

وأخيراً لا بدَّ من الإشارة إلى المعاني التي أخذها الشعراء عن الخبـزأرزي، مـن ذلـك قول الجهمي[2]:

وليس الذي يجـري مـن العـين ماؤُهـا

ولكنّـه نفـس تـذوب فتقطـرُ

أخذه من قول الخبزأرزي:

إنَّ نفـسي تـذوب في كـلّ يـوْمٍ حَـسَراتٍ ومِـنْ جفـوني تـسيلُ[3]

ومنه قول محمد بن أبي زُرعة الدمشقي[4]:

أسـقمني طرْفُـهُ وحمَّلـني هـواهُ ثِقْـلاً كـأنّني كَفَلُـه

أخذه من قول الخبزأرزي:

وأسـقمني حتّـى كـأني جفونُـهُ وأثقَلَـني حتّـى كـأني روادفُـهُ[5]

وقد أشارت بعض الكتب، التي تحدثت عن سرقات المتنبي، إلى أبيـات كـثيرة أخـذها المتنبي من الخبزأرزي، ولن أخوض في مشكلة السرقات الأدبية، ولكـن لا بـدّ مـن ذكـر هـذه الأبيات التي أشارت إليها تلك الكتب:

---

(1) ديوانه ص 142.

(2) الإبانة عن سرقات المتنبي ص 167، والصبح المنبي ص 259.

(3) الإبانة ص 167، والصبح المنبي ص 259 وانظر البيت في الديوان ص 465.

(4) الإبانة ص 208.

(5) نفسه ص 208.

بين المتنبي والخبزأرزي

أورد بعض المؤلفين القدامى، من الذين اهتموا بموضوع السرقات، أبياتاً كثيرة للمتنبي زاعمين أنه سرقها من شعر الخبزأرزي، ولعل أهم هؤلاء المؤلفين ثلاثة وهم:

1. أبو محمد الحسن بن علي بن وكيع التنيسي (المتوفى سنة 393هـ) في كتابه "المنصف في نقد الشعر وبيان سرقات المتنبي ومشكل شعره" وقد تتبع سرقات المتنبي من الخبزأرزي في ثلاثة عشر موضعاً، وقد قال في مقدمة ذلك:

"... ولو علم الرّاغب به عن سرقة شعر أبي تمام؛ أنني سأورد من سرقاته؛ ممن لا يعارَضُ أبو تمام به ولا يوازَنُ بمقداره، ولا يشق غباره من الشعراء المحدثين الذين ليس لهم صيت أبي تمام ولا صنعته ولا علمه ولا رفعته، وهو: نصر الخبزأرزي، لاشتغل عن الانتصار له في أبي تمام. وأنا أعلم أنّ الإنكار يقع بي في سرقته من معاصريه لأنهم إذا كانوا يرغَبون به عن السرقة ممن قدم عصره، وعظُم في النفوس قدرُه، كانوا ممّن قارب عصره، ولم يتناقل الأدباء شعره أرغب به..

وهذه الطائفة السّامية بقدره، المفرطة في تعظيم أمره عرفته بعد خطوته وارتفاع صيته ورتبته، ولم تعرفه وهو دقيق الخمول وهو بمنزلة المجهول، وقد كان زمانه في هذه الحال أطول مسافة من زمانه في ارتفاع الحال، ووجود المال الذي شهر اسمه، وأبان لهم فضله وعلمه. وأنا أورد عليك من خبره ما خبرني به أبو القاسم علي بن حمزة البصري، وكان من المجردين في صحبته، والمغرقين في صفته:

ذكر أنه حضر عند أبي الطّيب وقت وصوله من مصر إلى الكوفة وشيخٌ بحضرته فيه دُعابة لا تقتضيها منزلة أبي الطيب في ذلك. قال: فرأيت أبا الطيب محتملاً لما سمعه. فقال له مما قال: يا أبا الطيب ولك مئة قصيدة ونيّف من القصائد فكنت تفرقها على المنقطعين من أبناء السبيل؟! فقال له: ألا تدع هزلك؟! قال: فأخبرْني عن قصيدتك الشاطرية التي خرجت من أجلها إلى البصرة حتى أظهرت فيها معارضتك للخبزأرزي؛ لِمَ أسقَطْتَها؟

فقال: تلك هفوات الصبا.

قال: فسألت الشيخ: أتحفظ منها شيئاً؟

قال: فأنشدني أبياتاً عدة.

قال أبو القاسم: فأمهلت أبا الطيب مُدَّةً حَسُن معها السؤال، وخِفِيَ المقصد؛ فقلت له:

أدَخَلْتَ البَصْرَةَ قطّ؟

قال: نعم.

قلت: فأين كنت تسكن؟

فخبّرني عن منزل كنت أعرفه كان الخبزرزي منه على أذرعٍ يسيرة: أربع أو خمس. فقلت بأنَّ الشيخ قد صدق.

وخبرّني أبو القاسم علي بن حمزة أنه سأل عن جرأة الشيخ عليه فذكر مخبره أنّ أبا الطيب كان مِمَّنْ يألفه الشيخ قديماً في حال صباه.

والذي أنكره المتعصبون من هذا الأمر هو الذي أطمع أبا الطيب فيه، وظنّ أنَّ الخبزرزي لقرب زمانه منه، ودناءَة صنعته، فإنَّ العلماءَ لا يشتغلون برواية شعره؛ لأنه لا يجوز عليه الأخذ منه، ولا يُنَبَّهُ على مواضع سرقته منه، وسيرد عليك من المأخوذ منه ما يعرفك من ذلك برهاناً، ويوضّح لك منه بياناً..."[1].

وقد قرّر الدكتور محمد مصطفى هَدّارة في كتابه القيّم "مشكلة السرقات في النقد العربي" أنّ ابن وكيع "ذهب بعيداً حين قرّر سرقة المتنبي من شعراء مغمورين مثل نصر الخبزأرزي؛ لأنه يستند إلى رواية لعلي بن حمزة البصري تثبت أنّ المتنبي كان في فترة من حياته يعتمد على معاني الخبزأرزي، ولكن هذه الرواية ظاهرة الافتعال".

ويقرر الدكتور هدّارة أيضاً بُعْدَ ابن وكيع عن الدراسة الموضوعية المنهجية، وإنّ كتابه يتّسم بالانفعال العاطفي والتحيّز الشديد ضدّ المتنبي"[2].

---

(1) ص 115 وما بعدها.

(2) ص 197.

2. أبو سعيد محمد بن أحمد العميدي (المتوفى سنة 433هـ) في كتابه "الإبانة عن سرقات المتنبي" وقد تتبع سرقات المتنبي من الخبزأرزي في ستة عشر موضعاً.

3. الشيخ يوسف البديعي (المتوفى سنة 1073هـ) وقد تتبع في كتابه "الصبح المنبي عن حيثية المتنبي" سرقات المتنبي من الخبزأرزي في عشرة مواضع سبقه في معظمها ابن وكيع والعميدي. وسأورد في الصفحات الآتية ما ذكرته هذه الكتب من سرقات المتنبي من شعر الخبزأرزي، وذلك لنعرف نظرة هؤلاء النقاد إلى معنى السرقة، ومبلغ وقوفهم على شعر شاعرنا.

(1) المنصف في نقد الشعر وبيان سرقات المتنبي ومشكل شعره لأبي محمد الحسن بن علي بن وكيع التنيسي (ت سنة 393هـ) تحقيق الدكتور محمد رضوان الدّاية - دار قتيبة. دمشق 1402هـ-1982م.

ص: 121

وقال المتنبي:

وإذا سحابَةُ صَدِّ حُبٍّ أبرقَتْ ... تركَتْ حلاوةَ كُلِّ حُبٍّ عَلْقَما

ليس هذا البيت من ألفاظ حذاق الشعر، لأن ذكر السحابة والإبراق لا يليق بذكر الحلاوة والمرارة.

الا ترى أنَّ الخبزرزي أصحّ أقساماً منه لقوله:

ومِنْ طاعتي إيّاه يمطرُ ناظري ... إذا هو أبْدَى مِنْ ثناياه لي برقا

فجاء بما يشاكل بعضه بعضاً، ويتعلق اللفظ به.

ص: 122

وقال المتنبي:

يا وَجْهَ داهيةِ الذي لولاك ما ... أكل الضَّنى جسدي وَرَضٌ الأعظُما

ليس هذا ممّا يُشْتَغَلُ باستخراج سرقته. وهو يشبه قول الخبزرزي:

وحـقّ الهـوى إنّـي أحـسّ مـن الهـوى

علـى كبـدي جمـراً وفي أعظمـي رضـا

ص: 207

وقال المتنبي:

أعـــارني سُـــقْمَ عينيـــه وحَمّلـــني

مـن الهـوى ثِقْـلَ مـا تحْـوِي مَـآزِرُهُ

قال الخبزرزي:

وأسْـــقَمَني حتّـــى كَـــأنّي جُفونُـــهُ

وأثقلـــني حتّـــى كَـــأنّي رَوادِفُـــهْ

وكلام أبي الطيب أرطب، ومعناه أعذب، فهو أولى بما أخذ.

ص: 229

قال المتنبي:

فمَـضَتْ وقـد صَبَغ الحيـاءُ بَيَاضَـها

لـوني كمـا صـبغَ اللُّجَـيْنَ العسْـجَدُ

لأبي الطيب مذهب في الحياء ينفرد به لأنّه القائل:

سـفرتْ وبرقعهـا الحيـاءُ بِـصُفْرَةٍ

سـترتْ محاجِرَهـا وَلَـمْ يَـكُ برقُعـا

فكأنه لا يفرق بين تأثير الوجل، وتأثير الخجل، ونسي قول جالينوس الحمـرة حادثـة عن الخجل والصفرة حادثة عن الغمّ والوجل فإن أراد مذهب الفلاسـفة فهـذا مـذهبهم، وإن أراد مذهب الشعراء فقد قال ابن المعتز:

يـا مَـنْ يجـودُ بموعـدٍ مِـنْ وَصْـلِهِ ... ويَـصُدُّ حـين تقـولُ: أيـن الموعـدُ؟

ويظـــل صِـــبّاغُ الحيـــاءِ بوجْهِـــهِ ... تَعِبـــاً يُعَـــصفِرُ تـــارَةً ويُـــوَرِّدُ

وقال ابن دريد:

يـــصفرُّ وجْهـــي إذا بَـــصرْتُ بِـــهِ ... خَوْفـــاً ويحمـــرّ خـــدهُ خَجَـــلا

حتّى كأنَّ الذي بوَجْنَتِهِ   مِنْ دمٍ وجهي إليه قد نُقِلا

وقال الخبزأرزي:

خَجِلَ الحبيبُ مِنَ العتا   بِ فَوَرَّدَ الْخَدُّ الْخَجَلْ

فخشيتُ مِنْهُ تَغَضُّباً   فقطعْتُ ذلكَ بالْقُبَلْ

مالي وما لعتابِ مَنْ   لَوْ شاءَ يَقْتُلُني قَتَلْ

فقد خالف أبو الطيب مذهب الفلاسفة والشعراء ومشاهدة العيان.

ص: 262

قال المتنبي من قصيدة:

ولا سقيت الثرى والمزن مخلفة

دَمْعاً يُنَشّفه من لوعة نفسي

قال الخبزأرزي:

وكذاكَ نيرانُ القلوب إذا الْتَظَتْ

يوماً نشفن من العيون الماء

فساوى الخبزأرزي المتنبي في معناه من نشف ماء العيون بنار القلوب وفي بيته مطابقة بين النار والماء ليست في بيت أبي الطيب.

ص: 267

وقال المتنبي:

لو كان ذو القرنين أعملَ رَأْيَهُ

لَمّا أتى الظّلمات صِرْنَ شُموسا

قال الخبزأرزي:

لو أنَّ ذا القرنين في ظُلُماته   ورآه يضحكُ لاستضاءَ بِثَغْرِهِ

فهذه معان تدخل في قسم ما احتذى عليه، وإن فارق ما قصد به إليه؛ لأن أبا الطيب نقل ما قيل في الخمر والثغر إلى الرأي، وجاء بالمعنى بعينه.

ص: 312

وقال المتنبي:

حتّـى أتـوْا جَـدَثاً كَـأنَّ ضـريحَهُ ... في قلـب كُـلِّ مُوَحِّـدٍ مَحفـورُ

يقرب منه قول محمد بن عبد الملك الزيات:

يقـول لـي الخِـلاّنُ لَـوْ زُرْتَ قَبْرَهـا ... فقلـتُ: وهـل غـيرُ الفـؤادِ لهـا قَبْـرُ

فإن قال قائل: ما عدا هذا اللفظ محمد بن عبد الملك الزيات؛ وقول أبي الطيب أعم. قلنا: فقد قال الخبزرزي:

فـإنْ كـان لم يحتـلّ قـبراً نـزوره ... فـإنَّ لـه في قلـب كـلّ امـرئٍ قـبرا

فقد ساواه الخبزرزي والسّابق أولى بما قال.

ص: 331

وقال المتنبي:

فتـاة تُـساوى عِقـدها وكلامُهـا ... ومَبْـسَمُها الـدُّرّيُّ في الحُـسْنِ والـنَّظْمِ

ساوى بين عقدها وكلامها ومبسمها؛ وقال الخبزرزي:

بغنـاءٍ يَبُـثُّ دُراً نظيمـا ... وكـلام يبـثّ دُراً نظيمـا

فما خرج عن صفة واحدة من المنظوم والمنثور، وجاء أبو الطيب بثلاثة أوصاف؛ فزاد في كلامه ما هو من تمامه؛ فهو أحق بما أخذه.

ص: 361

وقال المتنبي:

وإنِّـي عَنْـكَ بعـد غَـدٍ لَغـادٍ ... وقلـبي عـن فنائِـكَ غَيْـرُ غـادِ

يشبه قول الخبزرزي:

أنـا غائـبٌ والْقلـبُ عنـدكَ حاضِـرٌ
سَـافَرْتُ عنـك، ومـا الفـؤادُ مـسافِرُ

ص: 366

وقال المتنبي:

أَخْفَـــتَ اللهَ في إِحيــاءِ نفـــسٍ
مَتَـى عُـصِيَ الإلـهُ بِـأن أُطِيعَـا؟

يشبه قول الخبزرزي:

مـا حــرامٌ إِحْيَـاءُ نَفْـسٍ ولكــنْ
قَتْـلُ نَفْـسٍ بغَـيرِ نفـسٍ حَـرامُ

هذا يناسب قول أبي الطيب. وقول الخبزرزي أسهلُ كَلاماً وأعذبُ نظاماً، فهو أحـقُّ بمعناه.

ص: 486

وقال المتنبي:

لَـمْ تُلْـقَ هـذا الوجْـهَ شمـسُ نهارِنـا
إلاّ بوجْـــهٍ لـــيسَ فِيـــهِ حيـــاءُ

قال نصر الخبزرزي:

ولـو لم يكـن بـدرُ الـدُّجى ذا وقاحـةٍ
لمـا كـانَ في أرْضٍ بهـا أنْـتَ يَطْلُـعُ

ص: 515

قال المتنبي:

بجِمـسي مَـنْ بَرَتْـهُ فَلَـوْ أَصَـارَتْ
وشـاحي ثُقْـبَ لؤلـؤةٍ لَجَـالا

نبّهه على هذا أبو تمام في قوله:

مِـنَ الهيـفِ لـو أنّ الخلاخِـلَ صُيِّرَتْ
لَهـا وُشْـحاً جالَـتْ عليهـا الخِلاخِـلُ

جعل أبو تمام الخلخال إذا كان وشاحاً لها – كان – جائلاً. وصيّر أبو الطيب ثقب اللؤلؤة لو كان وشاحاً لها لجال. وهذا من توليد كلام من كلام، معناهما متفق ولفظهما مفترق. وقد ولَّد كلامه ابن الرومي فقال:

مِنَ الهيفِ لو شاءَتْ لقامتْ بِكَأْسِها
وخاتمها في خصرها متختّم

والمعنى يفتح المعنى.

وقد بالغ الخبزرزي في قوله:

كُلُّ الهوى صَعْبٌ ولكنني ... بُليتُ بالأَصْعَبِ مِنْ أصْعَبِهْ
قَدْ كانَ لي قَبْلَ الهوى خَاتمٌ ... فالآنَ لَوْ شئْتُ تَمَنْطَقْتُ بِهْ!
وذُبْتُ حتى صِرْتُ لَوْ زُجَّ بي ... في ناظِرِ الوسنانِ لَمْ يَنْتَبِهْ
يا مَنْ إذا أَقْبَلَ قالَ الْوَرَى: ... هذا أميرُ الْحُسْنِ في مَوْكِبِهْ!

فشارك ابن الرومي في معناه ولكنه افسد قوله بـ"زُجَّ بي" لأنها هجينةٌ يستعملها المولّدون.

ص: 542

وقال المتنبي:

وتوقّدتْ أنفاسُنا حتّى لقدْ ... أشْفَقْتُ تحترقَ العواذِلُ بَيْنَنا

هذا معنى قد تكرّر من غيره.

وقال الخبزرزي:

مَا إنْ تُرِكْتُ وَداعَهُ مِنْ سَلْوَةٍ
ولقدْ جَزِعْتُ لِبَيْنِهِ وَفِراقِهِ
ولكنْ مخافَةَ أنْ تُذِيبَ فُؤادَهُ
نارٌ تعلق منهُ عِنْدَ عِناقِهِ

وقال أيضاً:

إِنّــي لأشْــفِقُ إِنْ ظَفِـرْتُ بِوَصْــلِهَا
مِـــنْ ضَـــمٍّ أَحْـــشائي إِلى أَحْـــشَائِهَا

لـــو أنـــني لاثمتهـــا لأذبْتُهـــا
بتوقّـــدِ الأنفَـــاسِ في بُرَحَائِهـــا

وكلّ هذه الأبيات تدخل في قسم التساوي، ولكن الخوفَ والإشفاق ما وقع من قائل غيره، لأنّه أشفق على العذال الذين قد كثر ذمُّهم في أشعار الشعراء، والدُّعاء عليهم. فهم بذلك أرجح منه في قولهم.

(2) الإبانة عن سرقات المتنبي – لأبي سعيد محمد بن أحمد العميدي تحقيق إبراهيم الدسوقي البساطي – دار المعارف بمصر – سلسلة ذخائر العرب رقم 31، 1969م.

ص: 29 الخبزأرزي :

وأســـقمني حتـــى كـــأني جفونُـــه
وأثقلـــني حتّـــى كـــأني روادِفُـــهْ

المتنبي:

أعـــارني ســـقمَ عينيـــهِ وحَمَّلَـــني
مِـنَ الْهَـوى ثقـلَ مـا تحْـوي مـآزِرُهْ

للمتنبي في هذا البيت حلاوة وطلاوة وطراوة.

ص: 32

الخبزأرزي:

حَصَلْتُ منكم على ما ليس يُقْنِعُني
وكَيْفَ يُقنع سوءُ الكيلِ والْحَشَف

وَلَــيْسَ سُــكْنايَ نُقْــصَاناً لمنزلَتِــي
فيكم كما الدّرّ لا يزري به الصدف

قال المتنبي:

لـــو كـــانَ ســـكناي فيـــكَ مَنْقَـــصَةً
لم يكـــنِ الـــدّرُّ ســـاكِنَ الـــصَّدَفِ

ص: 33

الخبزأرزي:

أنـــا في بَحْـــرِ جَـــدْواه غريـــقٌ بَـــيْنَ أمْـــواجِ
ومِـــنْ قِلَّـــةِ مـــا أثْنِـــي عليـــهِ صِـــرْتُ كالهـــاجِ

قال المتنبي:

وعظـم قـدرِكَ في الآفـاقِ أوْهَمَـني
أنّـي بِقِلَّـةِ مـا أثْنَيْـتُ أهْجُوكـا

ص: 39

الخبزأرزي:

مـن فـرطِ أشْـواقي ورقـة عبرتـي إنـي أغـارُ عليـكَ مِـنْ مَلَكَيْكَـا
وَلَـو اسْتَطَعْتُ حَجَبْتُ لَفْظَكَ غَيْرَةً إنـــي أراهُ مُقَـــبّلاً شَـــفَتَيكَا

قال المتنبي:

أغـار مـن الزجاجـة حـين تجـري علـى شـفة الأمـير أبـي الحـسين

وهذا الكلام لا يخرج إلاّ من سوء أدب وقلة معرفة بخدمة الملوك،لأنّ الغيرة تكون من المحبّ على المحبوب، فأمّا من المملوك على المالك ومن المادح على الممدوح، فضربٌ من قلة التمييز لا غير.

ص: 42

الخبزأرزي:

ويُنْفِـــقُ أموالَـــهُ في طـــلا بِ طُلاّبِهـــا طائعـــاً مـــستديما

قال المتنبي:

وعطـــاءِ مـــا لَوْعَـــداه طالـــبٌ أنْفَقْتَـــهُ في أنْ يُلاقـــي طالبـــا

وله أيضاً في هذا المعنى:

قيـــل بمنـــبج مثـــواهُ ونائِلُـــهُ في الأفـق يَـسْألُ عمَّـن غـيره سـألا

وله في هذا المعنى:

لـو اشـتهت لحـمُ قاريهـا لبادَرَهـا ... خَـرادِلٌ مِنْـهُ في الـشيزى وأَوْصَـالُ

ص: 42

الخبزأرزي:

صـدعُ الزُّجَاجـةِ صـدعٌ غَيْـرُ مُلْتَـئِمٍ ... بحيلـةٍ وكـذاك الـصَّدْعُ في الكَبِـد

كَأَنَّمـا كـلّ ثكلـى وهـي باكيـةٌ ... تبكي بِعَيْنِي وتُضْنَى مِنْ ضَنَى جَسَدي

قال المتنبي:

تلّـح جفـوني بالـدموع كأنَّمـا ... جفـوني لِعَيْنَـيْ كـلّ باكيـةٍ خَـدُّ

ص: 47

قال الخبزأرزي:

فَواعَجبـاً حتّـامَ يُمْطِـرُ نـاظِري ... إذا هُـوَ أَبْـدَى مِـنْ ثناياه لـي بَرْقَـا

وقد سبقه بشار في قوله:

إذا ابْتَـسَمَتْ جـادَتْ جفـوني بوابـلٍ ... مِـنَ الْغَيْـثِ أَجْرَتْـهُ بُـروقُ الْمَبَاسِـمِ

قال المتنبي:

تُبَـلُّ خَـدّي كلّمـا ابْتَـسَمَتْ ... مِـنْ مَطَـرٍ بَرْقُـهُ ثَنَايَاهَـا

ص: 76

لأبي عيينة المهلبي:

وقلتُ لأَصْحابي هي الشمسُ ضَوْؤُهَا ... قريـبٌ ولكـنْ في تَنَاوُلِهـا بُعْـدُ

الخبزأرزي:

هُوَ الْبَدْرُ مَبْسوطاً على الأَرْضِ نُورُهُ ... ولكـنْ لَـهُ مِـنْ كَـفٍّ لامِـسِهِ بُعْـدُ

وقال المتنبي:

كأنها الشمسُ يُعيِي كَفٌ قابضِها شُعاعُها ويَراهُ الْعَينُ مُقْتَرِبَا

ص: 91

الخبزأرزي

كَمْ جَاهِلٍ وادعٍ في عيشِهِ فَرِحٍ وعاقل شفّه الإقتارُ والتَّعَبُ

يُرى الغِنى عِنْدَ قومٍ لا غَناءَ لهم والجَدُّ يَنْفِرُ مِمَّنْ عِنْدَهُ الأَدَبُ

دعبل:

وقد علمتُ ومالي مَا أعيشُ بِهِ أنَّ التي أدْرَكَتْني حِرْفَةُ الأَدَبِ

الحمدوني:

إنَّ الْمُقَدَّمَ في عِلْمٍ بِصَنْعَتِهِ أنّى تَوَجَّهَ مِنْها فَهْوُ مَحْرومُ

قال المتنبي:

وما الْجَمْعُ بين الماءِ والنّارِ في يدي بِأَصْعَبَ مِنْ أنْ أجْمَعَ الجدَّ والْفَهْمَا

ص: 95

العطوي:

وإنّي امتحنتُ النّاسَ طُرّاً فعفتُهُمْ مَوَدّتهمْ ممزوجَةٌ بِنِفَاقِ

فَما وَثِقَتْ نَفْسِي بِهِمْ وتركتُهم ومَا فيهمْ مجنىً وطيبُ مَذاقِ

الخبزأرزي من قصيدة له:

لا يخدعنك فودُهُ خِدَعٌ ومذهبُهُ نِفاقُ

ما إنْ تطل على كذو بٍ مثلِهِ السبعُ الطباقُ

قال المتنبي:

إذا ما النّاسُ جَرَّبَهُمْ لَبيبٌ فَإِنّي قَدْ أكَلْتُهُم وذاقَا

فلمْ أرَ وُدَّهُمْ إلاّ خداعاً ولَمْ أرَ دينهم إلاّ نِفاقَا

ص: 99

البحتري:

أضَـرَّتْ بِـضَوْءِ الْبَـدْرِ والْبَـدْرُ طَـالِعٌ
وقامَــتْ مَقَــامَ الْبَــدْرِ لَمَّــا تَغَيَّبَــا

الخبزأرزي:

وَمَـا حَاجَـةُ الرَكْـبِ الـسُّراةِ إذا بَـدَا
لهـمْ وَجْهُـهُ لَـيْلاً إلى طَلْعَـةِ الْبَـدْرِ

قال المتنبي:

وما حاجةُ الأظعان حولك في الدُّجى
إلى قمـرٍ مـا واجـد لـكَ عادِمُـه

لقد تكلّف وتعسّف.

ص: 143

الخبزأرزي:

قابلـتُ عُرْفَـكَ وهـو غَيْـرُ مُكَـدَّرِ
بجميـلِ شُـكري وهـو غـيرُ مقتَّـرِ

فغـدوت مـا استـصغرت مـا أوْليتـه
ورأيـتني في الـشّوْقِ كالمستَقْـصِرِ

قال المتنبي:

فـساقَ إلـيَّ العُـرْفَ غَيْـرَ مُكَـدَّرٍ
وسُـقْتُ إليـهِ الْحَمْـدَ غَيْـرَ مَجَمْجَـمِ

ص: 149

الخبزأرزي:

إذا ابْتَـسَمَتْ أحْيَـتْ نفوسـاً وأطْرَبَـتْ
قُلوبـاً وَقَـوَّتْ جِـسْمَ كُـلِّ عَليـلِ

وغـيرُ جميـلٍ أنْ أعـافَى وَجِـسْمُ مَـنْ
كَلفْـتُ بِـهِ يَبْقَـى كَجِـسْمِ عَليـلِ

قال المتنبي:

بـأدنى ابتـسام منـك تحيـا القـرائحُ
وتقوى مـن الجسم الجريحِ الجـوارحُ

وإنّ مُحـالاً إذْ بِـكَ العـيشُ أن أرى
وجِـسْمُكَ مُعْتَـلّ وجِـسْمي صَـالِحُ

فأمّا قوله "إذ بكَ" فحشو بارد، و"جسمي" من فصل الخطاب.

ص: 167

الخبزأرزي

إنّ نفْـسِي تَـذُوبُ في كُـلِّ يَـوْمٍ حَـسَراتٍ ومِـنْ جفـوني تـسيلُ

الجهمي بعده:

ولَيْسَ الذي يجـري مـن العَيْنِ ماؤُهـا
ولكنّـه نفْـسٌ تَـذُوبُ فَتَقْطُـرُ

الواسطي:

وقائلـة أيـن الـدموع الّـتي غَـدَتْ تَجـوُدُ بهـا عنْـدَ الـوداعِ المُحَـاجِرُ
فَقُلْـتُ لهـا: نـارُ الحَشَا صَعَّدَت بهـا فَهُـنّ عَلَـى خَـدِّيْ بـيضٌ بَـوادِرُ
ألم تَرَحُمْـرَ الْـوَرْدِ يَبْـيَضُ مَاؤُهَـا فَيَقْطُـرُ مِـنْ نـارٍ تُجِـنُّ الـضّمائِرُ

الفجيجي الكوفي:

دمعي جَرَى مـن جفـوني يـومَ بيـنهُمُ
فَلَسْتُ أدْرِي أدَمْعِي كـانَ أمْ رُوحـي؟

بشار بن برد:

حـشاشتي ودّعـتني يـوم بيـنهمُ وشـيعتهم وخَلّـتني وأحْزانـي

وَقَدْ أشاروا بتسليمٍ على حَذَرٍ مِنَ الرّقيبِ بأطْرافٍ وأجْفانِ

قال المتنبي:

حشاشة نفسٍ ودعت يوم ودّعوا فَلَمْ أدرِ أيَّ الظاعنين أشيعُ

أشاروا بتسليمٍ فَجُدْنَا بأنفُسٍ تسيلُ مِنَ الآماقِ والسّمُّ أدمعُ

ص: 179

الخبزأرزي:

خلّيتني ضائعاً والحالُ حائِلةٌ ورمت في الكَيْلِ بَخْساً بَعْدَ تُطْفيفِ

أسْنى العوارِفِ ما يأتي الزمانُ بِهِ عَفْواً وَطوْعاً بلا مَطْلٍ وتسْويفِ

إذا أساءَ وضيعُ القَدْرِ خامِلُهُ إليَّ لم يَخْلُ مِنْ لومٍ وتعْنيفِ

قال المتنبي، وقد ذكرت قبل هذه في جملة ما أخذه عن هذه الثلاثة الأبيات:

إذا أتتِ الإساءَةُ مِنْ وَضيعٍ وَلَمْ أَلُمِ المُسيءَ فَمَنْ أَلُومُ

ص: 194

الخبزأرزي:

إلى كَمْ أذِلُ وأستعطف على أن لا تجورَ ولا تنصفُ

أيا يوسُفَ الحُسنِ صِلْ مُدْنفاً مدامِعُهُ لم تزَلْ تذرِفُ

أعيذكَ مِنْ ظالمٍ غاشِمٍ سوى الخلفِ في الْوَعْدِ لا يعرفُ

ولي مهجةٌ أنتَ أتْلَفْتَها عَلَيْكَ غَرامةُ ما تُتْلِفُ

قال المتنبي:

قفي تغرمي الأولى من اللّحْظِ مُهْجَتي بثانيةٍ والمُتْلِفُ الشّيءِ غارِمُهُ

(3) الصبح المنبي عن حيثية المتنبي للشيخ يوسف البديعي تحقيق مصطفى السقا وآخرين – الطبعة الثانية – سلسلة ذخائر العرب رقم 36 – دار المعارف بمصر – سنة 1977.

ص: 62

ما قاله المتنبي في السجن:

أَهْــونْ بِطُــولِ الثَّــواءِ والتَّلَــفِ   والـــسجن والقيـــد يـــا أبـــاذُلَفِ

غـــير اختيـــار قبلـــت بـــرِّك لِـــي   والجـــوعُ يُرْضـــي الأُســـودَ بـــالجيفِ

كُـنْ أيُّهـا الـسّجن كَيْـفَ شـئتَ فَقَـدْ   وَطَّنْـــتَ للمـــوتِ نفـــس معـــترفِ

لـــو كـــانَ ســـكنايَ فيـــك مَنْقَـــصَةً   لم يكـــن الـــدُرُّ ســـاكِنَ الـــصَّدَفِ

والبيت الرابع يشابه قول الخبزأرزي:

حـــصلتُ مـــنكم مـــا لـــيس يُقـــنعني   وكيـفَ يُقْنِـعُ سـوءُ الكيـلِ والْحَـشَفُ

ص: 72

من قصيدة المتنبي ومطلعها:

وفاؤكمـــا كـــالرّبْعِ أشْـــجَاهُ طاسِـــمُهْ   بـــأنْ تُـــسْعِدا والـــدَّمْعُ أشْـــفَاهُ ســـاجِمُهْ

قال:

كئيبـــاً توقّـــاني العـــواذِلُ في الْهَـــوى   كمـــا يَتَـــوقّى رَيِّـــضَ الخيـــلِ حازِمُـــهْ

قفي تَغْرم الأولى مـن اللحـظِ مهجـتي   بثانيـــة والمتلـــفُ الـــشيءِ غارِمُـــهْ

وهذا من قول الخبزأرزي.

إلى كَـــــمْ أذِلُّ وأسْـــــتَعْطِفُ   وأنْـــتَ تجـــورُ ولا تُنْـــصِفُ

أيـا يوسـف الحـسن صِـلْ مـدنفاً   مدامعُـــه لَـــمْ تـــزلْ تَـــذْرِفُ

أُعيـــذكَ مِـــنْ ظـــالمٍ غاشـــمٍ   سـوى الْخُلْـفِ في الوعـدِ لا يَعْـرِفُ

ولـــي مُهْجَـــةٌ أنْـــتَ أتْلَفْتَهـــا   عليـــكَ غرامَـــةُ مـــا تُتْلِـــفُ

وبيت المتنبي فيه زيادة أكسبته حُسْناً.

ص: 73

ومنها:

سقاكِ وحيّانا بكِ اللهُ إنّما ... على العيسِ نورٌ والخدورُ كمائِمُهْ
وما حاجةُ الأظعان حولك في الدُّجى ... إلى قَمَرٍ ما واجِدٌ لَكِ عادِمُهْ

وقال البحتري في هذا المعنى:

أضَرَّتْ بضوءِ البَدْرِ والبَدْرُ طالِعٌ ... وقامَتْ مَقامَ البَدْرِ لَمّا تَغَيَّبا

وقال الخبزأرزي في هذا المعنى:

وما حاجةُ الرَّكْبِ السُّراةِ إذا بدا ... لهم وَجْهُهُ لَيْلاً إلى طَلْعَةِ البَدْرِ

ص: 208

قال نصر الخبزأرزي:

وأسقَمني حتّى كأني جفونُهُ ... وَأثقلني حتّى كأني روادِفُهْ

وقال محمد بن أبي زُرْعَة الدمشقي:

أسقمني طرفُهُ وحمّلني ... هواهُ ثِقْلاً كأنّني كَفَلُهْ

قال المتنبي:

أعارني سقم جفنيهِ وحَمّلني ... مِنَ الهوى ثقل ما تحوي مآزِرُهْ

ص: 209

قال البحتري:

جَلّ عن مذهبِ المديح فقد كا ... دَ يكونُ المديحُ فيه هجاءْ

وقال نصر الخبزأرزي:

ومِـــنْ قِلـــة مـــا أثـــني | عليـــهِ صِـــرْتُ كالهـــاجي

قال المتنبي:

وعظـمُ قـدرِكَ في الآفـاقِ أوْهَمَـني | أنّـي بِقِلَّـةِ مـا أثنيْـتُ أهْجُوكَـا

قلت: حسن بيت المتنبي لا يخفى على ذي مُسكة.

ص: 219

قال بشار بن برد:

إذا ابتـسمت جـادَتْ دمـوعي بوابـلٍ | مـن الغيـثِ أجْرَتْـهُ بُـروقُ المَباسِـمِ

وقال الخبزأرزي:

فواعجبـاً حَتّـام يُمْطِـرُ نـاظِري | إذا هُـوَ أبْـدَى مِـنْ ثنايـاهُ لِـي بَرْقـا

قال المتنبي:

تَبُـلُّ خـدّي كُلمّـا ابْتَـسَمَتْ | مِـنْ مطـرٍ بَرْقُـهُ ثنايَاهـا

ص: 238

قال البحتري:

أضـرّتْ بِـضَوْءِ البَـدْرِ والبَـدْرُ طـالِعٌ | وقامَـتْ مقـام البَـدْرِ لَمّـا تَغَيَّـبا

وقال نصر الخبزأرزي:

ومـا حاجَـةُ الركْـبِ الـسُّراةِ إذا بَـدَا | لَهُـمْ وَجْهُـهُ لـيلاً إلى طَلْعَـةِ البَـدْرِ

قال المتنبي:

وما حاجةُ الأظعَانِ حَوْلَكِ في الـدُّجَى | إلى قَمَـرٍ مـا واجِـدٌ لَـكِ عادِمُـهْ

ص: 253

قال الخبزأرزي:

وَشَـادِنٍ زُرْتُـهُ فَرَحّـبَ بـي | تَرْحيـبَ جَـانٍ عَلَـى مَواليـهِ

جَنَيْتُ وَرْداً مِنْ خَدِّهِ بِفَمي   فَعِشْتُ لا عاشَ مَنْ يعاديه
تُحْيي رُفاتَ العظامِ قُبْلَتُهُ   لأنَّ مَاءَ الْحَياةِ مِنْ فيه

قال المتنبي:

فَلْذُقْتُ ماءَ الحَياةِ مِنْ مُقَبَّلِها   لَوْ صَابَ تُرْباً لأحْيَا سَالِفَ الأمَمِ

ص: 259

وقال الخبزأرزي:

إنَّ نَفْسي تَذوبُ في كُلِّ حينٍ   حَسَراتٍ ومِنْ جفوني تسيلُ

قال المتنبي:

حَشاشةُ نَفْسٍ ودعتْ يوم وَدَّعوا   فَلَمْ أدرِ أيَّ الظّاعنين أُشيِّعُ
أشاروا بتَسْليم فَجُدْنا بِأنْفُسٍ   تَسيلُ مِنَ الآماقِ والسّمُّ أدْمُعُ

ما أخذه الصاحب من المتنبي: ومن ذلك "ولو كان ما أحسنه شَظِية من قلم كاتب لَمَا غُيّر خطّه، أو قذى في عين نائم لما انتبه جفنُه".

وهو من قول أبي الطيب:

ولو قَلَمٌ أُلْقيتُ في شقِّ رأسِهِ   مِنَ السُّقْمِ ما غيرتُ من خَطِّ كاتِب

وقول نصر:

ضَنِيتُ حَتّى صيرتُ لَوْ زُجَّ بي   في ناظِرِ النّائم لم يَنْتَبِهْ

3- التجسيم:

وهذه خصيصة مهمة من خصائص شعره؛ فقد كان للخبزأرزي مقدرة عجيبة على تجسيم معانيه، وهو تجسيم – في معظمه – ينم عن قدرة فنية عند الشاعر، يقول الخبزأرزي:

وإليكَ أبواب الرجاء تفتّحت ... فافتحْ لهنّ من العنايةِ بابا

وانشرْ رياح وسائل لمؤمّل ... فعسى يثرْنَ من النجاح سحابا

وخلائقاً لك عذبةٌ لو أنها ... ماءٌ لجُزْنَ إلى الملوك شرابا[1]

فيجسم الرجاء ويجعل له أبوابا تغلق وتفتح، ويجعل تحقيق أماني الناس رياحاً تثير سحاباً، ويجسم الأخلاق العذبة التي يتصف بها ممدوحه فيجعلها ماءً عذباً سائغاً يقدم شراباً للملوك.

ولننظر إلى قوله:

سقاني الهوى سمَّ الفراق فداوني ... فعندك ترياق الوصال مجرّبُ

إذا ما دعوتُ الصّبْرَ لبّاني الهوى ... فشوقيَ مكينٌ واصطباري مُذَبْذَبُ

هناكَ سرورٌ أنتَ فيه مُؤَمّرٌ ... وحولك مِنْ جيش اللّذاذةِ مَرْكبُ[2]

فهو يجّسم الحب فيجعله شخصاً يسقيه السمّ، أما الوصال فهو الدواء المجرب لشفائه من هذا السم، وأمّا الصبر فهو شخص يُدْعى للتخفيف من ألم المرض الذي ألمّ به، وأمّا شوقه فهو مطأطئ رأسه، وصبره مذبذب لا يدري على أيّة حالة يستقر، ويجعل السرور أمارة، وأميرها حبيبه، ويجعل من اللذات جيشاً يحيط بهذا الأمير.

---

(1) ديوانه ص 28 وما بعدها.

(2) نفسه ص 24.

ومثل قوله:

قــد عرانـــي هـــواكِ أيــدكِ اللـــ ـــهُ بجُنْــدٍ طَلَــبْنَ قلــبي بثــارِ
فالتقيْنــا مِـــنَ الغيـــابِ طـــويلاً بـــين صَـــفَّيْ ملامـــةٍ واعتـــذار
كـم ترانــي قبلـت عتبـك لـو شِئــ ـــتُ لـسيف الخـضوع والأقــرار[1]

فيجسم الهوى ويجعل له جنوداً تقاتل للأخذ بالثأر، أمّا اللوم والاعتذار فهما صفّان متقابلان يحيطان به وبحبيبته، وأمّا الخضوع والأقرار بذنبه فهما سيفان قاتلان.

وقوله:

إِذا مـا انتـضى سـيفُ الملاحـة طَرْفَـهُ
ونادى قُلوبَ النّاسِ هَلْ مِـنْ مبـارزِ[2]

فيجسّم الجمال، ويجعله سيفاً ممتطياً طرْف حبيبه ومنادياً في النـاس متحـدّياً قلـوبهم صائحاً بأعلى صوته: هل مِنْ مبارز؟ ومثل هذا التجسيم كثير في شعره، من مثل قوله أيضاً:

أمـــيرُ حُـــسْنٍ يُرينـــا مِـــنْ محاسِـــنِهِ
جُنْـداً تُـركْنَ قلـوبَ النّـاسِ في رَهـجِ
يمشي فَتَنْـتَفِضُ الأغـصانُ مـن دهـشٍ
ويستبين اضـطرابُ المـاءِ في اللُّجـجِ[3]

وقوله:

يـــا جارحــــاً قلــــبي بخنجـــر لحظـــهِ صـــيِّر وصـــالَكَ مَرْهَمـــاً لجراحـــي[4]

وقوله:

ســـحائب يزجيهـــا الأســـى فيروقهـــا غليـــل فـــؤادي والعويـــل رعـــودُ[5]

وقوله:

---

(1) ديوانه ص 166.
(2) نفسه ص 189.
(3) ديوانه ص 47.
(4) نفسه ص 53.
(5) نفسه ص 59.

وإنّ ارتكاضَ الشّوْقِ في حلبة الْحَشَا
لأهولُ مِنْ ركْضِ المسوّمةِ الجرْدِ
ولحظُ عيونِ العينِ أمْضى مَضارِباً
وأتلف للأرواح مِنْ قضبِ الهنْدِ
وأنفذُ مِنْ وقع السهامِ تغازلٌ
على القُرْبِ أو حسن الإشارة من بُعْدِ
سهام الهوى تهدي إلى باطنِ الحَشا
وتردي ولكنْ لا تؤثّر في الجلدِ
عجبتُ مِنَ الطّرفِ المكحّلِ أنّهُ
تُشَحّطني بالسّيْفِ والسّيْفُ في الغِمْدِ[1]

فقد جعل الشوق خيلاً تركض في الحلبة، ولكن ليست حلبة الخيل المعروفة، إنما حلبة حشا الجسم، أما العيون فهي سيوف أمضى من السيوف الهندية، وأمّا الهوى فهو سهام مُوَجهة إلى باطن الحشا، وأما الطّرْف فهو سيف قاتل على الرغم مِنْ أنه غير مسلول من غمده.

ومن هذا التجسيم، هذه الأبيات التي يصوّر فيها الخبزأرزي الطبيعة وقت الربيع، يقول:

لقد تزيّنت الدُّنيا بزُخرُفِها
فالرّوْضُ قَدْ مُثّلَتْ فيهِ التّماثيلُ
فالغَيْمُ يَبْكي إذا ما الروضُ ضاحَكَهُ
وباطنُ النّبْتِ بالأنداءِ مَكْحُولُ

---

[1] نفسه ص 69.

يَـومٌ لَـهُ زَفَّـتِ الـدُّنيا عَرائِـسَها
لهـنّ مِـنْ سُـنْدُسٍ خُـضْرٍ سـرابيلُ

يعمّمـان بـشيءٍ مِـنْ جواهِرِهَـا
مُرَصَّـعاتٌ وفي التّرصـيع تَفْـضيلُ

هـذا الربيـعُ مِـنَ الجنّـاتِ مُـسْتَرَقٌ
ففيـهِ مـنهنَّ تمييـلٌ وتمثيـلُ

فـالوردُ مِـنْ وَجْنَـةِ المعـشوقِ صَنْعَتُهُ
والطّيـبُ مِـنْ نَكْهَـةِ المعشوقِ مَعْلُـولُ

وردُ الحبيـبُ مَـصونٌ لـيس يقطفـهُ
إلاّ العيـونُ وَوَرْدُ الـرَّوْضِ مَبْـذولُ

طيّبُوا فمـا طيـبُ هـذا اليـومِ مُتْعَتُهُ
تخفـى ولا فَضْلُ هـذا اليومِ مَجْهُـولُ

أمّـا النّهـارُ فـلا حَـرٌّ ولا خَـصَرٌ
والليـلُ لا قِـصَرٌ فيـه ولا طـولُ

فـلا طلائـعُ جـيشِ القَـيْظِ طالعـةٌ
كـذاك سـائِقُ جـيش القَـرِّ مَغْلـولُ[1]

فيجسم صورة الأرض في هذا الفصل الجميل، فصل الربيع، ويجعلها امرأة تلبس أحلى حللها، وهو يسترسل في هذا التجسيم، فالغيم يبكي، والروض ضاحك مستبشر، وأما باطن النبات،فيكتحل بالندى،وقد قدمت الدنيا ورودها وأزهارها عرائس لهذا الفصل الجميل، ويستغرق الخبزأرزي في هذا الوصف، فيسترسل فيه واصفاً وروده مقارناً بينها وبين خدّ الحبيب، ويتوّج تجسيمه بهذه المقابلة اللطيفة، فجيش الحرّ لا تظهر طلائعه، وأما قائد جيش البرد، فلا يستطيع التحرك، لأنه مقيّد مغلول، ونحس من خلال هذا التجسيم أنّ الخبزأرزي يعالجه بإحساس المستمتع بجمال الطبيعة فلا نملك إلاّ مشاركته في استمتاعه هذا.

---

(1) ديوانه ص 286.

4- البديع في شعر الخبز أرزي:

كان الخبز أرزي من الشعراء المبرّزين الذين أحْسنوا استخدام فن البديع في شعرهم، وقد زيّن شاعرنا أسلوبه الشعري بألوان البديع المختلفة التي أكسبت شعره جمالاً وروعة، ممّا يدلّ دلالة قاطعة على أنّ الطبيعة الفنية الموهوبة لم تكن تنقصه. وسوف أحاول فيما يأتي تتبع ألوان البديع في شعره:

الطباق: لقد أكثر الخبز أرزي من الطباق كثرة مفرطة، حتى إنه لقلّما تخلو منه قصيدة من قصائده؛ فنراه مثلاً في قوله:

وأصعب شيءٍ شقوةٌ بعد نعمةٍ   أجلّ القِلى بعد التلطّف أصعبُ[1]

فنرى طباقا بين شقوة ونعمة.

وفي قوله:

إذا ما استبدل الوامقُ   بُعْدَ الدّارِ بالقربِ[2]

فنرى طباقا بين بعد وقرب.

وفي قوله:

ولّيتك الحُكْمَ في روحي وفي جسدي

فامضِ حكمك غيّاً كان أو رشدا[3]

فنرى طباقاً بين "غياً" و"رشداً"

وفي قوله:

ومن الحيرة ما أعرف   ليلي من نهاري[4]

فقد طابق بين ليلي ونهاري.

---

(1) ديوانه، ص 24.

(2) ديوانه، ص 32.

(3) ديوانه، ص 63.

(4) ديوانه، ص 170.

وفي قوله:

قَـدْ خَـطَّ فيـه الـشّكْلُ خَـطّاً لَباقـةٍ
منقوشـــة مـــن ظلمـــةٍ في نـــورِ[1]

فقد طابق بين ظلمة ونور

ومن أطرف ما جاء في الطباق قوله:

روحـــي الفـــداءُ لمـــن عاتبتُـــهُ فبكـــى   يـا حـسنه إن بكـى يومـاً وإنْ ضـحكا
قد كنتُ أبْدي لـه صَـبْراً فحـين بكـى   فصار لي فيه عنـد الـضحك منـسلكا
يبكـــي ويـــضحك أحيانـــاً فيقـــتلني   بكىً وضحكاً هما في قلـبي اشـتركا[2]

فقد طابق في ثلاثة الأبيات كلها بين "الضحك والبكاء"

وطابق بين "جارَ وعدل" في قوله:

قُـلْ لِمَـنْ جـارَ علـى مَـنْ قَـدْ عـدل   وابْتغـــى لـــي بَـــدلاً شَـــرٌ بـــدلْ[3]

وقد أجاد في الطباق في قوله:

نفـديك مـن كامـل حـسناً وإحـسانا   تحيـــي وتقتـــل أحيانـــاً فأحيانـــا
تبـــارك الله مـــاذا فيـــك مِـــنْ بِـــدَعٍ   في الجـسم والوجْـهِ إسـراراً وإعْلانـا
وصـيغ أعـلاه مِـنْ نـورٍ ومِـنْ ظُلَـمٍ   وجهـاً وفَرْعـاً يَمُـجُّ المِسْكَ والبانـا[4]

فقد طابق في البيت الأول بين "تحيي وتقتل" وفي البيت الثاني بـين "إسـراراً وإعلانـا" وفي البيت الثالث طابق بين "نور وظلم".

---

(1) ديوانه، ص 178.

(2) نفسه، ص 279.

(3) نفسه، ص 280.

(4) ديوانه، ص 334.

وطابق بين "مأتم وعرس" في البيت التالي:

حتّى تعرّض لي واشٍ فنغّصني   فصارَ لي مأتماً ما كان لي عُرُسا[1]

وأجادَ في قوله:

فتاةٌ كأنَّ الصبحَ يجلُوهُ وَجْهُها   لنا وكأنّ الليلَ يدجيه شعرُها[2]

فقد طابق بين "الصبح والليل، ويجلوه ويدجيه".

وهذا كله من طباق الإيجاب، ونجد عنده ألواناً من طباق السلب أيضاً من مثل قوله:

هجرُ الملاحِ نصيب من لا يهجرُ   لن يغدروا إلاّ بمن لا يغدر

وإذا وفى لَهم محبٌّ لم يَفُوا   وإذا تسلّى عنهم لم يعذروا[3]

فقد طابق بين "هجر ولا يهجر وبين وفى ولم يفوا"

المقابلة: وهي كثيرة أيضاً في شعره لا تكاد تخلو منها قصيدة أو مقطوعة من مثل قوله:

خلائق يُرضي اللهَ في السرّ صونُها

وتُرضي عبادَ اللهِ في الجهر نشرُها[4]

حيث إنّ: في السر صونها تقابل: في الجهر نشرها.

ومثل قوله:

أرى الحبَّ لا يَبْلى ولكنّه يُبْلي

فلا قربه يشفي ولا بعده يسلي[5]

فيقابل بين: فلا قربه يشفي، ولا بعده يسلي.

---

(1) ديوانه، ص 195.

(2) نفسه، ص 124.

(3) نفسه، ص 103.

(4) نفسه، ص 126.

(5) نفسه، ص 303.

وقوله:

يـــا ســـالبي ثـــوب الـــسرو ر وملبـــسي ثـــوب الحـــزن[1]

حيث إنّ الشطر الأول يقابل الشطر الثاني.

وقوله:

يـــا معـــدن الحـــسن وديباجـــه يـا قمـر الليـل وشمـس النهـار[2]

فقد قابل بين: قمر الليل وبين شمس النهار

وقوله:

يقـسو ويعنـف في الحـروب وشـأنه
في الـسّلم بَـرّ بالأنـام رءوف[3]

فيقابل بين القسوة والشدة في الحروب، وبين البرّ والرأفة وقت السلم.

ومثل قوله:

كـل الأمـور فميـسور ومعـسورُ تجـري بـه قـدم شـتى ومقـدور
والخـير والـشرّ مقرونـان في قـرنٍ فـالخير متّبـع والـشرّ محـذور[4]

فقد أحسن المقابلة بين: الخير متبع، والشر محذور.

وقوله:

قد كنتُ أطلبُ منك الوصْـلَ مُقْتَـصِداً
فصرتُ أطلبُ منك الهجـرَ معتمـدا[5]

فقد قابل بين" الوصل مقتصداً وبين: الهجر معتمداً".

(1) نفسه، ص 332.

(2) ديوانه، ص 95.

(3) نفسه، ص 237.

(4) نفسه، ص 118.

(5) نفسه، ص 63.

وقوله:

فقدْ كُنْتَ تجفوني على القرب جاهداً

فكيف أرجّي الوصل مِنْكَ على البُعْدِ[1]

فيقابل بين الجفاء على القرب وبين الوصل على البعد.

الجناس: لوّن الخبز أرزي شعره بألوان الجناس المختلفة فمن ذلك قوله:

خَلْقٌ وَخُلْقٌ زيّناه وذلّلا عزّ النفوسِ لِنَهْيِهِ ولأمره[2]

فقد جانس بين "خَلْق وخُلْق"

وقوله:

إذا كان هذا الدُّجى مشرقاً فلن يستضاءَ بنجمٍ نجم[3]

فقد جانس بين "نجْم نَجم" فالأولى بمعنى النجم الذي في السماء والثانية بمعنى طلع.

وقوله:

جحدت الهوى إذ كنت مذ جعل الهوى

محاسنهُ شمساً نظرْتُ إلى الشمسِ[4]

فقد جانس بين "الشمس والشمس" فالأولى حبيبته والثانية الشمس الحقيقية، وهو جناسٌ تام.

ومن التجنيس قوله أيضا:

واللهِ لو سرَّ منكَ النفسُ قطع يدي

لما انثنيت على قدٍّ يقدُّ يدا[5]

وقد جانس بين "قد ويقدُ"

(1) نفسه، ص 67.
(2) ديوانه، ص 184.
(3) نفسه، ص 311.
(4) نفسه، ص 200.
(5) نفسه، ص 63.

وقوله:

أحسنْ أبا حَسَنٍ فحسنك راعني
حتى توهمتُ المساءَ صباحا[1]

وقد جانس بين أحسن وحسن وحسنك.

ومن التجنيس أيضاً قوله:

ولكن إذا راحٌ وروحٌ تغازلا   تحاقد ذاكَ الخَدُّ واحْمَرَّ للحقدِ[2]

وقوله:

لهفي على تلك المحا   سنِ والمحاجر في المعاجر
وحواجب كقوادم   الخَطّاف في خلق الأباجر
أمضى وأنفذ في القلو   ب مِنَ الخناجرِ في الخناجر[3]

حيث جانس في البيت الأوّل بين المحاجر والمعاجر، وجانس في البيت الثالث بين الخناجر والخناجر.

ومثله قوله:

اشتهي أنْ أزيلَ بالوصل وجدي
مثلما قد شقيتُ بالحبّ وحدي[4]

فنرى جناساً بين وجدي ووحدي.

وقد سمّى بعض علماء البلاغة هذا الجناس: تجنيس التصريف[5]، وعرّفه أسامة بن منقذ في كتاب البديع بقوله "هو أن تنفردَ كلُّ كلمة من الكلمتين عن الأخرى بحرف"[6].

---

(1) نفسه، ص 50.
(2) ديوانه، ص 70.
(3) نفسه، ص 94.
(4) نفسه، ص 73.
(5) البديع في نقد الشعر، ص 22.
(6) نفسه.

ومنه قوله:

غـــزال الـــبرّ بَـــزّ الـــصبرُ قلـــبي لعلّـــي أصـــطفيك وتـــصطفيني[1]

فقد جانس بين البرّ وبزّ.

وقوله:

لـو كنـت أشـكو صـباباتي إلى حجـرٍ لكانَ أو كـادَ لـي مـن عنـده الظَّفَـرُ[2]

فنرى جناساً بين: كان وكاد

ومنه قوله:

ألا يـــا مـــن إذا ولّـــوه جـــارا ألَـسْتَ تـرى محبّـك كيـف صـارا[3]

حيث جانس بين جارا وصارا.

وقوله:

وتـــدركني مـــن هيـــبتي لـــك وحـــشة فتؤنـسني بـالعطف منـك وبـاللّطْفِ[4]

فنرى جناساً بين: العطف واللّطف

ومن الجناس في شعره قوله أيضا:

لقــدْ عمَــرتْ في وَجْـهِ سَــحْبانَ لحيــةٌ وما عمـرتْ إلاّ وفي العقـل تخريـبُ

فَلَيــتَ اسـم موســى فوقَهـا مـتمكّنٌ وإنْ غابَ موسى فاسم هارون مقلوب[5]

---

(1) ديوانه، ص 344.

(2) ديوانه، ص 104.

(3) نفسه، ص 134.

(4) نفسه، ص 255.

(5) نفسه، ص 371.

وقد أطلق البلاغيون على هذا اللون من الجناس اسم جناس الإشارة وعرّفوه ألا يظهر التجنيس باللفظ بل بالإشارة[1]، ومثّل له صاحب معاهد التنصيص بالبيتين السّابقين[2].

والحقيقة أن الجناس بألوانه المختلفة كثير في شعره كثرة مطلقة، ويكفي ما أوردت للتدليل على ما أقول.

المزج بين الجناس والطباق: كان الخبزأرزي يمزج في شعره بين المحسنات البديعية، وعلى الخصوص بين الجناس والطباق، ومن أمثلة هذا المزج قوله:

كم أناسٍ وفَوْا لنا حين غابوا
وأناسٍ جَفَوْا وهمْ حُضّارُ

عرّضوا ثم أعْرَضوا واستمالوا
ثُمّ مالوا وجاوَروا ثمّ جاروا[3]

فنرى أنّ "وَفَوْا" تقابل "جَفَوْ" و"غابوا" تقابل "حُضّارٌ" ونرى كذلك أنّ بين كل كلمتين متعاقبتين في البيت الثاني جناس وطباق، ويعلّق الدكتور شوقي ضيف على هذين البيتين قائلاً إنّ هذه الأبيات " تدلّ على أنّه كان يفْقَهُ صنعةَ الشعر وصناعة البديعيين فيها فقهاً حسنا[4].

ويقول الخبز أرزي في مدح الأمير ابن يزداد:

فإذا الأفاضلُ في الأفاضل عددت
كنت اليمين ومَنْ سواكَ شمالا

فَفَضَلْتَهُمْ عند الخطاب مقالا
وفَفَضَلْتَهُمْ عند الخطوبِ فعالا[5]

(1) معاهد التنصيص 3/ 241.
(2) نفسه.
(3) يتيمة الدهر 2/ 134، وانظر الديوان، ص 111.
(4) العصر العباسي الثاني، ص 510.
(5) ديوانه، ص 290.

فنراه يقابل بين: كنت اليمين، وبين: ومَنْ سواك شمالا، وفي البيت الثاني يجانس بين الخطاب والخطوب، ويقابل بين مقالا، وفعالا، وهذا كثير في شعره، وعلى ما يبدو فإنّ الخبز أرزي قد كان يحاكي في ذلك أبا تمام، ويبدو أنّه كان يسمع شعره ويحفظ كثيراً منه.

واستخدم الخبز أرزي، في شعره، فنوناً بديعية أخرى غير الطباق والمقابلة والجناس، من ذلك:

التلميح: وهو أن يشير الشاعر إلى آية كريمة، أو إلى قصة، أو شعر أو مثل سائر[1]؛ فمن التلميح إلى آية من القرآن، قوله:

أستودِعُ اللهَ أحباباً فُجِعْتُ بهم
بانوا وما زوّدوني غَيْرَ تَعْذيبِ

بانوا ولَمْ يقْضِ زيدٌ منهمْ وَطَراً
ولا انْقَضَتْ حاجةٌ في نفس يعقوبِ[2]

فقد لَمّح في المصراع الأول من البيت الثاني إلى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾[3]، وفي البيت الثاني إلى قوله تعالى: ﴿إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا﴾[4]، وقد أشرت إلى هذا عند حديثي عن تأثر الخبز أرزي بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

وأما التلميح إلى قصة فقوله:

ولّى فاقبلتِ الأردافُ لاعِبَةً
كما تلاعبتِ الأمواجُ في اللُّجَجِ

ثمّ انثنى بانعطاف منهُ ملتفتاً
كما ثنى نفَساً خوفَ الرقيب شَجيَ

(1) أنوار الربيع في ألوان البديع، ص 267.

(2) ديوانه، ص 37، وانظر البيتين في أنوار الربيع، ص 267.

(3) سورة الأحزاب: 37.

(4) سورة يوسف: 68.

كـأنّ يوشـعَ رَدَّ الـشّمْس ثانيـةً   عنـد التفاتتـه نحـوي بمنعـرجِ[1]

فهاهنا أشار إلى قصة يوشع بن نون، فتى موسى، واستيقافه الشمس، فإنه روي أنه قاتل الجبارّين يوم الجمعة، فلما أدبرت الشمس للغروب خاف أنْ تغيب قبل فراغه منهم، ويدخل السبت، فلا يحلّ لهم قتالهم فيه، فدعا الله تعالى، فردّ له الشمس حتى فرغ من قتالهم[2].

جاء في مسند أحمد بن حنبل: أنّ رسول الله ﷺ قال: "غزا نبيّ من الأنبياء، فقال لقومه: لا يتبعني رجل قد ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولم يبنِ بها، ولا آخر قد بنى بنياناً ولم يرفع سقفهُ، ولا آخر قد اشترى غنماً أو خلفات وهو منتظر ولادتها، قال: فغزا القرية حين صلاة العصر، أو قريباً من ذلك، فقال للشمس: أنت مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها عليّ، فحبست عليه حتى فتح الله عليه..."[3].

ومن ذلك قوله:

وبنفـسي مَـنْ إذا خَـشّمْتُهُ   نَثَـرَ الـوَرْدُ عليـهِ وَرَقَـهْ

وإذا مَـسَّتْ يـدي طُرَّتَـهُ   أفْلَتَـتْ منـهُ فعـادتْ حَلَقَـهْ[4]

أخذها من حكاية لعمر بن أبي ربيعة، حدّث المغيرة بن عبد الرحمن، قال: حججت مع أبي وأنا غلام، عليّ جُمّةٌ، فجئت عمر، فسلمت عليه، فجلست عنده، فجعل يمد الخصلة من شعري ثم يرسلها، فترجع على ما كانت عليه، ويقول: واشباباه! حتى فعل ذلك مراراً، ثم قال لي: يا بن أخي، قد سمعتني أقول في شعري: قالت وقلت ... وكل مملوك لي حرّ إنْ كنت كشفت عن فرج امرأة حرام قط، فسألت عن رقيقه، فقيل لي: أمّا في الحوك فسبعون سوى غيرهم[5].

---

(1) معاهد التنصيص 4/ 197.

(2) نفسه 4/ 195.

(3) شرح مقامات الحريري 1/ 340 وانظر البيتين في الديوان، ص 454.

(4) الأغاني 1/ 77.

(5) الصناعتين، ص 314 وانظر البديع في نقد الشعر، ص 94.

وكان التجاهل من الفنون البديعية التي استخدمها الخبز أرزي في شعره، وعرّفه علماء البلاغة بقولهم: هو أن يقول الشاعر: لا أدري، أو يستفهم ببعض حروف الاستفهام، وذلك مثل قوله:

واللهِ ما أدري بأيّ صِفاته أسَرَ القلوبَ فأوثقَتْ في أسْرِهِ
أبِوَجْهِهِ أمْ شعرِهِ أم نَحْرِهِ أمْ قَدِّهِ أمْ ردفِهِ أم خصرِهِ[1]

واستخدم الخبز أرزي في شعره، ما أسماه علماء البلاغة "العكس" وقد عرّفه صاحب الصناعتين بقوله: أن تعكس الكلام فتجعل في الجزء الأخير منه ما جعلته في الجزء الأول، وبعضهم يسميه: التبديل[2]. وذلك مثل قوله:

جَهِلْتَ ولَمْ تعْلَمْ بِأنّكَ جاهِلٌ
فمنْ لي بأنْ تدْري بأنَّكَ لا تَدْري[3]

وقد أورد أسامة بن منقذ هذا البيت في باب الإغراق، وعرفه بأن يبالغ في الشيء بلفظه ومعناه[4].

واستخدم أيضاً فن الترصيع، وهو أن يكون البيت مسجوعاً مثل قوله:

عَرَضوا ثُمّ أعْرَضوا؛ واستمالوا ثمّ مالوا، وأنصفوا ثمّ جاروا[5]

واستخدم، كذلك، الازدواج، وقد عرّفه أسامة بن منقذ بقوله: هو أن تزاوج بين الكلمات والجُمل بكلامٍ عذبٍ، وألفاظٍ عذبةٍ حلوةٍ[6]، ومنه قول الخبز أرزي:

لا أستطيع من الضّنا شكوى الضّنا ويكادُ ما بي أن يرقّ لما بي
لا صبرَ لي أنّى عليكِ تصبّري والتّيه دابكِ والتّذلّلُ دابي
فخلعتُ في خلع العذولِ تجمّلي ولبستُ ثوبَ السُّقْمِ تحت ثيابي

---

(1) ديوانه، ص 184.
(2) ص 411.
(3) ديوانه، ص 142.
(4) ص 84.
(5) ديوانه، ص 111.
(6) البديع في نقد الشعر، ص 111.

لا تمزجوا كأسي فإنَّ مدامعي تكفي وتفضلُ عن مزاجِ شرابي[1]

واستخدم أيضا ما أسماه صاحب البديع في نقد الشعر: السابق واللاحق، أو يزيد في معناه، أو يحرّره، فيكون أولى به من قائله لكن الأول سابق والآخر لاحق[2]، ومثّل له بقول الخبز أرزي:

ظلموك إذ عقدوا لخصرِكَ مُرْهَفا
ما للظّباءِ وما لِحَمْلِ المُرْهَفِ

أخذه من قول الشاعر:

كم عذلناك في السيوفِ وقلنا
لكَ: ما لِلْمَها وحملِ السيوفِ[3]

ومن الفنون البديعية التي استخدمها الخبزأرزي في شعره "التضمين" وذلك مثل قوله:

أقولُ لنعمان وقد ساقَ طِبُّهُ نفوساً نفيساتٍ إلى باطنِ الأرضِ:
(أبا مُنْذرٍ أفْنَيْتَ فاسْتبق بعضنا حنانيك بعضُ الشرِّ أهونُ من بعضِ)[4]

والبيت الثاني المضمّن لطرفة بن العبد، وهو البيت الثاني من قصيدة قالها وهو في السجن يخاطب عمرو بن هند ومطلعها:

أبا منذرٍ كانتْ غروراً صحيفتي
ولم أعطِكُمْ بالطّوعِ مالي ولا عِرْضي[5]

وعبارة "بعضُ الشرّ أهون من بعض" وردت في شعر أبي خِراشٍ الهذلي، وهو من شعراء الحماسة، وذلك في مطلع قصيدة في الرثاء:

---

(1) ديوانه، ص 36.

(2) أسامة بن منقذ، ص 222.

(3) نفسه، ص 230.

(4) يتيمة الدهر 3/ 405 وانظر الديوان، ص 395.

(5) ديوان طرفة، ط. بيروت، ص 66.

حَمِـدتُ إلهـي بَعْـدَ عُـرْوَةَ إذْ نَجـا
خِراشٌ وبعضُ الشرِّ أهْوَنُ مِنْ بَعْـضِ[1]

ومن ذلك أيضاً قول الخبز أرزي:

أبْكـي لِـشَجْوي ولا أبْكـي لمنزلـةٍ
(أخنى عليهِ الذي أخنى على لُبَـدِ)[2]

والشطر الثاني المضمّن للنابغة الذبياني، وهو الشطر الثاني من البيت السادس، من قصيدة في مدح النعمان بن المنذر، ويعتذر إليه ممّا بلغه عنه فيما وشى به بنو قُرَيع من أمر المتجردة، والبيت هو:

أمست خلاءً وَأمْسى أهْلُها احتملوا ... أخْنى عَلَيْها الذي أخْنى على لُبَدِ

ومنه قوله أيضاً:

إذا مـا اسـتبدلَ الوامـ ... ـقُ بُعْـدَ الـدّارِ بـالقُرْبِ
ولَمْ يَبْـقَ سـوى الأخبـا ... رِ والرّسـلِ مـع الكُتْـبِ
فقـدْ رَثّـتْ قـوى العَهْـدِ ... كمَـا رَثّـتْ قـوى الحُـبِّ
(ومَـنْ غـابَ عـنِ العـينِ ... فقـدْ غـابَ عَـنِ القلـبِ)[3]

والبيت الأخير المضمّن في هذه المقطوعة، لأبي نواس، وهو الرابع من مقطوعة تشبه مقطوعة الخبزأرزي، يقول أبو نواس:

لقـدْ أصْـبَحْتُ ذا كـربٍ ... مِـنَ المولَـعِ بالْعَتْـبِ
وقـدْ قاسَـيْتُ مِـنْ حُبِّيْـ ... ـهِ أمـراً لـيسَ باللعَـبِ
جفـاني وتناسـاني ... بعيـدَ الرُسْـلِ والكُتْـبِ
ومـن غـابَ عـنِ العـينِ ... فقـد غـاب عـنِ القَلْـبِ[4]

(1) حماسة أبي تمام ط. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية 1/ 385.
(2) ديوانه، ص 76.
(3) ديوانه، ص 32.
(4) ديوان أبي نواس، ط. الغزالي، ص 340.

واستخدم في شعره أيضاً ما أسماه البلاغيون "تأكيد المدح بالاستدراك" من مثل قوله:

هُــوَ البــدْرُ إلاّ أنَّ فيــهِ بــدائعاً
من الحُسْنِ ليست في هلالٍ ولا بَـدْرِ[1]

ومنه قوله:

لَــكَ وجْــهٌ كالبَــدْرِ لكــنْ تَبَــرّا   مــن محــاقٍ وغيبــةٍ أو كــسوفِ[2]

وكان التقسيم من الفنون البديعية التي أحسن الخبزأرزي استخدامها في شعره، مـن مثل قوله:

بِبَـدْرَيْنِ: مِـنْ بَـدْرِ السماءِ ووجهِهـا
وَلَيْلَيْنِ: مِنْ ليلٍ ومِنْ فَرْعِهـا الجَعْـدِ[3]

وأحسن الخبزأرزي، كذلك، استخدام المبالغة والغلوّ والإغراق، وهو كـثير في شـعره كثرة مطلقة، من مثل قوله:

ومـنَ العجائـبِ أنْ يُـذيبَ مفاصـلي
مَـنْ لَـو جَـرَى نَفَـسي عليـه لـذابا[4]

وقوله:

أخــيّ اذا بــني هَــمٌّ قــديمٌ   وصــيّرني كعرجــونٍ قــديمِ[5]

وقوله:

رَقّــتْ حواشــيه حتّــى لــو يمــرّ بــهِ
وَهْـمُ الـضّميرِ لفـرطِ اللّـينِ لاعتَـصَرا

---

(1) ديوانه، ص 140.

(2) ديوانه، ص 259.

(3) ديوانه، ص 70.

(4) ديوانه، ص 28.

(5) ديوانه، ص 328.

لـو أنّ ظِـلّ ذبـابٍ طـارَ مِـنْ بعـدٍ
حـاذى محاسِـنَهُ أبْقَـى لَهَـا أثَـرا[1]

ومن أطرف ما قاله في هذا اللّون، هذه المقطوعة:

كُـلُّ الهـوى صَـعْبٌ ولكـنّني بُلِيـتُ بالأصْـعَبِ مِـنْ أصْـعَبِهْ
أذابـني الحُـبُّ فَلَـوْ زُجَّ بـي في نـاظرِ النّـائِمِ لَـمْ يَنْتَبِـهْ
وكـانَ لـي قَبْـلَ الهـوى خـاتِمٌ فـالآنَ لـو شِـئْتُ تَمنطَقْـتُ بِـهْ
وزارَنـي طَيْفُـكَ حتّـى إذا أرادَ أنْ يَمْـضي تَعَلّقْـتُ بِـهْ
يـا مَـنْ إذا أقْبَـلَ قـال الـورى هـذا أمـيرُ الحُـسْنِ في موكبِـهْ
عبـدك لا تـسألُ عـن حالِـه حَـلّ بأعْـدائِكَ مـا حَـلَّ بِـهْ[2]

واستخدم لون 'التفويف' في شعره وهو أن يأتي الشاعر بجملٍ مقطعة في بيت الشعر[3]، من مثل قوله:

يرمـي العيـون ويـستدعي القلـوب م
ويستصفي العقولَ ويستولي على المُهَجِ[4]

ومنه قوله:

ومـن الوجـوهِ إلى العيـو نِ إلى الخُـدودِ إلى الثغـورْ[5]

وقوله:

يبـدو فتحـسبه بالحـسن معتجـراً
بالطّيـبِ مُرْتـدِياً بالحُسْن مُـؤْتزرا[6]

---

(1) ديوانه، ص 130
(2) ديوانه، ص 375.
(3) كتاب الطراز 3/ 86.
(4) ديوانه، ص 47.
(5) ديوانه، ص 96.
(6) ديوانه، ص 131.

وحسن التعليل، من الألوان البديعية التي استخدمها في شعره أيضاً، ومنه قوله وقد أحسن فيه:

لا تلمهمْ على التجنّي فلو لم   يتجنّوا لم يحسن الاعتذارُ[1]

وقوله:

شكوتُ إلى إلفي سهادي وعَبْرتي
فقلتُ احمرارُ العين يخبر عن وجدي
فقالَ: محالٌ ما ادّعَيْتَ وإنّما
قطفْتَ بعينيك التورّدَ من خدّي[2]

واستخدم "التسجيع" في شعره أيضاً، من مثل قوله:

ورْدُ الخُدودِ ورمّانُ النُهودِ وآعـ
طاف القدودِ تصيدُ السّادةَ الصّيدا[3]

وقوله:

والْفَرْعُ مِنْ سَبَجٍ والخَدُّ مِنْ ضَرَجٍ
والطّرْفُ مِنْ غنجٍ يلقاكَ وسْنانا[4]

وممّا يتصل بالمحسنات البديعية "براعة الاستهلال" وهو كما عرّفه البلاغيون: أن يكون في الابتداء إشارة إلى ما سيق الكلام لأجله[5]؛ فمن ذلك، وهو ممّا يشعر بالتهنئة بالعيد، قول الخبز أرزي:

للعيدِ أوْعدني من لم يزل عيدا
طوباي إن أنجزَ العيدُ المواعيدا[6]

---

(1) ديوانه، ص 111.

(2) ديوانه، ص 68.

(3) ديوانه، ص 64.

(4) نفسه، ص 334.

(5) معاهد التنصيص 4/ 234.

(6) ديوانه، ص 64.

ومثله قوله في مطلع قصيدة له يهنئ فيها الممدوح بعيد النيروز:

إقبـالُ عـامٍ بـشكرِ الخـير مقبـولُ
عنـد الأمـيرِ بعيـدِ الـبرّ موصـولُ[1]

ومن ذلك، وهو ممّا يشعر بانكشاف الغمّة:

ريـحُ شَـوْقٍ للبَـيْنِ كانـت سُـمُوما
ثُـمّ عـادتْ عِنْـدَ اللّقـاءِ نـسيما[2]

ومن ذلك قوله المشعر بالتهنئة:

يـومٌ أتـى بنـسيم الـريح موسـوما
مبـاركٌ بزمـامِ الملـكِ مزمومـا[3]

ومثله أيضاً قوله:

سـنة يـزاد بهـا الأمـيرُ جَمـالا
إقبالُهـا ينمـي لَـكَ الإقبـالا
سـنة وأسـبوعٌ وشـهرٌ كلّهـا
جـددٌ تجـدّدُ النُعمـاً ونـوالا[4]

وحسن التخلص يتصل أيضا بالمحسنات البديعية، وقد عرّفه علماء البلاغة بأنه: الخروج ممّا ابتدئ به الكلام من نسيب أو غيره إلى المقصود، مع رعاية الملاءَمة بينهما[5] ويرى الحموي في خزانة الأدب أنّ الأحسن أن يتخلّص الشاعر من الغزل إلى المدح[6]، ويرى بعض البلاغيين أنّ الشعراء المحدثين أحسن تخلّصاً من الشعراء الأقدمين[7].

---

(1) نفسه، ص 286.

(2) ديوانه، ص 322.

(3) ديوانه، ص 319.

(4) ديوانه، ص 290.

(5) معاهد التنصيص 4/ 250.

(6) 149.

(7) انظر: عيار الشعر ص 115 ومعاهد التنصيص 4/ 250 وكتاب الطراز 3/ 179.

ويرى صاحب منهاج البلغاء أنّ التخلّص إنّما يكون في شطر بيت أو في بيت بجملته أوْ في بيتين، وكلّما قرب السبيل في ذلك كان أبلغ[1]. ومن المخالص البديعية في شعر الخبز أرزي قوله من قصيدة مدحية:

إلفٌ يُعاقبني لأنّي مُحْسِنٌ ... أرأيْتَ إحساناً يجرُّ عقابا
جرَّبْتُ أيمانـاً لـه فوجدتُها ... كذباً فصِرْتُ بصدقِها مُرْتابا
فدعِ التّصابي للشّبابِ فإنّهُ ... وَصْمٌ على ذي الشيْبِ أنْ يتصابى
وامدح رئيسَ بلاغةٍ وكتابةٍ ... زانَ الوُلاةَ وشَرَّفَ الكُتّابا[2]

وقوله يمدح البريديين:

تُبْلى الرياضُ وكلُّ رَوْضٍ وافرٍ ... وندى البريديين ليس ببالِ[3]

فهذا تخلّصٌ قصير جاء في شطر بيت، وهو من بدائعه اللطيفة، ومثل هذا التخلّص القصير يعزّ وجوده في قصائد المتقدمين، كما يقول صاحب كتاب الطراز[4].

ومن رقيق التخلّص ودقيقه في شعر الخبز أرزي ما قاله في مدح ابن يزداد:

لنا ربيعان من وقتٍ ومِنْ كرَمٍ ... وسيد ماجِدُ الأخلاق بُهلولُ[5]

فقد قرن وصف الربيع والطبيعة الجميلة بوصف أخلاق ممدوحه. ومنه كذلك قوله في المدح أيضاً:

نَقَلْتُ عِشْقي إلى شُكْري وممتدحي
لِسُنّةٍ تعشق الإحسان والجودا[6]

ومن ذلك أيضاً، هذا التخلّص اللطيف الذي جاء في ثلاثة أبيات:

وإذا تنكّرتِ الليالي لنْ يُرى ... تكرارُها أو يُعْرَفُ المعروفُ

---

(1) حازم القرطاجني 230.
(2) ديوانه، ص 28.
(3) ديوانه، ص 305.
(4) يحيى بن حمزة 3/ 182.
(5) ديوانه، ص 287.
(6) ديوانه، ص 64.

مـــا تثقـــلُ الأعنـــاقَ إلاّ مِنّـــةٌ لفتـــىً لـــه عَـــنْ مُثْقَـــلٍ تخفيـــفُ
نظـــرتْ إلـــيَّ الحادثـــاتُ فرَدَّهـــا عنّـــي الأمـــيرُ وطَرْفُهـــا مطـــروفُ[1]

وممّا يتصل بأصناف البديع "الختام" أي خاتمة القصيدة، ويرى يحيى بن حمزة أنّ الاختتام فن من البديع بمكان، وأنه لحقيقٌ من بينها بالإحراز والإتقان[2]، ويصف صاحب العمدة خاتمة القصيدة بأنّه قاعدة القصيدة وآخر ما يبقى منها في الأسماع، وسبيلها أن تكون محكمة: لا تمكن الزيادة عليها، ولا يأتي بعدها أحسن منها، وإذا كان أوّل الشعر مفتاحاً له وجب أن يكون الآخر قفلاً عليه[3]. ويرى أبو هلال العسكري أنّ الاختتام يجب أن يكون في كلّ غرض بما يناسبه، وأن يتضمن حكمة أو مثلاً سائراً أو أن يكون تشبيهاً حسناً[4]. ومن حُسْن الخواتيم في شعر الخبز أرزي قوله يمدح ابن يزداد أمير البصرة:

فـــــزادَكَ اللهُ في بـــــدوٍ وعافيـــــةٍ
عِـــزّاً ونـــصْراً وتمكينـــاً وتأييـــدا[5]

وقوله في المديح أيضاً:

لا زِلْـــتَ في نِعـــمٍ يُـــزادُ بـــشكرِها مـــدداً مِـــنَ الإعظـــامِ والإجـــلالِ[6]

ومنه قوله:

فـلا زِلْـتَ في شُـكْرِ المزيـدِ فـلا يُـرى
مِنَ الفضْلِ والإحسان رَبْعُكَ حـايلا[7]

(1) ديوانه، ص 237.
(2) كتاب الطراز 3/ 188.
(3) ابن رشيق 1/ 239.
(4) انظر الصناعتين 422 وما بعدها. وانظر أيضا: بناء القصيدة العربية، ص 302.
(5) ديوانه، ص 66.
(6) نفسه، ص 307.
(7) ديوانه، ص 296.

وقوله:

لا زِلْتَ مبسوطَ اليدين بِنِعْمةٍ

وبسطْوةٍ كيْ تُرْتَجى وتُهابا[1]

وقوله:

لا عَدِمْنا ظِلالَ نُعْماكَ تَغْشى الـ م أرضَ أوْ لا ترى عليْهِ عديما[2]

وقوله:

وحسناك يكسوك حُسْنَ الثّنا

ونُعماك تُبْقِي عليكَ النِّعمْ[3]

وقوله:

إذا نحنُ قلنا: طالَ عُمْرُكَ أيْنَعَتْ

يداكَ المعالي إنّ عُمْرَكَ عُمْرُها[4]

وهذه الخواتيم جميعها تضمّنت الدعاء للمدوح وذلك مع نهاية المدح. وقد ذكر يحيى ابن حمزة أنّ غاية حسن الخاتمة أن يعرف السامع انقضاء القصيدة وكمالها، فهذه علامة حسنها ورونقها[5]. ومن أمثلة ما قاله الخبز أرزي يمدح ابن يزداد:

فمنِ ادّعى أنْ قدْ رأى لك مُشْبِهاً

فقد ادّعى فيما يقول مُحالا

فإذا مدَحْتُكَ قال لي أهْلُ الحِجا:

قُلْ كَيْفَ شِئْتَ فَقَدْ وَجَدْتَ مَقالا[6]

---

(1) نفسه، ص 29.

(2) نفسه، ص 323.

(3) ديوانه، ص 311.

(4) ديوانه، ص 135.

(5) كتاب الطراز 3/ 186.

(6) ديوانه، ص 291.

ومن حسن الخواتيم الجيدة في شعر الخبز أرزي قوله واصفاً شعره، وذلك في ختام قصيدة لامية يمدح بها ابن يزداد:

إنّي أقولُ فإنْ أكثرْتُ في مدحي في جنبِ إحسانك التكثيرُ تقليلُ
يا غارساً شجرَ الإحسانِ كُلْ ثمراً
لكنّهُ ثمَرٌ بالسّمْعِ مأكولُ
مدحٌ يَلَذُّ مِنَ الأفواه مَرْشَفُهُ
كما يلَذُّ مِنَ المعشوقِ تقبيلُ[1]

ومن الخواتيم الجيدة في شعر الخبز أرزي، تلك الخواتيم التي تضمنت حكمة أو مثلا من مثل قوله:

إنّ القرين هو النظيرُ فإنْ تكنْ
حُرّاً فدونكَ صُحْبَةُ الأحرارِ[2]

وقوله:

فضرْبُ العَصا مُؤلِمٌ ساعةً وضَرْبُ اللسانِ طويلُ الألَمْ[3]

وقوله:

وحيثُ أرى إلفاً لإلفٍ مصافياً فثَمَّ حسودٌ لا ينامُ وعاذِلُ[4]

وقوله:

وما غَيْرَةُ العُشّاقِ إلاّ وفاؤُهمْ وكُلُّ مُحِبٌّ لا يغارُ فلن يفي[5]

---

(1) ديوانه، ص 287.
(2) ديوانه، ص 160.
(3) نفسه، ص 312.
(4) ديوانه، ص 283.
(5) ديوانه، ص 256.

وأطرف خاتمة وجدتها في شعر الخبز أرزي خاتمته لقصيدة فائية في العتاب؛ إذ كان الشطر الأخير فيها هو الشطر الأوّل من البيت الأول من القصيدة نفسها، فمطلع هذه القصيدة هي:

بيني وبينك يا ظلومُ الموقفُ
الحاكمُ العَدْلُ الجَوادُ المُنصِفُ

وخاتمتها:

فأتتكَ روحي حينَ ذاكَ بقوْلها:
بيني وبيْنكَ يا ظلومُ الموقفُ[1]

وهذه الخاتمة من الخواتيم الفريدة في شعرنا العربي القديم.

---

[1] ديوانه، ص 233.

5- الحوار في شعره:

استخدم الخبز أرزي في بعض قصائده ومقطوعاته أسلوب الحوار، وهو ينقل ما كان يدور بينه وبين الحبيب، وكأنه يريد أن يضع القارئ أو المستمع في الجو الذي قال فيه هذه القصائد والمقطوعات، ونجد هذا الأسلوب في قصائده ومقطوعاته الغزلية، مما يذكرنا بأسلوب عمر بن أبي ربيعة، الذي كان يكثر في غزله من أسلوب الحوار، ولا شك أنّ هذا الأسلوب قد فطن إليه الشعراء القدامى كامرئ القيس الذي نجد في ديوانه بعض القصائد التي استخدم فيها هذا الأسلوب[1]، والشواهد على استخدام الخبز أرزي أسلوب الحوار كثيرة في شعره، من مثل قوله:

شكوتُ إلى إلفي سهادي وعبرتي ... فقلت: احمرار العين يخبر عن وجدي
فقال: محال ما ادّعَيْتَ وإنّما ... قطعتَ بعينيك التّوردَ مِنْ خَدّي[2]

ومن مثل هذا الحوار الذي يدور بينه وبين الطبيب الذي جاء يعالجه مّما ألمّ من مرض:

أتوني بالطبيب فساءَلوه ... فلمْ يدرِ الطبيبُ بما يجيبُ
سقاني شربة لم تغن شيئا ... سوى ما زاد في القلب اللهيبُ
فقلت له: ألا دعني لدائي ... وقم فاذهب لشأنك يا طبيبُ
دوائي في يدي من كان داءً ... فقال: وما الدوا؟ قلت: الحبيبُ[3]

ومثل هذا الحوار الذي يدور بينه وبين حبيبه، وهو ينقله إلينا بسهولة مبالغ فيها، حتى نحس أن هذا الكلام هو الذي دار حقيقة بينهما، فهو إلى النثر أقرب لولا الوزن والقافية:

أكتمُ ما حَلَّ بي لأنّي ... أخافُ أنْ يشمتَ الحسودُ

---

(1) ديوانه، ط: بيروت انظر معلقته، ص 20 وما بعدها.

(2) نفسه ص 68.

(3) نفسه، ص 27.

إنْ قلتُ: أشْمَتَّ بيَ الأعادي

قال: فهذا الذي أريدُ

أو قلتُ: غادرتني قتيلاً قال: قتيل الهوى شهيدُ

أشكو وأبكي فما يُبالي كأنّما قلبُه حديدُ[1]

ومثل هذا كثير في شعره، ولكن الطريف أننا نجد الحوار يدور أحياناً بينه وبين قلبه، من مثل قوله:

تحيّرتُ في ترك الحبيب وترككم ففي تركه لهوٌ وفي ترككم ذنبُ

وقال فؤادي: ليس يعْذرك الإخا على جفوة إذ ليس يعذرك الحِبُّ[2]

وقوله:

قد قال قلبي إذ رآك مجانبي ورآك ترصد مقلة من راصدِ:

صدّ الحبيبُ وقد رأيتُ لصَدّه عذراً فلستُ على الحبيب بواجدِ[3]

ونجد عنده كذالك، حواراً يدور بين قلبه وطرْفه بن مثل قوله:

يقول قلبي لطرْفي حين يبصره: انظر ترى مَلَكاً ذا الشخص أم بشرا؟[4]

ولنستمع أخيرا، إلى هذا الحوار الطريف، الذي تخيله الخبز أرزي دائراً بين الشمس و المحبوب:

بديعُ ملاحاتٍ يذوبُ من اللّمسِ

تكبّر أنْ يُدْعى إلى صورةِ الإنسِ

فلمّا رأته الشمسُ منه تعجّبتْ

وقالت له: باللهِ أنتَ مِن الإنسِ؟

---

(1) نفسه، ص 61.

(2) نفسه، ص 22.

(3) نفسه، ص 78.

(4) نفسه، ص 131.

وقالت لـه: مـا الاسـم؟ قـال: محمـدٌ فقالت: فقسْ في الحُسْنِ نفْسَكَ مع نفسي

فأغـضِبَ حتـى كـاد يلطِـمُ وجْههـا وحـذّر بـالكف المليحِ علـى الـشمسِ

وقالـت لــه: عـيني فـإنّي طـالعٌ على الناسِ بالنّورِ الذي كـان بـالأمْسِ[1]

[1] ديوانه، ص 199.

6- الموسيقا في شعر الخبز أرزي:

لو تصفحنا شعر الخبز أرزي،لألفيْنا أنّ أكثره يقع على البحور القصيرة، أو على مجزوءات البحور، ولعلّ هذا عائد إلى أنّ شعره كان ممّا يُغنّى فيه، ونحن نعلم أنّ الصلة بين الغناء و عروض الشعر وثيقة منذ القدم، حتى إنّ العروضيين سمّوا بعض بحور الشعر العربي بأسماء الألحان في الغناء؛ كالهزج، والرمل، والخفيف، وشيوع الغناء، وإقبال الطبقات المختلفة عليه، في العصر العباسي، ومنذ القرن الثاني الهجري، قد أثّر في شعر الشعراء إلى حدّ بعيد "بدا في انصراف الشعراء عن الأوزان الطويلة المعقدة، حتى في أكثر فنون الشعر جدّية كالمديح والرثاء، وإقبالهم على الأوزان الرشيقة الخفيفة التي تلائم الغناء في المجالس والمنتديات"[1].

وكما يقول الدكتور إبراهيم أنيس "والذي نلحظه بوجه عام أن هذه البحور القصيرة لم تكن مألوفة في الشعر القديم ولا سيّما الجاهلي وصدر الإسلام. ثمّ بدأ الشعراء يعنون بها أو ببعضها بعد ذلك، ونظموا منها أشعاراً كثيرة وقصائد متعدّدة حين بدأ الناس يتغنون بالأشعار وكثر تلحينها في عصور الغناء والطرب أيام العباسيين"[2].

وقد أقبل الخبز أرزي على الأوزان القصيرة، ومجزوءات البحور، وأكثر منها في نظمه؛ ففي ديوانه (288) قصيدة ومقطوعة، منها على مجزوءات البحور قرابة الأربعين أغلبها على مجزوء الكامل مثل قوله:

يـــا مـــن علـــيّ وجناتِـــهِ مِـــنْ كُـــلِّ بائنـــةٍ ظريفـــهْ
للـــشكل فيـــك لطـــائفٌ يلعـــبْن بـــالفِطنِ اللطيفـــهْ
طـــرّزْنَ منـــك محاســـناً بطـــراز ألفـــاظٍ طريفـــهْ
مـــا آفـــةُ المحبـــوبِ مِنـــــه ســـوى لواحظـــك الـضّعيفهْ
عاقبْـــتُ قلـــبي في هـــوا ك عقـــابَ مـــن قتـــل الخليفـــهْ[3]

---

[1] اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، ص 568.

[2] موسيقى الشعر، ص 119.

[3] ديوانه، ص 253.

وعلى مجزوء الرّمل مثل قوله:

أشمـــوسٌ أم بـــدورُ ... أمْ عيـــونٌ أم ثغـــورُ؟
بنبـــات النـــرجس الغـــضْـ ... ـضِ لنـــا تمّ الـــسرورُ
ذهـــبٌ بـــيْنَ لُجَـــيْنٍ ... فيـــهِ مِـــسْكٌ وعـــبيرُ
أغـــيُنٌ رُكّـــبَ فيهـــا ... حِـــدَقٌ ليـــستْ تـــدورُ[1]

وعلى مجزوء الخفيف مثل قوله:

يـــا مريـــضاً قـــدْ أمّـــرَ الحُـــسْـ ... ـــنَ والطُّـــرْفَ والْوَفـــا
لم يكـــنْ تركـــي العيـــا ... دة هجـــراً ولا جَفـــا
لم أطِـــقْ أنْ أراكَ يـــا ... أحْـــسنَ النّـــاسِ مُـــدْنَفا
كيـــف ألقـــاكَ بعـــدَ مـــا ... كـــانَ قلـــبي تخوّفـــا
طـــالَ خـــوْفي عليـــك فالـــ ... حمـــدُ لله إذ كفـــى
مـــا علـــى البـــدر سـيدي ... مـــنْ كـــسوفٍ تطرّفـــا
ويـــودّي لـــو أنّ في ... حتـــفَ روحـــي لـــك الـــشفا
لا تخـــفْ مِـــنْ تغيُّـــرٍ ... لـــيس بالحـــسن مِـــنْ خَفـــا[2]

وعلى مجزوء الوافر مثل قوله:

هبـــوني قـــدْ أســـأتُ أنـــ ... ـــا المُقِـــرّ بـــهِ كمـــا زَعَمـــا
تـــراهُ يريـــدُ سَـــفْكَ دمـــي ... بـــلا جُـــرْمٍ لقـــدْ ظَلَمـــا[3]

وعلى مخلّع البسيط مثل قوله:

لـــولاك لم يحـــسن الـــسرورُ ... ولَـــمْ يكـــنْ للـــبلادِ نـــورُ
هـــذا مُحِـــبٌّ إليـــك يـــشكو ... وبالرّضـــا منـــك يـــستجيرُ

---

(1) نفسه، ص 119.

(2) ديوانه، ص 246 والشفا وخفا مخففتان من: الشفاء وخفاء.

(3) نفسه، ص 316.

إن أتـــى في حـــبّكم أســـيراً فهـــو علـــى غيركـــم أمـــيرُ
إذا ملكـــتمْ فـــلا تتيهـــوا وإنْ حكمـــتم فـــلا تجـــوروا
تعطّفـــوا وارحمـــوا مُحِبّـــاً قلـــيلكم عنـــده كـــثيرُ"[1]

ومن الأوزان القصيرة التي نجدها قد شاعتْ في شعره وزن المجتث الذي "يعد الوليد ابن يزيد من أول الذين نظموا فيه لأنّ الجاهليين لم يكتبوا فيه إلاّ أبياتاً مفردة"[2] والرّمل الذي "أدرك بعض المرققين من طبقات المولدين الأولين رقته وعذوبته فتعاطوه في غزلياتهم، واستغلّوا ناحية الأسى فيه لتصوير مجونهم وغرامياتهم"[3].

وأكثر كذلك من وزن الهزج مثل قوله:

أمـــا تبـــصرُ دمـــعَ العيـــ ـــن مـــسكوباً علـــى الخـــدّ
إذا مـــا سُـــهّد القلـــب فـــإنّ القلـــبَ يـــستعدي
ومـــا يـــشكو الـــذي يلقـــا هُ إلاّ مـــن ورا جَهْـــدِ
فياليتـــك في قلـــبي عـــسى تنظـــر مـــا عنـــدي
ســـأرعاك علـــى القـــرب وأرعـــاك علـــى البُعـــد
فكـــن لـــي كيفمـــا أحبَبْـــ ـــت مـــن وصـــلٍ ومـــن صـــدٌ
فلـــوْ مِـــتُّ مـــن الوجـــدِ لمـــا حُلْـــتُ عـــن العهـــدِ
طلبـــتُ الوصـــلَ لـــي وحـــدي كـــذا أحرمتـــهُ وحـــدي[4]

فالبحر قصير، وهو لا يستعمل إلاّ مجزوءاً، ونلحظ أنه قد دخل في أبياته بعض الزحاف، وهو زحاف الكف فزاده ذلك خفة ورشاقة كما يقول الدكتور عبد الكريم اليافي[5]: وأكثر، كذلك، من وزن المنسرح، وقد كان الغزل والمجون من أهم الأغراض التي

---

(1) نفسه، ص 105.
(2) اتجاهات الشعر العربي، ص 569.
(3) اتجاهات الشعر العربي، ص 570
(4) ديوانه، ص 74
(5) دراسات فنية في الأدب العربي، ص 37

نظمها الخبزأرزي على هذا الوزن، ويصف عبد الله الطيّب وزن المنسرح على أن روحه مخنّثة[1].

ونظم الخبزأرزي قصائده ومقطوعاته أيضاً على مختلف البحور، القصيرة منها والطويلة، فقد نظم على الخفيف والبسيط والكامل والمتقارب والوافر والطويل والرجز.

وليس نظم الخبزأرزي على البحور القصيرة، والمجزوءات هي الميزة الفنيّة الموسيقية الوحيدة في شعره، ولكننا نجد في شعره مصادر أخرى للموسيقى هي:

المصدر الأول: اختيار الكلمات والملاءمة بين حروفها وحركاتها ملاءمة تحدث نغماً موسيقياً في شعره؛ من مثل قوله:

لا أستطيع من الضنا شكوى الضّنا ... ويكادُ ما بي أنْ يرقَّ لما بي
لا صبر لي أنى عليكِ تصبّري ... والتيهُ دأبكِ والتذلّلُ دأبي
فخلعتُ في خلعِ العذولِ تجمّلي ... ولبست ثوْبَ السُّقْم تحت ثيابي
لا تمزجوا كأسي فإنّ مدامعي ... تكفي وتفضل عن مزاجِ شرابي[2]

وواضح في هذه المقطوعة المزاوجة بين الكلمات والجمل بكلام عذب، وألفاظ عذبة حلوة، ونلاحظ في هذه المقطوعة، كذلك، تكرار بعض الكلمات ذات النغمة الخاصة في البيت؛ فيتكرر جرسها وتحدث نغماً موسيقياً جميلاً كتكرار: الضنا، وبي في البيت الأول، والصبر في البيت الثاني وكذلك دابك ودابي في الشطر الثاني من البيت نفسه، وخلع وثوب في البيت الثالث ومزج في البيت الرابع، ولا شك أن تردد هذه الأصوات المتماثلة في البيت نفسه تضفي لوناً من الموسيقى على المقطوعة الشعرية.

ولننظر إلى هذه الأبيات ذات الألفاظ العذبة الحلوة الزاخرة بالجناس والطباق:

شاقني الأهلُ لم تشقني الدّيارُ ... والهوى صائرٌ إلى حيثُ صاروا
جيرَةٌ فرّقتهم غُرْبةُ البينِ ... وبين القلوبِ ذاكَ الجوارُ

(1) المرشد إلى فهم أشعار العرب ج1، ص 81.

(2) ديوانه، ص 36.

فأنـــاسٌ رعـــوْا لنـــا حـــين غـــابوا وأنـــاسُ جفـــوُا وهُـــمْ حُـــضّارُ
عرضـــوا ثُـــمّ أعرضـــوا واســـتمالوا ثُـــمّ مـــالوا وأنْـــصفوا ثـــمّ جـــاروا
لا تلمهـــمْ علـــى التَّجَنّـــي فلـــو لَمْ يتجنّـــوا لم يحـــسن الاعتـــذارُ[1]

وقد أحسن الشاعر اختيار ألفاظ هذه المقطوعة، ولاءَم بينها في الحروف والحركات، وقد أحسّ صاحب أنوار الربيع بجمال الموسيقى في هذه المقطوعة فاختارها ضمن المطرب من الأشعار[2]. ومما زاد من جمال هذه الأبيات سهولة مخرج حروف ألفاظها؛ فكلماتها عذبة خفيفة.

وديوان الخبزأرزي زاخر بمثل هذه المقطوعات والقصائد التي تتّسم بالتوافق الصوتي في كلمات أبياتها، ولنستمع إليه في هذه الأبيات التي جعلها مقدمة لقصيدة مدحية، يقول الخبز أرزي:

للعيـــدِ أوْعَـــدني مـــن لَمْ يـــزلْ عيـــدا طوبـــاي إنْ أنْجَـــزَ العيـــدُ المواعيـــدا
فلي مع النّـاس عيـدٌ في الهِـلالِ ولـي وحـدي هـلالٌ وعيـد فيهمـا زيـدا
إنْ مَهّـــدَ الوعـــد للإنجـــاز تمهيـــدا حتّـى أرى شـاهداً فيـهِ ومـشهودا[3]

والحقيقة أن الخبزأرزي قد وفّق في اختيار هذه الكلمات بما أحدث بينها من صلات وثيقة ممّا ولّد عن هذه الصلات لوناً من ألوان الموسيقى الجميلة.

وقد استطاع الخبزأرزي أن يضفي ألواناً موسيقية جميلة على شعره، وذلك بحسن اختياره للكلمات، والملاءمة بين حروفها،ولنقرأ له هذه الأبيات:

نفـــسُ المحـــبِّ دواؤهـــا في دائهـــا
ونعيمهـــا هـــو مـــن مكـــانِ شـــقائها
فمتـى يكـون شـفاؤها مـن سُـقمها
وسـقامُها هـو مـن مكـان شـفائها

---

(1) ديوانه، ص 111 وانظر أنوار الربيع 4/ 99.
(2) علي صدر الدين المدني 4/ 99.
(3) ديوانه، ص 64.

في الحـــبّ ســـحرٌ للعقـــولِ لأنّـــهُ
يغـــشى النفـــوسَ بـــدائها ودوائهـــا

جَفْوُ الهوى يغـذو نفـوسَ ذوي الهـوى
والـــنّفس لا تُغـــذى بغـــير غـــذائها

أهـلُ الهـوى هـم كالريـاحين الّـتي
يبـــدو الـــذبولُ لهـــا لفرقـــةِ مائِهـــا

إنّ الهـوى هـو في اهتـزاز غـصونها
طـــيش الحلـــيم وفي لحـــاظ ظبائهـــا

بـــشعورِها وثغورِهـــا ونُحورهـــا
وخـــصورِها أبلينَنـــا ببلائهـــا

بخـــدودِها ونهودِهـــا وقُـــدودِها
نهـــوى بأنفـــسِنا إلى أهوائهـــا

أعطافُهـــا أرْدافُهـــا أطرافُهـــا
لتـــبينُ مـــن قـــدامها وورائهـــا[1]

لقد استوفى الخبزأرزي تفوقه الموسيقي في هذه الأبيـات سـواء مـن حيـث التـصريع الذي أعجب به علماء البلاغة، أو من حيـث تكـرار الحـروف في البيـت الواحـد؛ فقـد كـرّر حرف الهاء مرّتينْ في الشطر الأول من البيت الأول، وكررها ثـلاث مـرات في الـشطر الثـاني ثم كرر الحرف نفسه في البيت الثاني أيضا، ولا شك أنّ هذا التكرار يحدث تلاؤماً صوتياً بـين الألفاظ، وحتى يستكمل عناصر الموسيقى أتـى بهـذا الطبـاق الجميل،فـدواؤها مقابـل دائهـا ونعيمها مقابل شقائها، وشفاؤها مقابل سقمها، وسـقامها مقابـل شـفائها. ولننظـر إلى ثلاثـة الأبيات الأخيرة وهذه التقسيمات التي أجراها في المصاريع الأولى منها وكأنها تكوّن مع قافيـة القصيدة أسرة واحدة من التوافق الصوتي.

المصدر الثاني: لجوء الشاعر إلى التقـسيمات الداخليـة في البيـت فيجتمـع في البيـت الواحد لونان من الموسيقى، لون يصدر عن الوزن العروضـي وتفعيلاتـه، وآخـر يـصدر عـن التقسيمات الدّاخلية التي يجريها الشاعر داخل البيت، كما جاء في قوله:

---

(1) ديوانه، ص 19.

نـورٌ علـى حُـسْنٍ علـى طيـبٍ علـى ... لـيـنٍ تـراهُ فكيـف لا يتحيّـرُ[1]

ومثل قوله:

أنـتَ غـزالٌ وأنـت غُـصنٌ ... وأنـتَ ليـلٌ وأنـتَ بـدرُ[2]

وقوله:

يبـدو فتحـسبه بالحـسن معتجـراً ... بالطيـب مرتـدياً بـاللّين مـؤتزرا[3]

وقوله:

ومـن الوجـوه إلى العيـو ... نِ إلى الخُـدودِ إلى الثغـور[4]

وقوله:

فيا شَكْلَ ذا خَصْراً ويـا نَيْـلَ ذا رِدفـاً ... ويا حُسْنَ ذا خَدّاً ويـا نُبْـلَ ذا طرفـا[5]

ومن ذلك أيضاً قوله:

عجبـتُ مِـنْ صَـرْفِهِ مِـنْ هجـرِهِ ... ومِـنْ تجنّيـه ومـن كـبره[6]

وقوله:

هـذا اعتقـادي ومجهـودي ومعتقـدي ... حتى الممات وفي يوم الحساب غدا[7]

وقوله:

مَنْ مُنْقِـذي مِـنْ جـورِ حُكْمِـكَ في الـ ... ـهوى من راحِمي من شافِعي من مُسْعدي[8]

---

(1) ديوانه، ص 109.

(2) نفسه، ص 100.

(3) نفسه ص 131.

(4) نفسه ص 96.

(5) نفسه ص 240.

(6) نفسه ص 183.

(7) نفسه ص 73.

(8) نفسه ص 77.

وكما جاء في قوله:

تمكّنْتَ مِن قلبي وجسمي ومهجتي
وعذّبتني بالْهَجْرِ والتّيه والصّلَفْ[1]

ومثل قوله:

غَدَرْتَ ولم تغدُرْ وَخُنْتَ ولم تُخُنْ
ومرّرْتَ ما احْلَوْلى وكدّرتَ ما صَفا[2]

ومثل قوله:

حلو الشمائل ناعم الأعطاف   عدل القوام وخائر الأطراف[3]

أما المصدر الثالث فهو:

التوازن الصوتي، وهو لون من الجناس مثل قول الخبزأرزي:

وردُ الخدودِ ورُمان النهودِ وأعْـ   ـطافُ القدود تُصيدُ السّادة الصّيدا

وهنا يحدث التوازن الصوتي (ورد الخدود – رمان النهود- أعطاف القدود)

ومثل قوله:

ومن الحقائق والخصور   إلى الترائب والنحور
ومن الوجوه إلى العيون   إلى الخدود إلى الثغور

فالتوازن الموسيقي هنا اعتمد على إيراد بعض الأصوات، أي أن الشاعر أفاد من المجانسة التي يشترك فيها اللفظان بأكثر من صوت (الحقائق – الترائب)، (الوجوه – العيون – الخدود – الثغور) فكان هذا التردد الصوتي فضلا عن التردد الذي يحدثه التوازن الازدواجي بين كل لفظين[4].

---

(1) نفسه ص 225.

(2) نفسه ص 247.

(3) نفسه ص 258.

(4) انظر في ذلك: رماد الشعر د. عبد الكريم راضي جعفر ص 316

ومثل قوله:

أشمـــــــــس أم بـــــــــدور   أم عيـــــــون أم ثغـــــــور

فصيغة التوازن في : أشمـوس أم بـدور، تـساوي: أم عيـون أم ثغـور، ومنهـا يكـون الصدر عروضيا وصرفيا متساويا تماما مع العجز، وقد سمى عبد الكريم جعفر هـذه المجانـسة بالتوازن العروضي والصرفي[1].

ومثل قوله:

يبـــدو فتحـــسبه بالحـــسن معتجـــرا   بالحـــــــــسن مـــــــــؤتزرا

وهذا كثير في شعره. أما المصدر الرابع فهو التصريع:

[1] السابق 317

التصريع:

التصريع كما عرّفه علماء البلاغة أن يكون كل مصراع في البيت مستقلاً بنفسه في فهم معناه غير محتاج إلى صاحبه الذي يليه؛ أو أن يكون المصراع مستقلاً بنفسه، فإذا جاء الذي يليه كان مرتبطاً[1]. وهو عند صاحب العمدة "هو ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه: تنقص بنقصه، وتزيد بزيادته..."[2] ويرى صاحب كتاب الطّراز[3] أنّ التصريع في الشعر نظير التّسجيع من الكلام المنثور "ومعناه في الشعر أن يكون عجز النصف من البيت الأول من القصيدة مؤذن بقافيتها، فمتى عرفت تصريعها عرفْتَ قافيتها"[4] وقد أجمع النقاد القُدامى على أنّ فحول الشعراء والجيدين منهم يتوخّون ذلك، ومن استعمله من الشعراء فإنّه دالّ على سعته في فصاحته واقتدار منه في بلاغته[5]، وأجمعوا – كذلك – على أنه لا ينبغي للشاعر أن يُكْثِر منه في القصيدة نفسها؛ لأن الإكثار منه يكسب اللفظ برودة والمعنى ركاكة[6]، وعوّل النقاد على أهمية التصريع في أول القصائد. يقول ابن سنان الخفاجي: "إنّ التصريع يحسن في أول القصيدة ليميز بين الابتداء وغيره، ويفهم قبل تمام البيت رويّ القصيدة وقافيتها"[7]. وعندما بدأت في تحقيق ديوان الخبزأرزي وجمع شعره لفت انتباهي هذه الظاهرة، وكثرتها في شعره كثرة مطلقة؛ وعندما حاولت استخراج نسبة القصائد والمقطوعات المصرّعة وجدت أنّ نسبتها تزيد على خمسين بالمئة، وهذا يدلّ على أنّ الخبزأرزي كان يفهم صنعة الشعر فهماً تاماً، ومن هذا التصريع في مطلع قصيدة لامية:

إقبالُهنّ بشارةُ الإقبالِ   وحضورُهنّ حضورُ حُسْنِ الحالِ[8]

---

(1) المثل السائر لابن الأثير 1/ 338، وانظر نقد الشعر ص 86.
(2) ابن رشيق 1/ 173.
(3) يحيى بن حمزة 3/ 32.
(4) نفسه.
(5) انظر: نقد الشعر ص 86، وكتاب الطراز 3/ 32.
(6) كتاب الطراز 3/ 32، وسر الفصاحة ص 189.
(7) سر الفصاحة ص 189، وانظر منهاج البلغاء 283.
(8) ديوانه ص 305.

وقوله في مطلع قصيدة رائية:

شـاقني الأهـلُ لـمْ تـشقُني الـديارُ
والهـوى صـائر إلى حيـثُ صـاروا[1]

وقد أحسن في تصريعه في مقطوعته التائية التي يقول في أوّلها:

غُـصَصُ الفـراقِ مُـزِجْنَ بالحـسراتِ
وفـراق مَـنْ أهـوى فـراقُ حيـاتي[2]

وفي قصيدته الهمزية التي بدأها بقوله:

نـسيمُ عـبيرٍ في غلالـةِ مـاءِ   وتمثـالُ نـورٍ في أديـمِ هـواءِ[3]

ومثل هذا قوله في مطلع مقطوعته الدالية:

قد كنتُ أطلبُ مِنْكَ الوصـلَ مُقْتَصِدا
فَصِرْتُ أطْلبُ منكَ الهجـرَ معتمـدا[4]

والحقيقة أنّ التصريع في الأبيات السابقة يعـد أعلـى مراتـب التـصريع؛ لأن الدرجـة الأولى في مراتب التصريع "أن يكون كلُّ مصراع من البيت مستقلاً بنفـسه في فهـم معنـاه غـير محتاج إلى صاحبه الذي يليه مع ذكر فاصلة بينهمـا دالـة علـى انقطاعـه عنـه"[5]، وفي الأبيـات السابقة نرى أنّ كل مصراع في كل بيت منها مفهوم على الاسـتقلال مـن غـير حاجـة لـه إلى الآخر في لفظ ولا معنى مع حصول الفاصلة بينهما، وهي الـواو في الأبيـات الأربعـة الأولى، والفاء في البيت الخامس.

ومن قصائده الطويلة التي كرّر فيها التصريع، رائيته التي ابتدأها بقوله:

---

(1) نفسه ص 111.

(2) نفسه ص 44.

(3) نفسه ص 17.

(4) ديوانه ص 63.

(5) دار الطراز ص 33.

بَـــدَتْ لـــوداعٍ والتّجَمّـــلُ سِـــتْرُها
فــزالَ لإشْــفاقِ التفــرّق هَجْرُهــا[1]

ثم قال:
ضـياءٌ كـأنَّ الـصُّبْحَ يَجْلـوهُ وَجْهُهـا
لَنـا وكـأنّ اللّيـلَ يُدْجيـهِ شَـعْرُها

ثم قال بعد بيتين:
لقـدْ زالَ طيـبُ العـيشِ عنّـي لِفَقْـدِها
إذا مَا أسَاءَتْ كـانَ في الحُسْنِ عُـذْرُها

ثم قال بعد بيت:
جَـرَى مـاءُ جَفْنَيْهـا علـى نـارِ خَـدِّها
فــصارَ لظاهــا في فــؤادي وَجَمْرُهَــا

ثم قال بعد أبيات:
وإنْ كُنْـتَ في شَـرْخِ الـشَّبابِ هِلالَهـا
فإنَّــكَ في مــستكمل القــدر بــدرُها

ثم قال بعد أبيات:
يلقّــى القــوافي بالأيــادي فإنّهــا
مــآثرُ لا يعفــو علــى الـدَّهْرِ إثْرُهـا

ويقول بعد بيتين:
فــدونَكَها بِكْــرُ المعــاني رَفَعْتُهــا
عَرُوساً ومِـنْ خَيْـرِ العـرائِسِ بِكْرُهَـا

ومن ذلك قوله في مطلع قصيدة فائية:
بَـيْني وَبَيْنَـكَ يـا ظَلُـومُ الموقِـفُ
الحـاكمُ العـدلُ الجـوادُ المُنْـصِفُ[2]

(1) ديوانه ص 124.
(2) ديوانه ص 232.

ويقول في القصيدة نفسها بعد أبيات:

بـــشَمائِلٍ أغْـــصَانُها تَتَعطَّـــفُ ورَوادِفٌ أرْدافُهــــا تَتَبــرَدَّفُ[1]

وقال في مطلع قصيدة أخرى:

أعـاذِلُ حَـسْبُ المرْءِ بالـشَّيْبِ عـاذِلا

وأفْحَشُ جَهْلٍ أنْ يُرى الكَهْـلُ جـاهِلا

وقال بعد أبيات:

لأنَّ ريـاحَ الـشَّوْقِ هَبَّـتْ شَـمَائِلا

فغــادَرَتْ أغْــصَانُ الحيــاةِ ذَوابِــلا

ثم قال بعد أبيات:

لـئن أنْـتَ جَـرَّدْتَ العزيمـةَ في العُـلا

لقـدْ جَـرَّدَتْ فيهـا تَنُـوخُ المنـائِلا[2]

ومثل أخير على تكراره التصريع في القصيدة نفسها قوله في مطلع قصيدة لامية:

سَـــنَةٌ يُـــزَادُ بهـــا الأمـــيرُ جَمَـــالا

إقْبالُهـــا يُنْمِـــي لَـــكَ الإقْبـــالا[3]

ثم قال بعد أبيات:

فَفَــضَلْتُهم عنــدَ الخِطَــابِ مَقــالا وفَــضَلْتُهُمْ عِنْــدَ الخُطــوبِ فِعَــالا

وهذا كثير في ديوانه، ولا أريد الإكثار من الأمثلة التي تـدلّ علـى إجادتـه للتّـصريع؛ فيكفي ما أوردت، ولكن الطريف أننا نجد عنـده بعـض المقطوعـات الـتي التـزم التـصريع في أبياتها كلها، من مثل قوله[4]:

وروْضَـــةٍ غَرَسْـــنَا يُغَرِّسُـــها حريرُهـــا مُـــشْرِقٌ وسُنْدُسُـــهَا

---

(1) نفسه.

(2) نفسه ص 292.

(3) ديوانه ص 290.

(4) نفسه ص 194.

يحكــي خــدودَ المــلاحِ ثامرُهــا　　　وأعــينُ الغانيــاتِ نَرْجِســُهَا
إذا نــسيمُ الريــاحِ قابَلَهــا　　　طَيِّــب مــا بَيْنَنــا تنفّــسها
تــزدادُ طيبــاً بمــن يحرّكهــا　　　وعــارفٌ حَقَّهــا مُنَكّــسُها

وفي آخر حديثنا عن التصريع في شعر الخبزأرزي لا بدّ من الإشارة إلى أنّ التصريع يزيد من الكثافة الموسيقية، وقد تنبّه حازم القرطاجني إلى الناحية الموسيقية في التصريع "لأنّ له في أوائل القصائد طلاوة وموقعاً من النفس لاستدلالها به على قافية القصيدة"[1]، وقد أشار الدكتور شوقي ضيف إلى أنّ التصريع في مطالع القصائد العربية هو من بقايا الغناء والموسيقى[2]. ولا شك أنّ التصريع قد أضفى على شعر الخبزأرزي جمالاً موسيقياً يشبه ذلك الجمال الذي نحس به عند قراءتنا شعر البحتري الذي كان يأتي بأكثر قصائده مصرّعه المطلع، والذي يؤكد قولنا هذا أنّ شعر الخبزأرزي كان في أكثره ممّا يُغَنّى فيه، يقول المسعودي "وأكثر الغناء المُحْدَث في وقتنا هذا من شعره"[3].

واختتم حديثي عن الموسيقا في شعر الخبزأرزي بهذه المقطوعة الطريفة، وهي على سذاجتها تجعل القارئ أو السامع مع تذكره بشعر هذا الشاعر الأمي، ومن ثم لا يملك إلاّ الإعجاب بها:

كــلّ أيامــك هجــرُ　　　ونــصيبي منــك غَــدْرُ
واحتمــالي عنــك فَــرْضٌ　　　في الهــوى لــو كــانَ صبرُ
كلمــا أذنبــتَ ذنبــاً　　　كــان في وجهــك عُــذْرُ
قــدْ تَــسَتَّرتَ ولكــن　　　لــيس عنــد العــشق ســترُ
غرَّنــي ليثُــك في القــو　　　ل وتحــت اللــين نفــرُ
ومعــاني الحــب لــي تــشـ　　　ـهــدُ أنّ العــشْقَ ســحرُ"[4]

---

(1) منهاج البلغاء ص 283.
(2) العصر الجاهلي ص 194.
(3) مروج الذهب 4/ 353.
(4) ديوانه ص 101.

7- اللغة في شعر الخبزأرزي:

إذا ألقينا نظرة عامة على شعر الخبزأرزي، فإننا نلاحظ تلك السهولة المفرطة التي تميز ألفاظه، فهو لا يستخدم الصعب من الألفاظ،وإنما يعمد إلى اللفظ السهل المتداول، ويكاد شعره يخلو من الجزالة اللفظية، ولعل هذا ما يناسب طبيعة الشاعر الفنية والثقافية؛ فقد كان أمّياً لا يقرأ ولا يكتب، كما كان شعره – في معظمه – ممّا يغنى فيه، والغناء يتطلب ألفاظاً سهلة ناعمة، ولنستمع إلى قوله:

كم تنعّمتُ في الهوى كم شقيتُ ... كم وكم مِتُّ فيه ثم حييتُ
إنْ كان ربما سخطت على الدهـ ... ـرِ لذنبٍ فطالما قد رضيتُ
نغّصَ اللهُ حاسداً نغّصَ العيـ ... ـشَ وقد طال للحبيب المبيتُ
ما يريدُ الحسودُ منا، ولكنْ ... كلّ شيءٍ من المقيت مقيتُ[1]

فنرى كلماته، رقيقة سهلة غير متكلفة، وتكاد ألفاظ الخبزأرزي تقترب اقتراباً شديداً من لغة النثر اليومية من مثل قوله:

أما تُبصرُ دمع العيـ ... ـن يشكو من على الخدّ؟
إذا ما سهّد القلب ... فإنّ القلب يستعدي
وما يشكو الذي يلقا ... ه إلاّ من ورا جهدِ
فياليتك في قلبي ... عسى تنظر ما عندي
سأرعاك على القربِ ... وأرعاك على البُعدِ
فكنْ لي كيفما أحبْبـ ... ـتَ من وصلٍ ومن صدٍّ
فلومتّ من الوجد ... لما حلتُ عن العهدِ
طلبت الوصل لي وحدي ... كذا أحرمتهُ وحدي[2]

(1) ديوانه ص 42.

(2) نفسه ص 74.

فهذه مقطوعة ذات ألفاظ لينة ناعمة، مأخوذة من لغة الحياة اليومية، وهـي مفرطـة في السهولة، وليّنة في التعبير، فهي تكاد تكون نثراً لولا الوزن والقافية، ويتضمن شعره كثيراً مـن العبارات المألوفة التي تجري على ألسنة العامة من مثل "تراني أحبك طول الحياة" في قوله:

تراني أحبك طول الحياة   لساناً بما تاه أو شَتّقَه[1]

ومثل عبارة "شيبت راسي" في قوله:

فبحسن الدّلالِ أمَّرْتَ قلبي   وبسوء الفعالِ شيبت راسي[2]

وفي قوله:

ذِكراكَ أسلمني إلى الوسواس يا   سيدي وهواك شيّب راسي[3]

ومثل عبارة "وإن لم تعرف فاعرف" في قوله:

ولم لم يكن لي حاجة فيك لم أهن   لديكِ وإن لم تعرفي ذاك فاعرفي[4]

ومثل عبارة "لأنّي توقعت" في قوله:

لقد عاد وصلك مستطرفاً   لأنّي توقعتُ منكَ الجفا[5]

ومثل عبارة "يا أحسن الناس" في قوله:

لم أطقْ أن أراكَ يا   أحسنَ النّاس مدنفا[6]

ومثل عبارة "أنت حياتي" في قوله:

أنتَ حياتي وأنت لي تلفٌ   وفيك لي نعمة وفيك بلى[7]

ومثل عبارة "يا منتهى مناي" في قوله:

---

(1) نفسه ص 251.

(2) نفسه ص 206.

(3) نفسه ص 211.

(4) نفسه ص 256.

(5) نفسه ص 250.

(6) نفسه ص 246.

(7) نفسه ص 298.

فقلـــتُ: يـــا منتهـــى منـــايَ ومـــن بـــه كـــان التماســـي[1]

ومثل لفظة "خلّصْني" في قوله:

قتلـــتُ بـــذنبي في الهـــوى وعذابـــه فيـــا ربّ خلـــصّني فلـــستُ أعـــودُ[2]

ومثل تعبير "من غيّرك" في قوله:

وقـــدْ عهـــدناك علـــى حالـــةٍ محمـــودة العهـــد فمـــنْ غيَّـــرَك[3]

ومثل تعبير "يا سكني" في قوله:

لا تخلـــف الوعـــد لـــي أيـــا ســـكني فـــإنّ في خُلفـــه لـــيَ التلفـــا[4]

ومثل: "حبيبتي" و"يا سؤال قلبي" و"قرة عيني" في قوله:

حبيـــبتي لِـــمْ حجبـــتِ عـــن بـــصري مـــا كـــان يُخْشى عليـــكِ مـــن نظـــري

هـــل كـــان في نظـــرة أعـــيش بهـــا يـــا ســـؤلَ قلـــبي عليـــكِ مـــن ضـــررِ

قُـــرّةَ عَـــيْنِيّ مُنّـــي بقبلـــة منـــكِ فقلـــبي في أعظـــم الحـــذرِ[5]

ومثل "أهلاً وسهلاً" في قوله:

أهـــلاً وســـهلاً بالحبيـــب فإنّـــه بحـــضوره كـــل المحاســـن تحـــضر[6]

ومثل لفظة "عيّروني فيك" في قوله:

إذا مـــا عيَّرونـــي فيـــك قـــالوا حبيبـــك لا يـــزورُ ولـــن يُـــزارا[7]

ومثل "طافح العينين" في قوله:

فلـــو ترانـــي تلقـــى بـــابَ داركـــم كـــأنّي ديـــدبانٌ أحـــرس الطّرقـــا

---

(1) نفسه ص 209.

(2) نفسه ص 60.

(3) نفسه ص 137.

(4) نفسه ص 249.

(5) نفسه ص 159.

(6) نفسه ص 109.

(7) نفسه ص 134.

مُــدَلَّهاً طــافحَ العيــنين تحــسبه بغـصّة الـشجو والعـبرات مختنقـا[1]

ومثل عبارة "طبيب القلوب" في قوله:

يــا طبيــبَ القُلــوبِ قلــبي عليــلٌ فَتَلَطَّـفْ وافطـنْ لـبعض المعــاني[2]

وهذا كثير في شعره.

ولننظر إلى هذه المقطوعة التي تكاد عباراتها تكون مأخوذة من ألفاظ عامة الناس:

قد كنت أطلب منك الوصـل مقتـصدا فـصرتُ أطلـب منـك الهجـر معتمـدا
رأيــت رأيــك ممّــا كنــت آملُــه علـى العبـاد وطـول الهجـر معتقـدا
فصرتُ أهوى الجفا إذا صرت تعشقه فـازددْ صـدوداً وإن لم تُبْـقِ لـي جَلَـدا
والله لوْ سَرَّ منـك الـنفس قطـع يـدي لمــا انثنيــتُ علــى قــدٍّ يقــدُّ يــدا
لو كان يرضيك من روحي عمى بـصري قلعــت عــيني حتــى لا تــرى أحــدا
أو كــان يرضــيك إلاّ أن تــرى قــدمي تمــشي علــى الأرض مــا قاربتــه أبـدا
وليتكَ الحكم في روحـي وفي جـسدي فـأمضِ حكمـك غيّـاً كـان أو رَشَـدَا
اردد جفـاك فمـا لـي فيـكَ مِـنْ حِيَـلٍ عمّــا قليــلٍ تــري لــي فيـك معتقـدا
هــذا اعتقــادي ومجهــودي ومقــدرتي حتـى الممـات وفي يـوم الحـساب غـدا

---

(1) ديوانه ص 266.

(2) نفسه ص 342.

عليـــك مـــني ســـلامٌ لا انقــضاء لـــه

فلـــست أول مجلـــود قـــضى كمـــدا[1]

ونلاحظ في ألفاظ شعره ظاهرة غير مألوفة في شعر الأقدمين، وهي كثرة مـا يـصطنع فيه من مراسم التأدّب في المخاطبة مثل لفظة "سيدي" في قوله:

ســـــــيدي دعـــــــني أداري فعـــــسى أكفـــــى حـــــذاري[2]

وقوله:

يـــا ســـيدي كيـــف كنـــت في ســـفرك مـــا زال قلـــبي يَهـــيمُ في أثـــرِكْ[3]

وقوله:

مـــــا علـــــى البـــــدر ســـــيدي مـــــن كـــــسوف تطوفـــــا[4]

وقوله:

ســـيدي أنـــت معـــدن الحـــسن مـــا ضـــرّك لـــو كنـــت معـــدن الإحـــسانِ[5]

وقوله:

ســـيدي كـــم يكـــون هـــذا التّعـــدّي إنّ مِـــنْ ذوبِ ذا تـــشيب النّواصـــي[6]

ومثل لفظة "مولاي" في قوله:

مـــــولاي تمطلـــــني غـــــداً فغـــــدا وأرى غـــــداً لا ينقـــــضي أبـــــدا[7]

وفي قوله:

مـــولاي لفظـــك في خطـــابِ نـــاقصٍ لكـــنْ ضـــميرك في وفـــاءِ زايـــدِ[8]

---

(1) ديوانه ص 63.
(2) نفسه ص 170.
(3) نفسه ص 180.
(4) نفسه ص 246.
(5) نفسه ص 342.
(6) نفسه ص 218.
(7) نفسه ص 62.
(8) نفسه ص 78.

وفي قوله:

مـــولاي غيَّـــركَ التوثّـــقُ في الهـــوى عنّـــي لأنّـــي عنـــك لا أتغيّـــرُ[1]

وفي قوله:

مـولاي لـو وَصَـفَتْكَ أفـواهُ الـورى

ُطـراً لكنـت تجـلّ عمّـا يوصـفُ[2]

وفي قوله:

قـلْ لمـولاي: يـا بـديعَ الزّمـان يا هـلال الـدُّجى على غـصن بـان[3]

وفي قوله:

مـولاي عبـدك صـار مـذ فارقتـه ممّـا بـه أحدوثـة للنـاسِ[4]

وهذا كثير في ديوانه.

ونجد في شعره أيضاً بعض الأمثال التي تتداولها ألسنة العامة من مثل قوله:

ظـبيٌ تفلّـت مـن صـيدي وأوقعـني في صـيده إنّ في عينيـه لـي شـركا[5]

وهذا نظم للمثل الشعبي "تيجي تصيده يصيدك".

ومثل قوله:

لمكـان ألـفٍ لا لخِـلٍّ واحـدٍ لكـنّ ألفـاً يُكرمـون لِواحـدِ[6]

ونجده يخرج في بعض الألفاظ على المألوف في قواعد اللغة العربية ليستكمل الشعر في الغالب "صورته الشعبية وغايته في السهولة والرقة والوضوح"[7] مثل حذف الهمزة بعد المد، فيقول "الأطبا" بدلا من "الأطباء" كما في قوله:

---

(1) نفسه ص 103.

(2) ديوانه ص 233.

(3) نفسه ص 342.

(4) نفسه ص 211.

(5) نفسه ص 279.

(6) نفسه ص 79.

(7) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ص 556.

لا تـــسألوا عـــني الأطّبـــا فـــإنني عـــارف طبـــيبي[1]

ويقول "ورا" بدلاً من "وراء" كما في قوله:

ومـــا يـــشكو الـــذي يلقـــا هُ إلاّ مـــــن ورا جهـــــدِ[2]

ويقول "الدّوا" بدلاً من "الدّواء" كما في قوله:

دوائـــي في يـــدي مـــن كـــان داءً فقـال: ومـا الـدوا؟ قلـت: الحبيـب[3]

ويقول "الرجا" بدلاً من "الرجاء" كما في قوله:

أنـــا بالرجـــا واليـــأسِ حـــيّ ميّـــت حتـــى أرى إنجـــاز ذاك الموعـــدِ[4]

وكما في قوله:

مـــاذا يـــضرّك لـــو رثيـــتَ لعاشـــقٍ مـــتحيرٍ بـــين الرجـــا واليـــأس[5]

ويقول "الثّنا" بدلاً من "الثّناء" كما في قوله:

وحـــسناك تكـــسوك حـــسن الثّنـــا ونعمـــاك تُبقـــي عليـــك الـــنّعم[6]

ويتوسع الخبزأرزي كذلك في حذف الهمزة عموماً مثل: "كـاس" و "يـاس" و "راس" بـدلاً من "كأس" و "يأس" و "رأس" كما في قوله:

ســـقيتني كاســـاً فأســـكرتني ومنـــك ســـكري لا مـــن الكـــاسِ

أنـــا غريـــب والهـــوى قـــاتلي والقلـــب مملـــوء مـــن اليـــاسِ

حتـى متـى أخفـي عليـك الهـوى؟ يـا دولـتي عـودي مـن الـرّاسِ[7]

---

(1) ديوانه ص 38.

(2) نفسه ص 74.

(3) نفسه ص 27.

(4) نفسه ص 77.

(5) نفسه ص 211.

(6) نفسه ص 311.

(7) نفسه ص 210.

ونجده يحذف الهمزة لا في الصيغ الدارجة فحسب، بل كذلك في مثل "قرا" بدلاً من "قرأ" و"القراة" بدلاً من "القراءة" و"القران" بدلاً من "القرآن"، ويتضح هذا في قوله في هجاء أحد القرّاء:

يقول له الشيطان عند قراته ... أجدت بما حرّفت من محكم الذكر
إذا ما قرا حرفاً لتنفيس حفظه ... فمحفوظه أن يختم الحمد في شهر
وتكذيبُ يُسْرٍ بالقران قرانه ... لما قد يقاسي في القراة من العسرِ
ينازع في "والنازعات" إذا قرا ... ويعصر منه العين في عين "والعصر"
إذا ما قرا "والفجر" في عتماته ... تراه يقاسيها إلى مطلع الفجر
قرا الحشر يوماً بالغداة مصليّاً ... فطوّل حتى خلتها وقفة الحشر
يزهّدُ في الإسلامِ قبحُ قراته ... فيكسب فينا الإثم من موضع الأجرِ[1]

ونجد الخبزأرزي، في بعض تعبيراته، لا يبالي بحركات الإعراب؛ فهو يقول في إحدى مقطوعاته:

سيدي لمَ خدعتني بالتمني ... لمَ أعْرَضْتَ - إذ تمكنت - عني[2]

فقد سكّن ميم لِمَ بعد أن حذف ألف "ما" بعد دخول لام الجر عليها.

وقد تأثّرت لغة الخبزأرزي في عبارتها وصورها بالحياة المتحضرة؛ فشبه وجه حبيبه بالورود والنرجس، كما جاء في قوله:

لَكَ وجْهٌ راقَ طَرْفي ... ببياضٍ واحمرار
رَوْضَةٌ مِنْ ياسمينٍ ... حَوْلَ أَصْلَيْ جلّنارِ[3]

---

(1) ديوانه ص 142.
(2) نفسه ص 327.
(3) ديوانه ص 171.

ومثل قوله:

في وَجْهِـــةِ أَبَـــداً ربيـــعُ محاسِـــنٍ   في وجنتيـــهِ الزهـــرُ وردُ قطـــافِ[1]

وقوله:

وإذا تُـــوَرّدَ خَـــدّهُ فكأنّمـــا   يُبْـدي جَنِـيٌّ الْـوَرْدِ سَـاعةَ قَطْفِـهِ[2]

وقوله:

سَـلْ وَرْدَ خَـدِّكَ أي حـسنٍ غَرْسُـهُ
إنّـا نـراهُ يعـودُ سـاعةَ يُقْطَـفُ[3]

وكما جاء في قوله:

يـا مـن تنزهنـا حـدائق وجهـهِ   في روضـــةٍ محفوفـــةٍ بحـــدائقِ[4]

وفي قوله:

بـــين عينيـــهِ روضـــةٌ   نُزْهَـــةٌ للخلائـــق[5]

وكما جاء في قوله مقارناً بين ورد الحبيب والورد الحقيقي مفضّلاً ورد الحبيب معللاً لذلك بأن الورد الحقيقي مبذول للجميع:

فـالوردُ مـن وجنـةِ المعـشوق صـنعته
والطّيـب مـن نكهـة المعـشوق معلـولُ

وردُ الحبيـبِ مـصونٌ لـيس يَقْطفـهُ
إلاّ العيـون وورد الـروضِ مبـذولُ[6]

---

(1) ديوانه ص 258.
(2) نفسه ص 263.
(3) نفسه ص 233.
(4) نفسه ص 273.
(5) نفسه ص 265.
(6) نفسه ص 286.

وهذا كثير في شعره.

والطريف أنّ الخبزأرزي يكثر من استخدام بعض الألفاظ التي تتصل بمهنته من مثل النار والجمر، كما جاء في قوله:

كـذا مَـنْ رَمَـى يَوْمـاً شـرارات لَفْظِـهِ
تلقّتـه نـيرانُ الجوابـاتِ تـشعلُ[1]

وفي قوله:

لـهُ مُقْلَـةٌ مُـذْ غِبْـتَ لم تطعـم الكَـرى
وَقَلْـبٌ علـى جَمْـرِ الْغَـضَا يَتَقلَّـبُ[2]

وقوله:

تُغْني بوجهكَ عـن شَـمْسٍ وعَـنْ قَمَـرٍ
ونـارُ خـدّيْكَ تُغْنينـا عـن الـسرجِ[3]

وقوله:

في الْقَلْـبِ مِـنْ حَـرِّ الـصّبابَةِ نـارُ
جَمْـرٌ عليْـهِ مَهابَـةٌ ووقـارُ[4]

وقوله:

لَوْ تقدحُ النّـارُ مِـنْ خدّيْـهِ لانْقَـدَحَتْ
أَوْ يقطـر المـاءُ مـن أطرافـه قطـرا[5]

---

(1) نفسه ص 462.

(2) نفسه 24.

(3) نفسه ص 47.

(4) نفسه ص 116.

(5) نفسه ص 131.

وقوله:

جـرى مـاءُ جَفْنَيْهـا علـى نـارِ خَـدِّها

فـصارَ لظَاهـا في فـؤادي وجَمْرُهـا[1]

وقوله:

للـــهوى في جـــوانحي نـــارُ شَـــوْقٍ

كـــلَّ يـــومٍ يزيـــدُ فيـــه احْتراقـــا[2]

وقوله:

إنّـــي أمَـــسُّ جـــوارحي فأظنّهـــا

جَمْـــراً تـــأجَّجَ في لَظَـــى بُرَحائِهـــا[3]

وكما جاء في قوله أخيراً:

أجنّـــة وَصْـــلٍ ترتقـــي في نعيمهـــا

أو نار صـدودٍ تـصطلي في سـعيرِها[4]

وهذه الأبيات والمقطوعات الـتي ذكرتهـا هـي أبيـات ومقطوعـات ذات ألفـاظ لينـة ناعمة مأخوذة من لغة الحياة اليومية، وهي مفرطة في السهولة وليّنة في التعبير تكاد تكون نثـراً لولا الوزن والقافية.

وربما ساعد هذا على أن لاقى شعرُه في مدينته رواجاً كبيراً، وذاع صيته ذيوعاً قويـاً، والخبزأرزي يتناول الحياة التي يعرفها من واقع ممارسته للغة الشائعة في عصره.

وهو أول شاعر عربي تتسم أشعاره بالرقة واللطف والملاحة والسهولة، وقـد سـبقه أبو العتاهية إلى شيء من هذا، ومعظم شعره إن لم يكن كله، من هذا النوع الذي يكـاد يكـون

(1) نفسه ص 124.

(2) نفسه ص 268.

(3) نفسه ص 19.

(4) نفسه ص 188.

عامياً، ولكنه صحيح فصيح، وهو بذلك قد سبق البهاء زهير (المتوفى سنة 656هـ) بأكثر من ثلاث مئة سنة، ومعظم شعره جاء عفو الخاطر وطوع البديهة.

يقول الدكتور عبد الكريم اليافي في كتابه القيم "دراسات فنية في الأدب العربي"[1]، "وقد انتبه النقاد العرب لهذا النوع السهل من البيان ودعوه بالسهولة، يقول ابن حجة الحموي في خزانة الأدب: السُّهولة ذكرها التيفاشيّ مضافة إلى باب الظرافة، وشركها قوم بالانسجام، وذكرها ابن سينان الخفاجي في كتاب "سر الفصاحة؛ فقال في مجمل كلامه: هو خلوص اللفظ من التكلف والتعقيد والتعسّف في السّبك وقال التيفاشي: السهولة أي يأتي الشاعر بألفاظ سهلة تتميز على ما سواها عند من له أدنى ذوق من أهل الأدب، وهي تدل على رقة الحاشية، وحسن الطبع، وسلامة الروية...".

وبشكل عام فيتصف شعره بسلامة اللغة والتعبير، ويمكن القول: إن الشاعر الذي يكتب شعره بهذا الوضوح، وهذه السهولة هو شاعر فهم فنه، وفهم صناعته، على الرغم من أنه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب.

---

(1) ص 37

8- التكرار:

وقد أشار إليه النقاد القدماء مثل ابن معصوم الـذي عرفـه بأنـه "تكريـر كلمـة فـأكثر بالمعنى واللفظ لنكتة إما للتوكيد، أو لزيادة التنبيه، أو للتهويل، أو للتعظـيم، أو للتلـذذ بـذكر المكرر"[1].

وقد أشار ابن الأثير في كتابه "المثل السائر" إلى التكرار بقوله "اعلم أن المفيد من التكـرار يأتي في الكلام تأكيدا له وتشييدا من أمره، وإنما يفعـل ذلـك للدلالـة علـى العنايـة بالـشيء الذي كررت فيه كلامك، إما مبالغة في مدحه، أو في ذمه، أو غير ذلك" أما عن مكانـه، فيقـول "ولا يأتي إلا في أحد طرفي الشيء المقصود بالذكر، والوسط عارٍ منه، لأن أحـد الطـرفين هـو المقصود بالمبالغة إما بمدح، أو ذم، أو غيرهما، والوسط ليس من شرط المبالغة"[2].

وقد قرر صاحب العمدة بأن التكرار يقع في الألفاظ والمعاني ولكنه أكثر مـا يقـع في الألفاظ، وإذا وقع في اللفظ والمعنى، "فذلك الخذلان بعينه"[3].

وقد تحدث النقاد المحدثون كثيرا عن التكرار الذي أصبح ظاهرة موسـيقية ولفظيـة في الوقت نفسه، وكان الـدكتور عبـد الله الطيـب مـن أقـدم المحـدثين الـذين أشـاروا إلى ظـاهرة التكرار وهو يرى أن كل تكرار مهمـا كـان نوعـه "تـستفاد منـه زيـادة الـنغم وتقويـة الجـرس وتسميتنا لنوع واحد منه ترنيما إنما هي من أجل توضيح طبيعته وتبيينها وتذكير القـارئ بـأن ناحية النغم أظهر في هذا النوع من النواحي الأخرى"[4].

وكانت نازك الملائكة أيضا من أوائل الذين تحـدثوا عـن هـذه الظـاهرة في العـصر الحديث، وذلك في كتابها القيم "قضايا الشعر المعاصر" وهي تـرى أن اسلوب التكـرار يحتـوي كغيره من الأساليب الفنية الأخرى على إمكانيات تعبيرية تتجـسد في إغنائـه للمعنـى ورفعـه

---

(1) انوار الربيع في أنواع البديع 5/ 345

(2) المثل السائر 2/ 158

(3) 2/ 73

(4) المرشد إلى فهم أشعار العرب 2/ 568

إلى مرتبة الأصالة"، وترى أيضا أن هذا لا يتحقق في الشعر وحده، "بل إنه يتحقق في لغة الكلام"[1].

وترى نازك الملائكة أيضا أن التكرار "يخضع للقوانين الخفية التي تتحكم وأحدها قانون التوازن الدقيق الخفي الذي ينبغي أن يحافظ عليه الشاعر ... إذ إن العبارة الموزونة كيانا ومركز ثقل وأطرافا، وهي تخضع لنوع من الهندسة اللفظية الدقيقة التي لا بد للشاعر أن يعيها وهو يدخل التكرار على بعض مناطقها" "فالتكرار يجب أن يجيء من العبارة في موضع لا يثقلها ولا يميل بوزنها إلى جهة ما"[2].

ولا يوافق الدكتور عبد الكريم راضي جعفر على هذا القانون الذي وضعته نازك الملائكة ويرى أن "هذا القانون لا يشكل قاعدة ذهبية لها وهي الشاعرة أو لسواها من الشعراء "ويبرر رأيه هذا بأن التكرار" يظل دائرا في ذلك النبض النفسي للشاعر وما يجلبه من ألفاظ يكون الإلحاح عليها أو على جهة مهمة من العبارة لاتصال دلالتها الشعورية والنفسية بالحالة التي تسكن الشاعر "وقد عد الدكتور عبد الكريم جعفر التكرار ظاهرة أسلوبية[3] وكذلك الدكتور موسى ربابعة وذلك في كتابه "قراءات أسلوبية في الشعر الجاهلي" ويرى أنه نوع "من الأداء اللغوي" وهو "فاعلية موسيقية وبنائية" كما يربط ظاهرة التكرار بالموقف الذي يصدر عنه الشاعر[4].

وقد جعله محمد مفتاح "جوهر الخطاب الشعري ويكون على مستوى الأصوات وعلى مستوى التركيب النحوي وفي المعنى" ويرى كذلك أن التكرار "يحيل القصيدة أو المقطوعة إلى كلمة واحدة"[5].

---

(1) ص 263

(2) السابق 277

(3) رماد الشاعر ص 211

(4) ص 19

(5) في سيمياء الشعر القديم ص 27

ولا شك أن تكرار ألفاظ معينة إضاءة للنص يستطيع الدارس أن ينمي تحليلاته بوساطة هذا الملمح التعبيري البارز للكشف عن الملامح الرئيسة للتجربة الشعرية ومحاولة فك رموزها ووضع الإصبع على بؤر حساسة يجلوها التكرار[1].

أما يمنى العيد، فترى أن التكرار يعد من العناصر التي يجري بواسطتها توقيع الموسيقى لأجل تأدية المعنى والدلالة[2].

ويعد محمد بنيس تكرار الوحدات أحد العناصر اللانهائية البانية للإيقاع النصي ومحاولة لرصد الوضعية المركبة للإيقاع[3].

ويدل تكرار بعض الكلمات، في رأي إلياس خوري، في كتابه "دراسات في نقد الشعر" على أهمية هذه الكلمات ودلالتها الخاصة في القصيدة، وفي المقابل يعطي القصيدة إيقاعا خارجيا لا علاقة له بالقافية[4].

من خلال دراستي لشعر الخبزأرزي في موضوعاته المختلفة،لاحظت في شعره لونين من التكرار : اللون الأول : وهو الأكثر في شعره، تكرار الألفاظ والمعاني بعينها في أكثر من قصيدة ومقطوعة فهو يكرّر المعنى الواحد بطرق مختلفة، ويصوغه بما يناسب الوزن والقافية، وقد يصل الأمر إلى أن يكرر الشاعر البيت من الشعر في قصيدتين مختلفتين مع تغيير يسير لا يتجاوز كلمة أو اثنتين، كقوله في مطلع قصيدة غزلية:

كأنَّ في كلّ عضوٍ لي وجارحةٍ قلباً يحن وعيْناً تشتهي النظرا[5]

ونلاحظ أنه يكرر المعنى نفسه في بيت آخر بقافية مختلفة، إذ نراه يقول في قصيدة فائية :

وكأنّ لي في كلّ عُضْوٍ واحدٍ قلباً يحنّ وناظراً ما يطرف[6]

---

(1) رماد الشعر ص 210

(2) في معرفة النص ص 98

(3) الشعر العربي الحديث 3 / 127

(4) ص 53

(5) ديوانه ص 130.

(6) نفسه ص 232.

ويكرر تعبير "العين التي تشتهي النظرا" في بيت ثالث، يقول:

ذهبتُ أطلبُ ألفاظاً أخاطبهُ ... وقد شُغِلْتُ بعينٍ تشتهي النظرا[1]

ولننظر إلى البيت الآتي وهو من قصيدة دالية يمدح بها ابن يزداد:

لا زِلْتَ رُكْناً لمنْ والاك ذا ثبتٍ

ولم يزل ركنُ من عاداكَ مهدودا[2]

فإننا نراه يكرر المعنى نفسه، بالألفاظ نفسها تقريباً، وذلك في قصيدة ميمية في مدح ابن يزداد أيضاً:

لا زالَ ركنُك موطوداً نُشيّدُهُ

ولم يزل ركنُ من ناواكَ مهدوما[3]

ويكرر في قصائده ومقطوعاته معنى الطبيب المحبوب، والعليل المحب، كقوله يخاطب حبيبه:

ألستَ الطبيب فما يضرْ ... رُكِ لو شفيت المدنفا

من في يديك تلافه ... لا تُلْهُ عنه فيتلفا[4]

ويقول في مقطوعة أخرى مكرراً المعنى نفسه:

سقامي يبرا أنت تعرف طبَّه ... وهل يعرف الأسقام غير طبيبها؟[5]

ويكرر المعنى في قصيدة نونية:

يا طبيب القلوب قلبي عليلٌ ... فتلطف وافطن لبعض المعاني

ومتى يرتجي العليلُ شفاءً ... وهو يلقى الطبيبَ بالكتمانِ[6]

ويقول في مقطوعة أخرى:

---

(1) نفسه ص 131.

(2) نفسه ص 65.

(3) نفسه ص 320.

(4) ديوانه ص 245.

(5) نفسه ص 40.

(6) نفسه ص 342.

إنّ مَـــنْ كُنـــتَ لـــه ألـــــــتَ ســـقاماً وطبيبـــا[1]

ويكرر المعنى في مقطوعة أخرى؛ فيقول:

لا تـــسألوا عنّـــي الأطبّـــا فـــإنني عـــارفٌ طبـــيبي[2]

ويقول في مقطوعة أخرى مكرراً المعنى نفسه:

أتـــوني بالطبيـــب فـــساءَلوه فلـــم يـــدرِ الطبيـــبُ بمـــا يجيـــبُ

ســـقاني شـــربةً لم تُغْـــنِ شـــيئاً ســـوى مـــا زاد في القلـــب اللـــهيبُ

فقلـــت لـــه: ألا دعْـــني لـــدائي وقـــمْ فاذهـــبْ لـــشأنك يـــا طبيـــبُ

دوائـــي في يـــديْ مَـــنْ كـــان داءً فقـــال: ومـــا الـــدوا؟ قلـــت: الحبيـــبُ[3]

وقد كرّر تشبيه الوجه بالصباح والشعر بالليل في قصائد ومقطوعات كثيرة، كقوله:

بيـــضاءُ ســـوادءُ الفُـــروعِ فليلُهـــا ونهارُهـــا كظلامِهـــا وضـــيائها[4]

وقوله من قصيدة أخرى:

ليـــلُ شَـــعْرٍ مـــن تحتـــه بـــدرُ وجْـــهٍ مـــوجُ ردفٍ مـــن فوقـــه قـــدّ غُـــصْنِ[5]

ويكرر المعنى نفسه في قصيدة أخرى فيقول:

ضـــياءٌ كـــأنَّ الـــصُّبْحَ يجْلـــوه وجهُـــا

لنـــا وكـــأنَّ الليـــلَ يدجيـــه شَـــعرها[6]

وهذا المعنى يتكرر كثيراً في شعره، ويكفي ما أوردت للتدليل على ما أقول.

---

(1) نفسه ص 31.

(2) نفسه ص 38.

(3) ديوانه ص 27.

(4) نفسه ص 19.

(5) نفسه ص 336.

(6) نفسه ص 124.

وتشبيه الحبيب بالشمس والبدر يتكرر في معظم قصائده ومقطوعاته الغزلية، كما تتكرر عنده ألفاظ معينة في قصائد ومقطوعات مختلفة الأغراض، كلفظة "التوفيق والتسديد" يقول في مطلع مقطوعة غزلية:

يـا مـوحش الإخـوان عـش مستأنـساً
لمـصاحب التوفيـق والتـسديد[1]

ويكرر التعبير نفسه في قوله في قصيدة مدحية:

أنـتَ المبـارك والميمـون طلعتـه ترعـى الرعيـة توفيقـاً وتـسديدا[2]

ولكن الشيء اللافت للنظر أنه يكرر أحياناً أبياتاً معينة في قصيدتين مختلفتين دون أدنى تغيير، ومثال على ذلك هذه الأبيات التي قالها في ختام قصيدة نونية:

ومتـى يرتجـي العليـلُ شـفاءً وهـو يلقـى الطبيـبَ بالكتمـانِ
مـا تركـتُ الـشكوى لـصبري ولكـن في فـؤادي مـا لا يـؤدي لـساني
فتعطـف لخلـوة تبـسط الأنـس بكـفّ العتـابِ والأشـجانِ
فعـسى أنْ تنـالني رحمـة الوصـل فـأنجو مـن سـخطة الهجـرانِ[3]

ويكرر الأبيات نفسها في قصيدة نونية أخرى، بالألفاظ نفسها، وبالترتيب نفسه، اللهم إلاّ بزيادة بيت واحد بعد البيتين الأول والثاني، وهو قوله:

لـيس شـكوى الحبيـب تحـسُنُ فيـه
كـلّ وقـتٍ ولا بكـلّ مكـانِ[4]

وأحياناً يكرّر المصراع الأول من مطلع قصيدة، في مطلع قصيدة، أو مقطوعة أخرى، مثل قوله في مطلع قصيدة بائية:

(1) ديوانه ص 81.
(2) ديوانه ص 65.
(3) نفسه ص 341.
(4) ديوانه ص 342.

أخي لا تؤاخذني وإن كـان لـي ذنـبُ

فليس على العُشّاقِ في فعلهم عَتْـبُ[1]

وقد جعل المصراع الأول، بالألفاظ نفسها، في مطلع مقطوعة غزلية أخرى يقول:

أخي لا تؤاخذني وإن كـان لـي ذنـبُ

فَجُرْمُ الفتى في الشُكر داعيـةُ العُـذْرِ[2]

واللون الثاني: أنه يكرر اللفظـة الواحـدة في أكثـر مـن بيـت في القـصيدة الواحـدة، وذلك على جهة التشوق والاستعذاب، كتكريره لفظة "كـأني" في تـسعة مواضـع مـن قـصيدته التي أوّلها:

قُـلْ لمـولاي يـا بـديع الزّمـانِ   يـا هـلالَ الـدُّجى على غـصن بـانِ

والأبيات التي كرّر فيها هذه اللفظة هي:

فكـأنّي مـن حُـسْنِ وجهـكَ أرعـى   نـاظري في طرائـق البـستان
وكـأنّي مِـنْ غـنج ألحـاظ عينيـك   أنـاغي لـواحظ الغـزلانِ
وكـأنّي مِـنْ شـكلِ قـدّك في شـكل   تثنّـي نـواعمِ الأغـصانِ
وكـأنّي مـن ظـرف لفظـك في لفـظ   نفـيس اليـاقوتِ والمَرْجـانِ
وكـأني عنـد انبـساطك نحـوي   زلـتُ عـن مالـكٍ إلى رضـوانِ
وكـأني عنـد انتـشاقي لأنفاسـك   أشـتم نكهـة الـصيمرانِ
وكأني من طيب ريحك في طيب نسـ   ـيمِ الأزهـار والريحـانِ
وكـأني مـن وجنتيـك أجـني   بجنـاةِ التفـاحِ مـن لبنـانِ

(1) نفسه ص 22.

(2) نفسه ص 139.

وكـأني مـن نبـتِ خَـدّيك في نبـتِ ريـاضِ النـسيم والزعفَـرانِ[1]

ولا شك أن تكرار كلمة "كأني" تدل على أهمية ما تضمنته هذه اللفظة من دلالات، فالشاعر يريد تأكيد حالاته نحو من يتحدث عنه، ويتغزل به.

وكرر "كأن" في أكثر من مقطوعة[2] وكرر أداة النداء "يا" للتلذذ بمن يتغزل به[3].

واحيانا يكرر الكلمة الواحدة في حشو البيت، أو في آخره، وربما نجد البيت الواحد مكونا من جذرين لكلمتين مثل قوله:

أنفاسـه نفـست عـن نفـسه كربـاً وخـدٌّ في خَـدِّهِ بالـدَّمْعِ أُخْـدودا[4]

وأحيانا يكرر جملة، أو شطر بيت في القصيدة نفسها.

والجديد في التكرر عند الخبزأرزي، ولم نجده في شعر الشعراء الذين سبقوه، وإنْ كان قد وجد في شعرنا العربي فيما بعد، هو أنه قد جعل المصراع الأول في البيت الأول من إحدى قصائده، المصراع الثاني من البيت الأخير في القصيدة نفسها، يقول الخبزأرزي في مطلع قصيدة فائية:

بـيني وبينـك يـا ظلـومُ الموقـفُ

الحـاكم العـدلُ الجـوادُ المُنْـصِفُ

وقد اختتم القصيدة نفسها بالبيت الآتي:

فأتتـك روحـي حـين ذاك بقولهـا

بـيني وبينـك يـا ظلـومُ الموقـف[5]

وتقع هذه القصيدة في ثلاثة وثلاثين بيتاً، وهي في موضوع العتاب.

---

(1) ديوانه ص 342.

(2) انظر الديوان ص 282، 292.

(3) انظر الديوان ص 340.

(4) انظر الديوان ص 64

(5) انظر القصيدة ص 232 وما بعدها.

9- وحدة القصيدة في شعر الخبزأرزي:

من خلال قراءتي لقصائد الخبزأرزي الطويلة لاحظت أنّ بعضاً منها مترابط الأجزاء، تام الوحدة، متكامل البناء، ومن بين هذه القصائد قصيدته الفائية التي يقول فيها:

بيني وبينك يا ظلومُ الموقفُ ... الحاكمُ العدلُ الجواد المُنْصفُ
فلقد خشيتُ بأنْ أموتَ بغُصّتي ... أسَفاً عليكَ وأنت لا تتعطّفُ
لي مهجةٌ تبكي وطَرْفٌ ساهرٌ ... وجوارح تضنى وقَلْبٌ مدنفُ
أسَفٌ يدومُ وَحَسْرَةٌ ما تنقضي ... وجوىً يزيدُ وكرْبةٌ ما تُكْشَفُ
وكأنَّ لي في كُلِّ عُضْوٍ واحدٍ ... قلباً يحِنُّ وناظِراً ما يطرِفُ
أشكوك أم أشكو إليك فإنني ... في ذا وذا متحيّرٌ متوقّفُ
أخشاكَ بَلْ أخشَى عليكَ فتارةً ... أرجو رضاكَ وتارَةً أتخوَّفُ
أتْلَفْتَ روحي في الهوى فإلى متى ... تلْهو وتتْرُكُ مَنْ يحِبّكِ يَتْلَفُ
لامتَ أو تبلى بمثل بليّتي ... فعَسى تَذوقُ كما تذيقُ فَتُنْصِفُ
لا تنكرَنْ تأسُّفي إنْ فاتني ... روحُ الحياة فكيفَ لا أتأسَّفُ
لو أنَّ لقمانَ الحكيمَ رأى الذي ... أبْصرْتُ مِنْكَ رأيتهُ يَتَلهَّفُ
شوْقاً إلى مَنْ لَوْ تجَلّى وَجْهُهُ ... للبدر كادَ مِنَ التّحَيُّرِ يُكْسَفُ
بَلْ لو رأى يَعْقوبُ حُسْنَ مُحَمّدٍ ... ما كانَ يَحْزَنُ إذْ تغَيَّبَ يوسُفُ
طاووسُ حُسْنٍ بل أتمُّ محاسِناً ... صنَمُ الملاحةِ بلْ أجَلُّ وألْطَفُ
بشمائلٍ أغصانُها تتعطّفُ ... وروادفٍ أردافُها تتَرَدَّفُ
تتَصلَّفُ الأرضُ التي هُوَ فوقَها ... زهْواً بِهِ ونراهُ لا يَتَصَلَّفُ
متشرّبٌ ماءَ البشاشةِ وَجْهُهُ ... فعليهِ رَيحانُ القُلوبِ يُرَفْرِفُ
متفرّدٌ في لَوْنِهِ فكأنّما ... ما زالَ في فيه خَمْرٌ قُرْقُفُ
وكأنّهُ في سَرْحَةٍ ضِرْغامةٌ ... صافٍ إلى مُهجِ الورى يتصرّفُ
ما ضَرَّهُ ألاّ يكونَ مُقَلَّداً ... سَيْفاً ففي عينيهِ سَيْفٌ مُرْهَفُ

وَكـأنَّ قَـوْسَ الحـاجبين مُقَـوَّسٌ سـهماً فويـلٌ للـذي يُـستَهْدَفُ
قَـدْ صُـبَّ في قرموصـه بلباقـةٍ صَـبّاً ففيـه تمكّـنٌ وتَخَفُّـفُ
إنّـي لأحْـسُدُ باشـقاً في كَفِّـهِ أتُـراهُ يَـدْري أيَّ كَـفٍّ يَـألَفُ
إنْ كـان باشِـقُهُ تَحَلَّـقَ طـائراً فمحمـدٌ لقلوبنـا يَتَخَطَّـفُ
مـولاي لـو وصـفتْكَ أفـواهُ الـورى
طُـراً لَكُنْـتَ تَجِـلُّ عمّـا يوصَـفُ
قـد سَـاعَفَتْكَ محاسِـنٌ قـد حَيَّـرَتْ
فيـكَ العقـولَ وأنْـتَ لا تتـسَعَّفُ
سَـلْ وَرْدَ خَـدِّكَ أيّ حُـسْنٍ غَرْسُـهُ
إنّـا نَـراهُ يَعُـودُ سَـاعةَ يُقْطَـفُ
لـوْ لَمْ تُـضاعِفْ لـي عـذابي في الهـوى
مـا دامَ نَـرْجِسُ ناظِرَيْـكَ يُـضَعَّفُ
علمـتْ لواحظُـكَ الـضِّعافُ تجلُّـدي
ومِـنَ العجائـبِ غالـبٌ مُسْتَـضْعَفُ
لـوْ لَـمْ تُـرِدْ قلـبي بغـير جنايـةٍ ما كُنْـتَ تُنكِـرُ في الهـوى مـا تَعْـرِفُ
فرأيْـتُ في النّـوْمِ الـذي أنكَرْتَـهُ
في يَقْظَـةٍ مِـنْ هـاتِفٍ بِـكَ يَهْتِـفُ
فتألَّفَـتْ أرواحُنـا عِنْـدَ الكـرى إذْ كانـت الأجْـسامُ لا تتـألَّفُ
فأتتْـك روحـي حـينَ ذاكَ بقوْلِها
بـيني وبيْنَـك يـا ظَلـومُ الموْقِـفُ[1]

في هذه القصيدة يعاتب الخبزأرزي حبيبه، لأنه لا يرقّ له ولا يتعطف عليه، وقد بدأها بقرار هو في الحقيقة نهاية للموقف، وقد بدأ بعد ذلك بتعليل سبب اتخاذه هذا القرار وذلك لأنّ حبيبه رأى ما حلّ به من البكاء، والسهر، والمرض، وما أصابه من الحسرة والحزن، ثم يصوّر لنا مدى اشتياقه لرؤية حبيبه؛ فكأنّ كل عضو من أعضائه قلبٌ يحن إليه،

(1) ديوانه ص 232 وما بعدها.

او عين تشتهي النظر إليه. ثم يبدأ بعد ذلك بالشكوى، ويقع في حيرة، أيشكوه، أم يشكو حاله إليه.

وينتقل إلى موقف العتاب، ويتساءل: إلى متى يتعامى حبيبه عنه فيتركه يتلف من مرض الحب، وهو لاهٍ عنه غير مبالٍ به، ثم يدعو عليه أن يصاب بمثل ما أُصيب به حتى يذوق آلام الحب فيرق قلبه وينصف حبيبه.

ثم ينتقل إلى جزء آخر يصف فيه حبيبه هذا، وكأنه يريد أنْ يبرر سبب عشقه له، وإصراره على التمسك به، فهو جميل مليح، ليّن، ناعم، غير متكبر، متفرد في لون خديه، وهو بين أقرانه كأنه أسد يتصرف في أرواح الخلق، أمّا عيناه فهما أمضى وأحدّ من السيف، وأمّا حاجباه فكأنهما يصوّبان السهام، فويل لمن يصيبه سهم منها، وهو يتخطف قلوب الناس لجماله ورقته. وهو يبلغ من الجمال حداً بحيث لو وصفه الناس لَجَلَّ عن هذه الصفات، فحسنه قد حيّر العقول، وورد خديه لا يزول؛ بل يعود ساعة قطفه، ثم يطلب منه مرّة أخرى أن يرق له، وهو قد علم صبره وتجلده. ثم ينتقل إلى الجزء الأخير من القصيدة، فيخبر حبيبه بأنه قد نال منه في نومه ما لم يحصل عليه في يقظته حيث التقت روحاهما بعد تعذر لقاء جسميهما، ويختتم الموقف بالقرار الذي اتخذه في أول القصيدة، إذ قالت روح الشاعر لروح الحبيب

بيني وبينك يا ظلوم الموقف

وهكذا تنتهي هذه القصيدة التي جاءت على هذا الشكل المترابط المتماسك بين أجزائها، والشاعر تسيطر عليه عاطفة الحزن لبعد حبيبه عنه، وعاطفة الحب، وذلك عندما يتحدث عن صفات حبيبه، هذه الصفات التي جعلته يتمسك به، ويبقى على حبه على الرغم مما لاقاه منه من صدٍّ وامتناع، ولكن القصيدة تبقى معبّرة عن تجربة عاطفية واحدة.

وقصيدته اللاّمية في مدح ابن يزداد يمكن أن تتخذ مثالاً ثانياً على وحدة القصيدة عند الخبزأرزي، وقد بدأها بقوله:

سنةٌ يُزادُ بها الأمير جَمالا إقبالُها يُنمي لكَ الإقبالا

سنةٌ وأسبوعٌ وشهرٌ كلُّها جددٌ تجدِّدُ أنعماً تتوالى

والقصيدة كلها حديث عن ابن يزداد، فهو يدعو له، أولاً أن يديم الله نعمته عليه، وأن يبقيه في سرورٍ دائم، وأن يحقق الله له كلّ ما يريد:

حولٌ بحولِ الله يقضي بالذي أمّلْتَهُ ويزيدُ حالُكَ حالا

عامٌ يعم لك السرورُ ولا نرى في نِعْمَةٍ خَلَلاً ولا إخلالا

ثم يبدأ بالحديث عن صفاته: فهو كريم وشجاع، وقد اتفق النّاس على الإعجاب بهذا الأمير؛ فهو اسم على مسمّى:

صدق الذي سمّى الأميرَ مُحَمَّداً فهو المحمّدُ سيرةً وخِصالا

هذا أبو حسن الذي إحسانُه رَدَّ الأجاجَ من الحياة زُلالا

وينتقل إلى الحديث عن أعماله فهو: قد قضى على الفتن في البصرة، وزاد الأموال، بعد أن كادت الفتن تحرقها، وقد بلغ به السكان آمالهم، وهم لو جعلوا وجوههم نِعالاً له لكان هذا قليلاً منهم، فهو الذي أنساهم الخوف، وأبعد عن قلوبهم الرّوع:

للبصرة الفوز العظيم فأمْنها عَمَرَ البقاعَ وثمّرَ الأموالا

مهدّتها بالرِّفقِ منك وطالَما بالخَرْقِ زُلزلَ أهلُها زلزالا

فالله وقّاهم ببيتك واتّقوْا والله بلغهمْ بكَ الآمالا

[الخ الأبيات]

ويحمد الله سبحانه وتعالى الذي كشف الغمة على يدي ابن يزداد وحسن أحوال المدينة وسكانها، وقد زاده الله جلالاً واحتراماً لأنه حفظ نعم الله وأجَلّها، ثم ينتقل إلى المقارنة بينه وبين غيره من الكرماء الأفاضل: فهو الوحيد الذي يعشق التفضل والإنعام، وهو اليمين، وغيره الشمال؛ ثم ينتقل إلى الحديث عن صفاته المعنوية؛ فهو متحدث بارع، وبصفاته تضرب الأمثال، ويدعو الله أن يديم نعمه عليه حتى يغيظ الحاسدين، وقد اختتم قصيدته بجعل ممدوحه فريداً بين الناس فمن ادّعى أنه رأى شبهاً له في صفاته وأعماله؛ فقد ادعى فيما يقول محالا، وكلما مدحه قال له الناس: قل كيف شئت فقد وجدت مقالا:

فمـن ادعـى أنْ قـدْ رأى لـك مـشبهاً

فقـد ادّعـى فيمـا يقـولُ مُحـالا

فـإذا مـدحتُكَ قـال لـي أهـل الحِجـا:

قُلْ كيف شئت فقد وجـدتَ مقـالا[1]

والحقيقة أن أبيات هذه القصيدة يكمّل بعضها بعضا، وهي ترسم لنا صورة جلية للممدوح بصفاته وأعماله، ولا نجد بيتاً واحدا في القصيدة يخرج عن الحديث عن ابن يزداد، والعاطفة المسيطرة على القصيدة هي عاطفة الحب والإعجاب لهذا الأمير الذي نشر الأمن على ربوع مدينة البصرة بعد أن كادت الفتن تقضي عليها، وإعجاب الشاعر بالممدوح نراه في كل بيت من أبيات القصيدة التي تبلغ خمسة وثلاثين بيتا.

ونلاحظ هذا الوحدة، كذلك، في قصائد أخرى في المديح وفي غير المديح، مثل قصيدته التي مطلعها:

يـومٌ أتـى بنـسيم الـريح موسـوما مبـاركٌ بزمـام الملـك مزمومـا[2]

ومثل قصيدته التي يتحدث فيه عن الحب وأهله، والتي بدأها بقوله:

لا شيء أحسن مـن إلفـين قـد قـسما

حـسن الرعايـة والإخـلاص بينهمـا

تقاسمـا الحُـسْنَ والإحـسان فانـدمجا

على الصفاتِ فصارا في الهوى علما[3]

وقد تحدثت عن هذه القصيدة عند حديثي عن موضوع الغزل في شعر الخبز أرزي.

---

(1) ديوانه، ص 290.

(2) نفسه، ص 319.

(3) نفسه، ص 317.

10- بعض عيوب شعر الخبز أرزي:

من أهم ما يؤخذ على شعر الخبز أرزي المبالغة التي تخرج عن المعقول من مثل قوله:

عبـــــدك أمْرَضْـــــتَهُ فَعُـــــدْهُ   أمِتْـــــهُ إنْ لم تَكُـــــنْ تُـــــرِدْهُ
قـــد ذابَ لـــو فَتَّـــشْتَ عليـــهِ   يـــداكَ في الفَـــرْشِ لم تجـــدْهُ[1]

وقوله:

ذُبْـــتُ مـــن الـــشّوْقِ فلـــوْ زُجّ بـــي   في مُقلـــــةِ النّـــــائم لم ينتبـــــهْ
وكـــان لـــي فيمـــا مـــضى خـــاتمٌ   فـــالآن لـــوْ شـــئتُ تمنْطَقْـــتُ بـــهْ[2] .

ومثل قوله مصوراً نعومة حبيبه ولينه:

فتمايلـــتْ أغـــصانُهُ مِـــنْ فوقِـــهِ   وترْجرجـــتْ أمواجُـــهُ مـــن خلْفِـــهِ
فيكـــادُ يـــدخلُ بعـــضهُ في بعـــضهِ   لينـــاً ويـــسقطُ نـــصفهُ مِـــنْ نِـــصفِهِ[3]

ومثل قوله أيضا من قصيدة:

رَقّـــتْ حواشـــيهِ حتّـــى لـــو يمـــرّ بـــه   وهْـــمُ الـــضّميرِ لِفرْطِ اللـــين لاعتـــصرا
لـــو أنّ ظِـــلّ ذُبـــابٍ طـــارَ مـــن بُعُـــدٍ   حـــاذى محاســـنهُ أبقـــى لهـــا أثـــرا[4]

وفي القصيدة نفسها يقول:

خـــدّين لـــو نُفِخـــا بـــالوهْمِ لاشـــتعلا   نـــاراً ولـــو قطّـــرا مـــن رقـــة قطـــرا[5]

ومن مبالغاته في المدح قوله:

فلـــو اســـتطاعوا أوطـــأوكَ خـــدودَهم   حتـــى تكـــون لـــك الخـــدود نِعـــالا[6]

---

(1) ديوانه، ص 56.
(2) نفسه، ص 375.
(3) نفسه، ص 263.
(4) نفسه، ص 115.
(5) نفسه.
(6) نفسه، ص 290.

ويقول في القصيدة نفسها مصوراً كرم ممدوحه:

لــو أنّ كــلّ الخلــق زادك رغبــة　　كــانوا لجــودِك صــبيةً وعيــالا[1]

ومثل قوله في قصيدة مدحية أخرى:

لـو عُـدّ في الخلـقِ مـن يُغـذى بنعمتِـه　　مـا كـان يـرويهمُ جيحـانُ والنيـلُ[2]

ومن مثل قوله في قصيدة أخرى:

لم يبــق في الأرض لا روح ولا بــدن

إلاّ وقـد كـان مـن حُمـاّك محمومـا[3]

ومن المآخذ التي تؤخذ عليه في شعره، بعض التشبيهات القبيحة، كتشبيه الحبيب بالصنم وقد ورد هذا التشبيه أكثر من مرة في شعره، من مثل قوله:

صـنمٌ تـسرْبل شـكله مـن وصْـفِه　　فـسبى القلـوبَ بحُـسنِهِ وبظرْفِـهِ[4]

وقوله:

صـنمٌ يـصوّر أحـسن التـصوير　　في الحُسنِ قـد أمـسى بغـير نظـير[5]

وقوله:

بــردف الكثيــب وقــدّ القــضيب　　وعــين الغــزال ووجــهِ الــصنم[6]

وقوله:

طــاووسُ حُــسْنٍ بــلْ أتمّ محاســناً　　صـنمُ الملاحـةِ بـل أجـلُّ وألطـفُ[7]

---

(1) ديوانه، ص 290.

(2) نفسه، ص 287.

(3) نفسه، ص 319.

(4) نفسه، ص 263.

(5) نفسه، ص 178.

(6) نفسه، ص 312.

(7) نفسه، ص 232.

ومن التشبيهات الرديئة في شعره قوله:

حانـــت منيتـــهُ فاسْـــودّ عارِضُـــهُ   كمـــا تـــسوّدُ بعـــد الميـــت الـــدار[1]

ومن ذلك تشبيهه فرحة الناس بتجديد الولاية لممدوحه بفرحة القابلة بمولد الغلام:

لقــد ســرّ أهــل الــسِّرِّ تجديــدُ عهــده
كمــا ســرَّ مــيلادُ الغــلامِ القــوابلا[2]

ومن المآخذ أيضا تكرار المعنى في مقطوعات وقصائد كثيرة مثل الطبيب المُحب والمريض المُحب، وتشبيه حبيبه بالقمر وشعره بالليل أو الظلام، ومشي المولى إلى العبد وغير ذلك من المعاني، وقد تحدثت عن هذا عند حديثي عن ظاهرة التكرار في شعره.

ومن العيوب في شعره استخدامه لبعض الكلمات المولدة مثل كلمة "زج" في قوله:

ودُبْـــتُ حتـــى صِـــرتُ لـــو زُجّ بـــي   في نـــاظر الوســـنانِ لم ينتبـــهْ[3]

فقد لامه صاحب "المنصف في نقد الشعر وبيان سرقات المتنبي" على استخدامه "زج بي" وقال: إنه أفسد معناه بهذه الكلمة لأنّها هجينة يستعملها المولّدون[4].

ومثل استخدامه كلمة "متقلقل" في قوله:

أوَ مـــا تحـــنّ لعاشـــقٍ مُتقلْقِـــلِ   مـــا يـــستطيع علـــى هـــواهُ قـــرارا[5]

ومثل استخدامه لكلمة "طنز" وهو السخرية وباب فعله نصر والرجل طنّاز، قال صاحب المختار: "وأظنّه مولداً أو معرّبا"[6]، يقول الخبز أرزي:

ألمْ يكفـــني مـــا نـــالني في هـــواكم   إلى أنْ ظفقـــتمْ بـــين لاوٍ وضـــاحِكِ
شمـــاتتكم بـــي فـــوق مـــا أصـــابني   وما بي دخول النار، بل طَنْزُ مالـكِ[7]

واستخدامه كلمة "معيّد" في قوله:

---

(1) نفسه، ص 114.

(2) ديوانه، ص 294.

(3) نفسه، ص 375.

(4) ابن وكيع التنيسي، ص 516.

(5) ديوانه، ص 135.

(6) ص 398.

(7) ديوانه، ص 458.

بـــاليُمنِ والبركـــاتِ ظِلْـــتَ مُعيّـــدا

وظِـــلالُ عيـــدكَ غبْطـــةٌ وســـرور[1]

ومن المآخذ التي تؤخذ عليه في شعره، وقوعه في بعـض الأخطـاء اللغويـة والنّحويـة مثل تسكين ميم "ما" الاستفهامية عند دخول اللام عليها وحذف ألفها، مثل قوله:

فَلِـــمْ تتقاضـــى مـــا تعـــاودت مـــرّة

إذا كُنـــتَ خوّافـــا فلـــمْ تـــدّعِ الوفـــا[2]

وقوله:

لم أخّـــر الكاتـــب الإنجـــازَ موعـــدتي

وكيـــف لا يجعـــلُ التـــأخيرَ تقـــديما[3]

ومثل جمعه كلمة "قنديل" على "قنادل" والقياس أن تجمع على "قناديل" وذلك في قوله:

إذا مـــا قـــضاياه تخلّلْـــنَ ظُلْمـــة

توقّـــدْنَ أو يُحـــسبْنَ فيهـــا قنـــادلا[4]

ومثل جمعه كلمة "راهب" على رهابن، و"قسيس" على قسوس، وذلك في قوله:

ثـــم اثنـــى يتلـــو الزّبـــورَ تـــشاغلاً عنّـــي وخـــاف رهابنـــاً وقـــسوسا[5]

ومثل صرفه كلمة "طرائق" وهي ممنوعة من الصرف؛ لأنها صيغة منتهى الجمـوع علـى وزن "مفاعل" وذلك في قوله:

خطـــرات قلـــبي في طرائقهـــا تـــذرُ القلـــوب طرائقـــا قـــددا[6]

---

(1) ديوانه، ص 121.

(2) نفسه، ص 247.

(3) نفسه، ص 320.

(4) نفسه، ص 294.

(5) نفسه، ص 196.

(6) نفسه، ص 62.

ومثل استخدامه كلمة "الهرر" بدل كلمة "الهر" في قوله:

ما عـيش مـن لـيس يـدري أنّ مـشيته   في صورة القـرد أو في صـورة الهـرر[1]

ومثل استخدامه كلمة "النواويس" بمعنى القبور، وذلك في قوله:

مـــا حـــبّهم أحـــدٌ يُرجـــى لنائلـــه   وكيـف ترجـى عظـامٌ في النـواويس[2]

والأصح "الناووس" وهي مقابر النصارى[3].

ومنها استعمال لغة "أكلوني البراغيث" مثل قوله:

أيـــا شـــبيه الـــذي بـــاعوه إخوتـــه   أيـا سمـي الـذي ألقـوه في النــار[4]

ونجد في شعر الخبز أرزي بعض عيوب الوزن والقافية، فمن عيوب الـوزن مـثلا أننـا نجد عنده بعض الأبيات في مقطوعة واحدة ولكن على وزنين مختلفين، كما جاء في قوله:

يقولـون: قـد أخفـى محاسـنهُ الـشعرُ   فهيْهات هل يخفى على الظُّلمـة البـدرُ

كـم بـين أرضٍ قفـارٍ لا نبـات بهـا   وأرض أجرى عليها النبتُ والزّهـرُ[5]

وواضح أن البيت الأول من بحر الطويل، والثاني على وزن البسيط.

ومن عيوب القافية التي وقع فيها الخبز أرزي "الإقواء" وذلك في قوله:

فخالفْـتُ توحيـدي وعُقْـتُ أئمـتي   وملْـتُ إلى الجِبْـتِ المُـضلّلِ والنّـصْبِ

فجعل الباء مكسورة بينما حرف الروي في بقية أبيات المقطوعة مضموم[6].

والإيطـاء مـن عيـوب القافيـة في شـعر الخبـز أرزي، وهـو أن يتكـرر لفـظ القافيـة ومعناهما واحد من مثل قوله:

---

(1) ديوانه، ص 157.

(2) نفسه، ص 212.

(3) لسان العرب: مادة نوس.

(4) ديوانه، ص 167.

(5) نفسه، ص 99.

(6) نفسه، ص 22، والشاهد هو البيت الخامس في القصيدة.

فمــنْ تجفــوه لـــن يرجـــو حيــاةً		ومـــن واصـــلته لم يخْـــشَ عـــارا
بحبّـــك صـــار عاشِـــقُكَ المُعنّـــى		علـــى العُـــشّاقِ يفْتخـــرُ افتخـــارا
إذا مـــا عيّرونـــي فيـــكَ قـــالوا:		حبيبـــك لا يـــزورُ ولـــنْ يُـــزارا
فقلـــت لهـــم: رضـــيتُ بـــه حبيبـــاً		ولا وحياتـــه مـــا ذاق عـــارا[1]

فكرر قافية "عاراً" وليس بينهما غير بيتين.

ومثل قوله في قافية "باللّطف" وفي قافية أخرى "وباللّطف" وليس بينهما غير بيت واحد[2].

وكما قال في قافية "مع البدر" وفي قافية أخرى "والبدر"[3]، وربما كان الإبطاء في هذه القافية أخف من القوافي السابقة لأنه يفصل بينهما ثمانية أبيات.

والسّناد أيضا من عيوب القافية التي نجدها في شعر الخبز أرزي وهو كما عرّفه قدامه "أن يختلف تصريف القافيتين"[4] وذلك مثل قوله:

ويـــزعمني صـــادقاً خاليـــا		مـــن الـــدّرّ مثـــل الـــذي صـــرّفهْ
ولـــو شـــئتُ عرّفتُـــه مـــن أنـــا		وإنْ كـــان لـــي جيـــد المعرِفـــهْ[5]

---

(1) ديوانه، ص 134.
(2) نفسه، ص 255.
(3) نفسه، ص 141.
(4) نقد الشعر، ص 120.
(5) ديوانه، ص 251.

ومما وقع فيه الخبزأرزي أنه يجعل الكاف التي هي صلة في القافية كالكاف التي هي من الكلمة نفسها، وهي تشبه الحالة السابقة، وذلك مثل قوله:

مُخجِلَ البدرِ في الفلكْ قف قليلا لنسألكْ
يا شبيه الذي بِهِ فتنت حُرَّةُ الملك

والحقيقة فهذا وقع فيه كثير من الشعراء الكبار كالمتنبي في قوله:

أنا بالوشاة إذا ذكرتكَ أشبهُ يأتي الندى ويُذاعُ عنك فتكرهُ
وإذا رأيتك دون عرض عارضاً أيقنْتُ أن الله يبغي نصرهُ

"فغلط في التصريح وسمح بهاء "تكره" فصيرها صلة وإن كانت من نفس الكلمة"[1]

"وقد وقع عبد الله بن المعتز في مثل حال أبي الطيب، ووقع بشار على تقدمه في مثل علتهما"[2].

(1) مقدمة كتاب الدر الفريد وبيت القصيد ص 318، وانظر البيتين في ديوانه ص 278.

(2) مقدمة الدر الفريد ص 319

الفصل الرابع

ديوانه وآراء النقاد في شعره

(1) ديوانه

(2) آراء النقاد في شعره

الفصل الرابع

ديوانه وآراء النقاد في شعره

ديوانه:

ديوان الخبزأرزي من دواوين الشعراء العباسيين المشهورة، التي تحدّث عنها القدماء، وأشاروا إليها.

يقول ابن النديم صاحب الفهرست: "..... وقد عُمِل شعره على الحروف ونحل إلى الصولي ثلاث مئة ورقة"[1].

وقال الثعالبي في يتيمة الدهر: "..... ثم تذكرت قرب عهده، وتكلّف ابن لنكك جمع ديوان شعره"[2].

وقال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: "..... نزل بغداد، وأقام بها دهراً طويلاً، وقرئ عليه ديوانه"[3].

وقال ياقوت الحموي في معجم الأدباء: "..... وكان شاعر البصرة ابن لنكك مع علوّ قدره، يجلس إليه، ويتردّد على دكانه، وعني بجمع ديوان شعره"[4].

وقال ابن الأثير في اللّباب في تهذيب الأنساب: "..... وديوانه معروف"[5].

وقال ابن خلكان في وفيات الأعيان: "..... وكان أبو الحسين محمد بن محمد المعروف بابن لنكك البصري، الشاعر المشهور، مع علوّ قدره عندهم، ينتاب دكانه (أي: دكان الخبزأرزي) ليسمع شعره، واعتنى به، وجمع له ديواناً....."[6].

---

(1) ص: 240.

(2) 2/ 132.

(3) 13/ 296.

(4) 19/ 218.

(5) 1/ 419.

(6) 5/ 376.

وقال حاجي خليفة في كشف الظنون: " ..... وكان أبو الحسن (أبو الحسين) محمد المعروف بابن لنكك، مع علوّ قدره، اعتنى به وجمع له ديواناً"[1].

وقد عثرت في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة على نسخة من مخطوطة ديوانه، وهي مصورة عن نسخة عثرت عليها بعثة المعهد بمكتبة الأحقاف- مجموعة عبد الرحمن بن شيخ الكاف رقم 159 أدب بمدينة تريم، بجمهورية اليمن الجنوبية، وقد صوّرت في يوم الأربعاء 23/ ربيع الأول/ 1396هـ، الموافق 24/ مارس/ 1976م.

وفيما يلي وصف موجز لهذه المخطوطة:

رقم المخطوطة ف 46 ك 174

عدد الأوراق 83 ورقة ضمن مجموعة من 41 – 123

مقاس 15 × 22 سم

ومسطرتها: في كل صفحة 16 سطراً تقريباً.

يقول ناسخها "تم بحمد الله الملك العزيز ديوان الأديب نصر بن أحمد الخبزأرزي في نهار الرّبوع (الأربعاء) خامس شهر شعبان سنة 1190 بعناية سيدي الجليل الهمام العظيم صفي الأنام أحمد بن الحسين بن إسماعيل بن عبد الله بن الإمام" وجاء في وصف الديوان أنّه مرتب على القوافي، أوله:

نسيم عبير في غلالة ماءِ ... وتمثالُ نورٍ في أديمِ هَواءِ

وأخره في قافية الياء:

إنْ زُوحِمَتْ في المكرمات فإنّها ... ما زُحْزِحَتْ مِنْ بأسِها وسخائِها

وواضح أنّ هذا من قافية الهمزة.

وجاء بعد ذلك قصائد ومقطعات غير مرتبة، أولها:

كأنّ في كُلّ عضوٍ لي وجارحةٍ ... قلْباً يحِنُّ وعَيْناً تشتهي النَظَرا

وآخرها:

---

(1) 1/ 787.

فَلَوْ تَرى حُسْنَها مِنْ بَيْنِ حُسْنِهِمُ لقلتَ ذا ملكٌ أحْفَتْ بِهِ الوُزرا

والحقيقة أنّ الديوان غير مرتب تماماً على القوافي، وهو كثير التحريف والخطأ إلى حدٍّ كبير، وعلى ما يبدو؛ فقد اشترك أكثر من شخص في نسخه، فالخط يختلف ما بين قصيدة وأخرى، حتى إنه يختلف في بعض الأحيان في القصيدة الواحدة، وقد جاء في نهاية إحدى القصائد هذه العبارة "وإلى هنا كتب الأول ورمدت عيناه". كما إن معظم الكلمات غير منقوطة، والخط في بعض القصائد والمقطوعات رديء جدا.

كما إننا نلاحظ في القسم الأول من الديوان أن بعض القصائد تبدأ في صفحة معينة ثم تنتهي في صفحة أخرى بعيدة غير تالية للصفحة التي بُدأت بها، وبعض القصائد والمقطوعات تبدأ في صفحة معينة ثم تنتهي في صفحة سابقة كالقصيدة الجيمية التي مطلعها:

انظر إلى غنج هذا الفاتن الغنج تنظرْ إلى بهجٍ بالطّرفِ مُبْتهجِ

فإنها تبدأ في الصفحة الرابعة عشرة، وهي مكوّنة من ثمانية عشر بيتاً، خمسة عشر بيتا منها في الصفحة التي بدأت فيها، وثلاثة الأبيات الأخيرة عثرت عليها في الصفحة العاشرة، ومثل هذا كثير، وعلى الخصائص في القسم الأول من الديوان في قافية الباء، والتاء، والثاء، والجيم، والحاء، والخاء.

كما وجدت تكراراً لبعض القصائد والمقطوعات، وقد قمت بترتيب الديوان على القوافي، وضممت أجزاء القصيدة أو المقطوعة التي تفرقت أجزاؤها، وجعلتها في قصيدة أو مقطوعة واحدة.

وعلى ما يبدو؛ فإنّ هذه المخطوطة- في أغلب الظن- لا تحوي إلاّ مختارات من شعر الخبز أرزي، وذلك لأنني وجدت شعراً كثيراً رواه القدماء للخبز أرزي، ولكنه لم يرد في نسخة هذا الديوان، فجعلته ذيلاً له، وأثبته بعد رواية مخطوطته، ورتبته تكملة لشعره، وسأبين فيما يلي ملاحظاتي على ذلك:

2- ذكر ابن النديم في كتابه أنّ ديوان الخبز أرزي ثلاث مئة ورقة، أي أنّ عدد أبياته ستة آلاف، باعتبار أنّ ما في الورقة عشرون سطرا، والذي وجدته في المخطوطة أقلّ من نصف هذا العدد.

3- ذكر المسعودي "ومن جيّد شعره (أي الخبز أرزي) ما عاتب به ابن لنكك الشاعر، وهو.... "ثم ذكر أربعة أبيات، وقال بعدها: "وفي هذا الشعر يقول...." ثم ذكر بيتا واحداً، ثم قال: "وقوله......" وروى ثلاثة أبيات من قصيدة أخرى، وبعدها قال: "وفي هذا الشعر يقول..."ثم روى أربعة أبيات أخرى ورجعت إلى الديوان، فما رأيت للقصيدتين أو للأبيات التي ذكرها المسعودي أثراً أو ذكراً.

4- قرأت في معاهد التنصيص تحت شاهد "التلميح": "...... ونصر بن أحمد الخبز أرزي، بقوله من قصيدة...." ثم ذكر ثلاثة أبيات جيمية، ونظرت في المخطوطة؛ فما رأيت القصيدة، أو الأبيات المختارة منها.

5- ذكر ابن تغري بردي: ".... وله (أي للخبز أرزي) القصيدة الطنّانة التي أوّلها:

باتَ الحبيبُ مُنادمي والسُكرُ يصبغُ وجْنَتَيْه
ثم اغتدى وقد ابْتدا صِبْغُ الخُمارِ بِمُقْلَتَيْه

وهذه القصيدة مفقودة، كذلك، في المخطوطة التي بين يدينا.

6- لقد رأيت أبياتا، ومطالع روتها مصادر كثيرة لا يصل إليها الشك للخبز أرزي، وهي لا تقع في المخطوطة، وقد أشرت إلى ذلك عندما تحدثت عن مصادر شعر الخبز أرزي.

والدلائل على نقص هذه المخطوطة كثيرة، وأكتفي بما أوردت للتدليل على ما أقول.

هذا؛ وقد بحثت ما وسعني، ولم أوفر الجهد والطاقة، ولم أقطع جازماً بصحة الأبيات المنسوبة إلى الشاعر، وإنّما رويتها على عهدة القدماء منذ عصره حتى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة.

آراء النقاد في شعره:

1- قال المسعودي عندما تناهى به الكلام إلى خلافة المتقي، وأخذ بذكر بعض من اشتهر شعره واستفاض في الناس وظهر... "فمنهم أبو القاسم نصر بن أحمد الخبز أرزي، وهو أحد المطبوعين المجوّدين في البديهة المعروفين بالغزل... وأكثر الغناء المحدث في وقتنا هذا من شعره"[1].

2- قال ياقوت الحموي في معجم الأدباء: "فكان يخبز، وهو ينشد ما يقوله من الشعر فيجتمع الناس حوله، ويزدحمون عليه لاستماع شعره وملحه، ويتعجبون من إجادته في مثل حاله وحرفته... فكان أحداث البصرة يلتفون حوله، ويتنافسون بميلهم إليه، ويحفظون شعره لسهولته ورقته"[2].

3- قال الثعالبي: "كنت على طيّ شعره وذكره إما لتقدم زمانه أو سفسفة كلامه، ثم تذكرت قرب عهده، وتكلّف ابن لنكك جمع ديوان شعره، فسنح لي أن أضمّن هذا الكتاب لمعاً قد علقت بحفظي منه، والإعراض عن التصفح لباقي شعره، وترك الفحص عما يصلح للإلحاق بها من ملحه، وعلى ذكره"، وقال: "فكان يخبز وينشد أشعاره المقصورة على الغزل، والناس يزدحمون عليه، ويتطرفون باستماع شعره، ويتعجبون من حاله وأمره، وأحداث البصرة يتنافسون في ميلهم وذكره لهم، ويحفظون كلامه لقرب مأخذه وسهولته"[3]. وقد استغرب الدكتور شوقي ضيف رأي الثعالبي هذا، ورأى أن الثعالبي بعدم ذكره قصائد ومقطوعات أخرى للخبز أرزي قد "فوّت على نفسه عملاً أدبيّاً ونقدياً جليلاً كان يمكن أن يضيفه لكتابه ولا ينقص منه، بل لعله يرفعه درجات" ويعلل لرأيه هذا لأن شعر الخبز أرزي "يحتوي مادة شعرية شعبية كان جديراً أنْ تُعرض كاملة، حتى يُرى مدى ما حدث من تطور في اللغة الشعبية البصرية بالقياس إلى الفصحى، سواء في جوانبها اللغوية أو الأسلوبية، ويُرى أيضاً

---

(1) مروج الذهب 4/ 352.
(2) 19/ 218.
(3) يتيمة الدهر 2/ 132.

مدى ما ظلّ بينهما من تواصل" ويرى الدكتور شوقي ضيف أنّ "هذا غاب عن ذهنه"[1].

4- قال صاحب الفهرست: "رقيق الألفاظ، غير بصير بصناعة الشعر"[2].

5- قال ابن الجوزي في المنتظم: " .... وكان فصيحاً أديباً"[3].

6- قال ابن خلكان: " ..... وكان ينشد أشعاره المقصورة على الغزل والناس يزدحمون عليه، ويتطرفون باستماع شعره، ويتعجبون من حاله وأمره"[4].

7- قال صاحب تاريخ الملك المؤيد: " .... كان أديباً راوية للشعر... وله الأشعار الفائقة..."[5].

8- قال صاحب النجوم الزاهرة: .... وكان له نظمٌ رائق....."[6].

9- قال جرجي زيدان: " .... لكنه كان مطبوعاً على الشعر......"[7].

10- قال الدكتور شوقي ضيف: " ..... كان عذب الشعر رقيقه...."[8].

هذه هي أهم آراء النقاد القدامى والمحدثين في شعر الخبزأرزي، وقد رأى معظمهم أنّ الخبز أرزي كان رقيق الشعر، مطبوعاً عليه، مجوّداً في البديهية، ولو أن ابن النديم يرى أنه على الرغم من رقة شعره، فهو غير بصير بصناعة الشعر، ويرى الرأي نفسه الثعالبي في اليتيمة.

---

(1) العصر العباسي الثاني، ص 509 وما بعدها.

(2) ابن النديم، ص 240.

(3) 6/ 329.

(4) وفيات الأعيان 5/ 376.

(5) تاريخ الملك المؤيد 2/ 80.

(6) ابن تغري بردي 3/ 276.

(7) تاريخ آداب اللغة العربية 2/ 164.

(8) العصر العباسي الثاني، ص 511.

الخاتمة

تناول هذا البحث دراسة حياة الخبز أرزي وشعره، وقد جاء في بابين:

أما الباب الأول من هذا البحث؛ فقد تناول دراسة حياة الخبز أرزي دراسة موضوعية، وذلك في فصلين:

كان الفصل الأول عن عصر الخبز أرزي، وقد أبنت في ذلك أنّ الحالة السياسية في مدينة البصرة كانت مضطربة اضطراباً شديداً، وقد أصاب البصرة كثير من الويلات والمصائب، من مثل: ثورة الزنج، والقرامطة، والولاة الفاسدين.

وعلى الرغم من هذه الحالة السياسية المضطربة؛ فقد كانت الحالة الثقافية مزدهرة إلى درجة كبيرة، وقد كثر الروّاد من أهل الثقافة، ورجال العلم.

وكان الفصل الثاني عن حياة الخبز أرزي، فتحدثت عن نشأته التي كانت في مدينة البصرة حيث خالط شعراءها وأدباءها، ومدح ولاتها وقضاتها، ثم انتقل إلى مدينة بغداد، وأقام بها زمناً،وهناك قرئ عليه ديوانه، وبينت أنه أحرز لقب "الخبز أرزي" من حرفته؛ فقد كان خبّازا يخبز الأرز بدكان له في مربد البصرة.

وتحدثت بعد ذلك عن ثقافته، وأوضحت أنّ الخبز أرزي على الرغم من أنه لم يكن يعرف القراءة والكتابة فإننا نجد في شعره ما يدلّ على أنه كان يلمّ بالثقافة الإسلامية والعربية.

ثم تحدثت عن صلته برجال عصره، ووضحت إلى أنّ الخبز أرزي قد اتصل بولاة البصرة، وقضاتها، وكبار رجالاتها، وتحدثت عن الأشخاص الذين تدور أسماؤهم في شعره.

بنهاية هذا الفصل انتهى الباب الأول الذي قصرته على دراسة حياة الشاعر دراسة موضوعية لتبدأ بعد ذلك الدراسة الفنية التي خصصت لها الباب الثاني، وقد قسمته إلى أربعة فصول:

بدأت الفصل الأول بعرض مصادر شعر الخبز أرزي التي روت لـه أشـعاراً غـير موجـودة في مخطوطة الديوان، وهي مصادر كثيرة أهمها: مـروج الـذهب ومعـادن الجـوهر، للمـسعودي، والمنصف في نقد الشعر لابن وكيـع، وكتـب الثعـالبي المختلفـة وعلـى رأسـها يتيمـة الـدهر، والإبانة عن سرقات المتنبي للعميدي، وتاريخ بغداد للخطيب البغـدادي، ومحاضـرات الأدبـاء للرّاغب الأصبهاني، والبديع في نقد الشعر لأسامة بـن منقـذ، والـدر الفريـد وبيـت القـصيد لمحمد بن أيدمر، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي، ووفيات الأعيـان لابـن خلكـان، والنجـوم الزاهرة لابن تغري بردي، ومعاهد التنصيص لعبد الرحيم العبّاسـي... وغيرهـا، وقـد بيّنـت أهمية كل مصدر من حيث انفراده برواية قصائد له، أو أبيات دون المصادر الأخـرى، أو مـن حيث سبقه في الرواية على غيره، وعدد الأبيات الـتي أوردهـا، ورتّبـت هـذه المـصادر ترتيبـاً تاريخياً بحسب تواريخ وفاة أصحابها مبتدئاً بأقـدمها منـذ القـرن الرابـع وحتـى نهايـة القـرن الثاني عشر الهجري.

وتحدّثت بعد ذلك عن رواة أشعار الخبز أرزي الذين ذكرتهم كتب الأدب؛ كالمعـافى ابن زكريا الجريري، وأحمد بن منصور النوشري، والقاضي التنوخي، وغيرهم.

وانتقلت من ذلك إلى بحث مشكلة اختلاط شعر الخبز أرزي واضـطراب روايتـه مـن حيث اضطراب الألفاظ ورسمها، ونسبة أبيات الشعر إليه وإلى غيره من الشعراء، واختلاف ترتيب الأبيات في المقطوعة أو القصيدة الواحدة، والخلط بين قصيدتين أو مقطوعتين من بحـرين مختلفين، وجعلهما قصيدة، أو مقطوعة واحدة، والخلط والاضـطراب في كتابـة الأبيـات وغـير ذلك من مظاهر الخلط والاضطراب في رواية شعر الخبز أرزي.

وتناولت في الفصل الثاني دراسة موضوعات شعر الخبـز أرزي، وقـد تـبين لـي خطـأ الذين زعموا أن شعره كان مقصورا على الغزل، وأوضحت أنه طـرق ألـوان الـشعر المختلفـة، وقد تحدثت بالتفصيل عن كل موضوع من موضوعات شعره.

وفي مديحه رأيت أنه لم يلتزم المقدمة الطللية في قصائده، كما أنه رسـم في هـذه القـصائد المدحية المثالية الخلقية المتوارثة، كما حرص على مدح ممدوحيه بالمعاني الإسلامية السامية، وقـد لاءم بين مدائحه وممدوحيه، وسجل بعض الحوادث التاريخية التي وقعت في مدينة البصرة، كمـا

إنه كان يستغل اسم الممدوح بتوليد معان جديدة للمديح، وكانت مدائحه مجالا لبث أحزانه وهمومه، كما كانت قصائده المدحية وسيلة للارتزاق والطلب، وكانت مجالا للفخر بشعره، كما كانت مجالا للدعاء للممدوح بالخير والصحة والعافية.

ونراه في شعر الحكمة يصدر عن نظرات صائبة في الحياة أوحت إليه بها تجاربه الإنسانية، ونلاحظ أن هذه النظرات مبثوثة في شعره في قصائد، أو مقطوعات مستقلة، أو أبيات مفردة، أو مبثوثة في أثناء قصائده التي قالها في موضوعات مختلفة.

وفي شعره الوصفي نجد تجاوبا وجدانيا بين الشاعر ومظاهر الطبيعة المختلفة.

وفي غزله تبيّن لي أنه قال في ألوان الغزل المختلفة، ويمكن أن يعدّ من أكبر شعراء الغزل في العصر العباسي، ووجدنا في شعره الغزلي بعض المعاني الطريفة والصور المبتكرة.

وأكثر الخبز أرزي من العتاب في شعره، وهو عنده في لونين أولهما: في عتاب الحبيب؛ أماً ثانيهما: ففي عتاب الصديق.

وبضاعة الخبز أرزي في فن الهجاء قليلة، وشعره في الهجاء هو إلى فن الوصف الساخر أقرب منه إلى فن الهجاء.

ولم يكن شعر التهنئة والهدايا عند الخبز أرزي في قصائد مستقلة إنما كان يقع في مقدمات قصائده في المديح، وفي مقطوعات قصيرة .

أمّا الرثاء فلم أعثر له إلاّ على مقطوعة واحدة وبيت شعر مفرد.

وقد شارك الخبز أرزي شعراء عصره القول في المجون، ونجد نزعته للمجون واضحة في بعض قصائده ومقطوعاته.

بعد ذلك انتقلت إلى الفصل الثالث، وحاولت فيه أن أستبين الخصائص الفنية العامّة في شعر الخبز أرزي؛ فتحدثت عن تأثره بالقرآن الكريم، وبالأحاديث النبوية الشريفة، وكان الاقتباس منهما من أهمّ خصائصه الفنية، كما تأثرّ أيضاً بالمعاني الإسلامية بعامة، وما حث عليه الإسلام من الالتزام بالأخلاق الكريمة، وعدم الركون إلى ملذات الحياة.

ورأيت كثرة المعاني الجديدة، والصور المبتكرة في شعره، وقد استطاع أن يلتقط لنا صوراً عديدة طريفة.

وقد أشرت إلى بعض المعاني، والصور التي أخذها الخبز أرزي من شعر غيره من الشعراء، وأشرت – كذلك– إلى أخذ بعض الشعراء بعض المعاني والصور من شعره، ثم ذكرت– بعد ذلك– الأبيات التي زعم بعض المؤلفين القدامى أنّ المتنبي قد أخذها من شعره.

وتحدثت بعد ذلك عن ظاهرة التجسيم في شعره، وقد رأيت أنّ التجسيم خصيصة مهمّة من خصائص شعره؛ فقد كان له مقدرة عجيبة على التجسيم، وهذا ينم عن قدرة فنية عند الخبز أرزي.

وقد رأيت، عند حديثي عن فنّ البديع في شعره، أن الخبز أرزي قد أحسن استخدام فن البديع، وقد زيّن أسلوبه الشعري بألوان البديع المختلفة، التي أكسبت شعره روعةً وجمالاً، مما يدلّ دلالة قاطعة على أنّ الطبيعة الفنية الموهوبة لم تكن تنقصه.

وقد استخدم الخبز أرزي الحوار في شعره، ونجده بكثرة في قصائده ومقطوعاته الغزلية، وكأنّه يريد أن يضع القارئ، أو المستمع، في الجوّ الذي قال فيه هذه القصائد والمقطوعات.

ودرست الموسيقى والأوزان، ولاحظت عنايته بالبحور القصيرة، وبمجزوءات البحور، وأرجعت ذلك إلى أن شعره كان ممّا يغنّى فيه.

وقد لاحظت بعد ذلك تلك السهولة المفرطة التي تميّز لغته، فهو لا يستخدم الصعب من الألفاظ، وإنّما يعمد إلى السهل المتداول، وقد لاحظت أنّ شعره يكاد يخلو من الجزالة، ولعلّ هذا ممّا يناسب طبيعة الشاعر الفنية، والثقافية؛ فقد كان أمياً لا يقرأ، ولا يكتب، كما كان شعره– في معظمه– ممّا يغنيّ فيه، والغناءُ يتطلب ألفاظاً سهلة ناعمة، كما تضمّن شعره كثيرا من العبارات المألوفة التي تجري على ألسنة العامة.

ونجد في شعره خروجاً على المألوف في قواعد اللغة العربية ليستكمل شعره– في الغالب– صورته الشعبيّة، وغايته في السهولة.

ثم تحدثت عن ظاهرة التكرار في شعره، ولاحظت أنّه في بعض القصائد والمقطوعات يكرّر المعنى الواحد بطرق مختلفة، ويصوغه بما يناسب الوزن والقافية.

وانتقلت بعد ذلك إلى الحديث عن وحدة القصيدة في شعر الخبز أرزي، إذ لاحظت أنّ بعض قصائده مترابط الأجزاء، تام الوحدة، متكامل البناء.

ثم تحدّثت أخيرا عن بعض عيوب شعر الخبز أرزي، كالمبالغة التي تخرج عن المعقول، وكالتشبيهات القبيحة، واستخدام بعض الكلمات المولّدة غير الفصيحة، وأشرت إلى بعض المآخذ اللغوية والنحوية، كما أشرت – كذلك – إلى بعض عيوب الوزن، والقافية.

وبذلك أنهيت الحديث عن الخصائص الفنيّة العامّة في شعر الخبزأرزي.

وقد خصصت الفصل الرابع والأخير للحديث عن ديوان الخبز أرزي، وذكرت أنّ ديوانه من دواوين الشعراء العباسيين المشهورة التي تحدّث عنها القدماء، وأشاروا إليها، وذكرت أقوال القدماء عن الديوان، ثم تحدثت عن مخطوطة الديوان الفريدة التي عثرت على صورة منها في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، وهي نسخة فريدة صوّرت عن نسخة عثرت عليها بعثة المعهد بمكتبة الأحقاف بمدينة تريم بجمهورية اليمن الجنوبية، وقد كتبْتُ وصفاً لها، وأوردتُ بعض ملاحظاتي عليها.

ثمّ ذكرتُ – بعد ذلك – آراءَ النّقاد في شعر الخبز أرزي، وقد رأى معظمهم أنّ الخبز أرزي كان رقيق الشعر، مطبوعاً عليه، مجوّدا في البديهية.

واعتقد أنّ هذا البحث- الذي هو، في حدود ظني، أوّل دراسة جادّة عن حياة الخبز أرزي وشعره قد توصل إلى بعض النتائج الجديدة منهاإثبات أن شعر الخبزأررزي لم يكن مقصوراً على الغزل، كما زعم بعض النقاد القدامى والمحدثين؛ إنّما كان الغزل غرضاً من بين أغراض كثيرة نظم فيها الخبز أرزي.

ومنها، أن الخبز أرزي كان بصيراً بصنعة الشعر على عكس ما زعم ابن النديم صاحب الفهرست.

ومنها، إثبات أنّ الطبيعة الفنيّة الموهوبة لم تكن تنقصه، ولم يكن شعره سفسافا، كما زعم الثعالبي في يتيمة الدهر.

ومنها، إثبات أنّ الخبز أرزي كان ينظم باللغة العربية الفصحى، وليس بعامية البصرة في عهده على الرغم من أنه كان أميا لا يقرأ ولا يكتب.

ومنها، إثبات أن الخبز أرزي لم يكن يقدّم شعره للجمهور فحسب؛ بل قدمه أيضاً للطبقة الارستقراطية، وكان يعرض شعره على الولاة والقضاة للتكسّب به، على عكس ما

ذكره الدكتور شوقي ضيف من أنّه لم يكن يحترف صنع الشعر للتكسّب به وعرضه على الخلفاء وغير الخلفاء ليمنحوه الجوائز المالية الضخمة، فهو ليس ممّن يقدمون شعرهم للطبقة الارستقراطية إنما هو شاعر شعبي يقدّم أشعاره للجمهور...".

كل هذا يمكن أن يُقال عن الجديد في هذا البحث، الذي أرجو أن يكون إضافة متواضعة إلى المكتبة العربية، وإذا وُجِدَ فيه بعض النّقص، فهذا عجزي، ولست أنسب الكمال إلى لنفسي، وحسبي أني جهدت وحاولت....

والله ولي التوفيق.

ملحق رقم 1

بحث منشور في مجلة "الأطام" وهي إصدارة دورية ثقافية يصدرها النادي الأدبي بالمدينة المنورة والبحث محاضرة أدبية ألقيت بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

قراءة نقدية في شعر شاعر أمي

مصطفى حسين عناية

حين سئل الشاعر أحمد الجمّال الظفري، الذي كان يعمل حمالاً في السوق بوصل الأشياء إلى أصحابها، وكان أمياً، لا يعرف القراءة والكتابة، ولا يعرف من الأدب شيئاً، ولكن كانت له قريحة جيدة وطبع حسن في نظم الشاعر وسبكه، عن أدوات الشعر التي يتقنها، قال:

ولستُ بعارفٍ خطأً ونحواً ... ولا لي في العروض يدٌ تفيد

ولكن إذا ما قلت شعراً ... تعجب من فصاحته لبيدُ

وله قصيدة طريفة يصف فيها "كرزنته" وهو ما يحمله على ظهره للحمل، يقول في أولها:

ولي كرزن من خفيف المتاع ... أعددته من أذى الحمل جُنَّه[1]

ولكن الشاعر الذي سنتحدث عن شعره ليس الحمال الظفري هذا، إنما هو الخبز أرزي الشاعر نصر بن أحمد البصري[2]، وكان أمياً لا يعرف القراءة والكتابة، واكتسب لقبه لأنه كان خبازاً يخبز الأرز بدكان له في مِربَد البصرة، وأجمعت المصادر التي تحدثت عنه على أنه كان أمياً لا يَتَهَجّى ولا يكتب، وعلى ما يبدو؛ فإن نشأته كانت بالبصرة حيث خالط شعراءها، وأدباءها، ثم انتقل إلى مدينة بغداد وأقام بها زمناً، وهناك قرئ عليه ديوانه.

ولم تذكر المصادر شيئاً عن حياته سوى أنه كان يخبز خبز الأرز بمربد البصرة، وكان ينشد أشعاره، والناس يزدحمون عليه، ويتطرفون باستماع شعره، ويتعجبون من حاله وأمره، وذكرت معظم المصادر أن وفاته كانت سبع عشرة وثلاث مئة ما عدا ياقوت الحموي الذي ذكر أنه توفي سنة عشرين وثلاث مئة، والأرجح أنه

---

(1) مقدمة كتابة الدر الفريد وبيت القصيد – محمد بن أيدمر – تحقيق د. مصطفى حسين عناية 1/ 364 – دار التركي للطبع – طنطا – 1417هـ/ 1997م.. وانظر طبعة عالم الكتب الحديث – إربد 2013م

(2) انظر ترجمته في: مقدمة ديوانه تحقيق د. مصطفى حسين عناية، ويتيمة الدهر للثعالبي 2/ 132، ووفيات الأعيان لابن خلكان 5/ 376، ومعجم الأدباء 19/ 218، والنجوم الزاهرة 3/ 276، وتاريخ بغداد للبغدادي 13/ 296.

توفي سنة ثلاثين وثلاث مئة؛ لأنه كان حياً في خلافة المتقي لله بن المقتدر الذي بويع سنة تسع وعشرين وثلاث مئة، وخلع وسملت عيناه سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مائة.

وعلى ما يبدو، فقد اتصل برجال عصره من ولاة وقضاة وشعراء، وممن تدور أسماؤهم في شعره أبو الحسن محمد بن يزداد، الذي تولى البصرة سنة خمس وعشرين وثلاث مئة، وقد أفرد له الخبز أرزي القصائد الطويلة.

وعندما تحولت البصرة إلى البريديين اتصل الخبز أرزي بهم ومدحهم في أكثر من قصيدة.

وعلى ما يبدو؛ فقد أفاد كثيراً من اتصاله برجال عصره من أدباء، وشعراء، وقضاة وولاة، وما كان يدور في مجالسهم إذ نجد في شعره ما يدل على أنه كان يلم بالثقافة العربية والإسلامية ونراه يعرض لبعض الأسماء التاريخية والدينية والعلمية.

وسيحاول هذا البحث إبراز أهم الظواهر الفنية الأسلوبية في شعر هذا الشاعر، وبالطبع، لن تكون هذه المحاولة ممكنة إلا بالتوفر على النصوص الأدبية المبثوثة في ديوانه، وفي كثير من كتب التراث، وفي اعتقادي أن خير وسيلة نصل بها إلى هذه الظواهر الفنية لشعر هذا الشاعر على الرغم من أميته، ومن فقدانه لآلات الشعر وأدواته وعدده، هي أن ندخل مباشرة إلى قراءة شعره، إذ تتوفر نصوصه الشعرية على جماليات فائقة الأهمية من حيث صنعة الشعر بوصفها موهبة ودربة وليس آلات وعدداً، وأدوات.

وعلى ما يبدو فإن هذا الشاعر كان من أسرع الشعراء بديهة وارتجالاً، رُوي أنه دخل على أبي الحسين أحمد بن الحسن بن المثنى، وكان من رجال البصرة المعدودين في زمانه، وذلك في إثر حريق المِرْبَد، فقال له أبو الحسين: يا أبا القاسم: ما قلت في حريق البصرة؟ قال الخبز أرزي: ما قلت شيئاً.
فقال له: له يَحْسُن بك وأنت شاعر البصرة والمِربَد من أجَلِّ شوارعها، وسوقه مِنْ أجَلِّ أسواقها، ولا تقول فيه شيئاً؟

فقال: ما قلت شيئاً، ولكن أنشدك ارتجالاً:

أتـــتكُمْ شـــهودُ الهـــوى تـــشهدُ ... فمـــا تـــستطيعون أن تجحـــدوا

فيـــا مِربـــديون ناشـــدتكم ... علـــى أنـــني مـــنكم مُجْهَـــدُ

جَـــرى نفـــسي صُـــعَداً بيـــنكم ... فـــأحْرَق مـــن ذلـــك المِرْبَـــدُ

وهاجـــت ريـــاح حنـــيني لكـــم ... فظلـــت بهـــا نـــارُهُ توقـــدُ

ولــــولا جَــــرَت أدمعــــي لم يكــــن

حــــــريقكم أبــــــداً يُخمَـــــدُ[1]

ونجد في هذه الأبيات نغمة تشبع فيها الدعابة التي لم تكن تنقص الشاعر.

والملاحظة التي أريد متابعتها قبل الحديث عن هذه الظواهر الفنية أنا نحسّ، حين قراءتنا لكثير من مقطوعاته الشعرية، بهجة تعترينا، وأن كثيراً من أبياته الشعرية يقدم بين أيدينا دَفقاً من الدهشة الجمالية التي هي بهجة إبداعية جمالية مما يجعلنا نعجب بمقدرة الشاعر ومهارته –على الرغم من أميته– على الإتيان بمثل هذا الإبداع، ولنقرأ مثلاً هذه المقطوعة المشهورة التي ما زال صداها يدوي بين كثير من الناس مع أنهم لا يعلمون أن قائلها هو شاعرنا الأمي الخبز أرزي:

رأيــــت الهــــلالَ ووجـــه الحبيــــب

فكانـــــا هلالــــين عنــــد النظــــرْ

فلــــم أدرِ مــــن حَيْرتــــي فيهمــــا

هــــلالَ الــــدُّجى مــــن هــــلالِ البــــشرْ

ولــــولا التّــــورّدُ في الــــوجنتين

ومــــا راعــــني مــــن ســــواد الــــشّعَر

لكنــــتُ أظــــنّ الهــــلال الحبيــــب

وكنــــتُ أظــــنّ الحبيــــبَ القمــــرْ

والمتلقي حين يستمع إلى هذه المقطوعة تعتريه هزة محببة ربما تعود إلى ما أسماه الجاحظ كثرة الماء وصحة الطبع أو ما أسماه البلاغيون "حسن السبك" وهو أن يكون المعنى في البيت محتاجاً إلى جميع لفظه غير مستغنٍ عن كلمة منه تأتي حشواً أو يتم بها الشاعر نظم البت من غير افتقار إليها.

وأنا لا أزعم أنّ هذا الشاعر قد حظي بمرتبة عالية من الأسلوب واللغة والإيقاع والانفعال، وعلى الخصوص إذا وازنا بين شعره وشعر معاصريه كالبحتري وابن الرومي والمتنبي، ولكنني أزعم أنه أوتي موهبة شعرية كبيرة لم تمنعه أميته من استغلالها، بل إن هذه الأمية أوجدت له شهرة كان جديراً بها وهي موهبة أدهشت معاصريه حتى جعلت أحد أكبر معاصريه من الشعراء والرواة والنقاد يجلس إليه ويجمع شعره ويكتبه، وهذا الشاعر والراوية والناقد هو ابن لنكك البصري الذي قال عنه الثعالبي في يتيمة الدهر: فَرْدُ البصرة، وصدر أدبائها، وبدر ظرفائها في زمانه، والمرجوع إليه في لطائف الأدب وظرائفه طول أيامه.

---

[1] نشوار المحاضرة –أبو علي المحسن التنوخي 3/ 146.

وعلى ما يبدو فإن بزوغ شمس المتنبي قد أدى إلى أفول نجم ابن لنكك هذا فتحول من أشهر شعراء الحكمة في عصره إلى شاعر هجاء، وهو الذي زعم في شعره أن المتنبي وأباه كانا سقاءين في الكوفة[1].

وكان بينهما مداعبات كثيرة إذ روي أن ابن لنكك وجماعة من أدباء البصرة وعلمائها قد زاروا الخبز أرزي في يوم عيد، فكان يخبز خبز الأرز في دكانه فجلست الجماعة عنده يهنئونه بالعيد ويتعرفون أخباره، وهو يوقد النار فزاد في الوقود فدخنهم، فنهضت الجماعة عند تزايد الدخان؛ فقال الخبز أرزي لابن لنكك: متى أراك يا أبا الحسين؟ فقال له: إذا اتسخت ثيابي، فكانت ثيابه يومئذ جديدة على أنقى ما يكون من البياض للتجمل بها في العيد فمشوا إلى دار صديق لهم، فقال ابن لنكك: يا أصحابنا إن نصراً أي الخبز أرزي لا يُخلي هذا المجلس الذي مضى لنا معه من شيء يقوله فيه، ولحب أن نبداه قبل أن يبدأنا، واستدعى دواة وكتب:

لنصرٍ في فؤادي فرطُ حبٍّ ... أنيفُ به على كل الصِّحاب
أتيناه فبخرنا بخوراً ... من السَّعف المدخن للثياب
فقمتُ مبادراً وظننت نصراً ... أراد بذاك طردي أو ذهابي
فقال: متى أراك أبا حسين ... فقلت له إذا اتسخت ثيابي

وأنفذ الأبيات إلى الخبز أرزي فأملى جوابها:

فإذا هو قد أجاب:

منحتُ أبا الحسين صميم ودي ... فداعبني بألفاظ عذابِ
أتى وثيابه كقتير شيبٍ ... فعُدْنَ له كريعان الشبابِ
ويبغض للمشيب أعدّ عندي ... سواداً لونه لون الخضاب
فقلت متى أراك أبا حسين ... فجاوبني إذا اتسخت ثيابي

[1] يتيمة الدهر 2/ 116.

وله يقول الخبز أرزي معاتباً:

لِمَ لا ترى لصداقتي تصديقا فينا ولم تدعُ الصديق صديقا

ذو العقل لا يرى بوسم صداقة حتى يرى لحقوقها تحقيقا

إن غاب غاب محافظاً أو حَلَّ كا ن مداهنا أو قال كان صدوقا

ولنعد الآن مباشرة إلى قلب شعره إذ نرى أن كثيراً من معانيه وصوره تتسم بالطرافة والجودة والابتكار وكما أنه يعبر عما يريد بطريقة مثيرة للإعجاب، خذ هذا البيت الفريد المتكامل على الرغم من سهولته إذ يصوّر فيه حاله بعد أن نال ما يريد:

فمن شغل قلبي بما نلتُهُ ذهلت به عن جميع الأمور

فهو تعبير سهل موفق بين ثقافة الشاعر ومادته الشعرية وهو معنى مبتكر أخذ من حياته السهلة وانظر إلى قوله في رثاء أحد الكبراء:

فإن كان لم يحتل قبراً نزوره فإن له في قلب كل امرئ قبراً

وهو معنى جديد تبرز فيه دقة التفكير، وبراعة الخيال. ومن بين هذه المعاني التي ابتدعها هذا الشاعر الأمي قوله:

ولو حزّ بالسيف رأسي في محبتكم مال يهوي إليكم مسرعاً راسي

ولو بلى تحت أطباق الثرى جسدي لكنت أبلى وما قلبي لكم ناسي

ومن معانيه المبتكرة قوله مصوراً حظه في الحب:

ولما رأيت الحُبَّ قَدْ مُدَّ جسرُه ونودي بالعشاق ويحكمُ فروا

فبادرتُ نحو الجسر كيما أجوزُه فأدركني الحرمان وانقطع الجسرُ

ومن هذه المعاني الطريفة قوله:

وبِـــن طـــاعتي إيـــاه يمطـــرُ نـــاظري
إذا هـــو أبـــدى مـــن ثنايـــاه لـــي برقـــا[1]

فجاء في هذا البيت بما يشاكل بعضه بعضاً ويتعلق اللفظ به كما يقول ابن وكيع ومن ذلك قوله:

وكـــذاك نـــيرانُ القلـــوبَ إذا التظـــت
يومـــاً تنـــشف في العيـــون المـــاء

فجعل صلة بين نشف ماء العيون ونار القلوب، وفي بيته مطابقة لطيفة بين الماء والنار، وقوله:

لـــو أن ذا القـــرنين في ظلماتـــه
ورآه يـــضحك لاستـــضاء بثغـــره

وقوله مصوراً معنى من ارتحل فخلف قلبه عند من يحب:

أنـــا غائـــب والقلـــبُ عنـــد حاضـــر
ســـافرتُ عنـــك ومـــا الفـــؤاد مـــسافرُ

ومن معانيه العذبة اللطيفة قوله مصوراً جمال من يحب:

ولـــو لم يكـــن بـــدر الـــدجى ذا وقاحـــة
لمـــا كـــان في أرض بهـــا أنـــت يطلـــعَ

ومن ذلك قوله مصوراً حزنه وأساه، وقد أحسن في ذلك وأجاد:

إن نفـــسي تـــذوب في كـــل يـــوم
حـــسرات ومـــن جفـــوني تـــسيلُ

ولنستمع إليه في هذه الصورة الطريفة مصوراً تسويف من يحب وبما طللته:

خَلّيـــتني ضـــائعاً والحـــالُ حائلـــةٌ
ورُمـــتَ في الكيـــلِ بخـــساً بعـــد تطفيـــف

أسـنى العـوارف مـا يـأتي الزمـان بـه
عفـــواً وطوعـــاً بـــلا مطـــلٍ وتـــسويفِ

إذا أســـاء وضـــيعُ القـــدر خاملُـــهُ
إلـــي لم يَخْـــلُ مِـــنْ لـــومٍ وتعنيـــف

---

(1) المنصف في نقد الشعر، ص 121.

ومن ذلك أيضا هذه الصورة التيّ التقطها من الحياة العامة:

إلى كـــــم أذلُّ واســـــتعطفُ
وأنــــت تجـــورُ ولا تُنـــصفُ

أعيــذك مـــن ظــالم غاشــم
ســوى الخُلــفِ في الوعــد لا يعــرفُ

ولــي مهجــة أنــت أتلفتهــا
عليــك غرامــةُ مــا تتلــفُ

ومن ذلك أيضا:

كــن في الجماعــات حيــث كــانوا
فــالموتُ عُــرْسٌ مــع الجميــع

ومن ذلك معنى التسلي عمن رغب في غير حبيبه:

اذهــب وهبتُــك للــذين اخترتهــم
هبــة الكــريم فإنــه لا يرجــع

ومن ذلك تصويرُ ضياع النصح لمن لا يقبله:

إن كــان حمــدي ضــاع في نــصحكم
فــإن أجــري لــيس بالــضائع

وفي تصوير الظالم المتظلم:

ظلمــت ســراً وتــستعدي علانيــة
ألهبتَ نــاراً وتــستعفي مــن اللــهب

وفي ذم من اعتذر فأساء يقول الخبز أرزي:

وكــم مــذنب لمــا أتــى باعتــذاره
جنــى عــذرُه ذنبــاً مــن الــذنب أعظمــا

ويقول شاعرنا في تصوير الأحوال الشاقة التي تُبْلَغُ بها الرئاسة:

فقـــل لمُرَجــي معــالي الأمــور
بغــير اجتهــاد طلبــتَ المحــالا

ومن صوره اللطيفة ومعانيه الطريفة ما وصف به القد:

أهيــــفُ يحكـــــي بقَـــدّه الألِفـــا
يَخْـــسَرُ مَـــنْ لم يكـــن بـــه كَلِفـــا

لـــو أبـــصر الوجـــه منـــه منهـــزم
يطلبـــه الـــفُ فـــارسٍ وقفـــا

ولنا أن نتخيل هذا المحبوب بقده المستقيم وهو واقف وقد رآه منهزم يلحقه ألف فارس ثم حين يراه يذهله جماله فيقف ناسياً ما هو فيه.

ومن هذه الصور والمعاني الطريفة ما قاله في الزيارة:

خليلـــي هـــل أبـــصرتما أو سمعتمـــا
بـــأكرم مـــولى تمـــشي إلى عبـــد

أتـــى زائـــراً مـــن غـــير وعـــد وقـــال لـــي
أصـــونك مـــن تعليـــق قلبـــك بالوعـــد

ومن ذلك هذه الصورة التي يوازن فيها بين عيني محبوبة و زهور النرجس:

وشـــكل عينيـــكَ شـــكل النـــرجس
حتـــى حـــار مـــن كـــان في المجلـــسْ

أبـــصرَ عينيـــكَ فـــانثنى خجـــلاً
فهـــو لفـــرط الحيـــاء قـــد نُكِّـــسْ

لـــو اســـتطاع الكـــلام قـــال: كـــذا
كـــان ولكـــن لـــسانه أخـــرسْ

وتتسم الأبيات التي ذكرناها كلها بالإيجاز البالغ في التعبير عن معانٍ متداولة بين الناس جميعهم، والتي نماها الشاعر، وأضاف إليها من فنه، وأضفى عليها من وجدانه، وطبع نفسه، مما بعث فيها الحياة، فأصبح صاحبها بلا منازع.

وإذا ما وازنا بين أسلوبه في التعبير عن هذه المعاني وأسلوب معاصريه كابن الرومي والبحتري لرأيناه يفوقهم روعة في التعبير الموجز عن هذه المعاني المتداولة.

وهو يستعين بالتشبيه والاستعارة لإتمام صوره الفنية من مثل قوله:

قلـــبي كـــأن أســـيراً قـــد أحـــاط بـــه
جـــيش مـــن الكـــرب لا يُحـــصى لـــه عـــددُ

فيشبه قلبه بالمقاتل الذي وقع أسيراً في أيدي الأعداء الذي هم جيش من الأحزان لا يحصى عدد أفراده.

وخذ قوله في الحديث عن جمال صاحبته:

ضياء كأن الصبح يجلوه وجهها
لنا وكأن الليل يدجيه شعرها

فنور الصباح من بياض وجه صاحبته، وسواد الليل من سواد شعرها.

ومثل قوله:

فإذا بدا بلوائه فكأنهم
أسراءُ قد بَصروا بوجه أميرِ

فهو يشبه من يحب حين يطلع على عاشقيه بالأمير، ويشبه عاشقيه بالأسرى الذين بهتوا لجماله فأصبحوا له أسرى.

ومن صوره اللطيفة قوله واصفاً تفاحة من لونين:

وتفاحة من سوسن صيغَ نصفُها
ومن جُلّنارٍ نصفُها وشقائق

كأن الهوى قد ضمّ من بعد فرقةٍ
بها خد معشوق إلى خد عاشقِ

ومن تشبيهاته البديعة قوله يصف رقة البشرة:

كاللؤلؤ الرطب لونُ ظاهرِهِ
وفيه ماءُ العقيق قد بطنا

ومن استعاراته البديعة التي أعجب بها علماء البلاغة القدامى والمحدثون قوله:

لما نظرتِ إليَّ مِنْ حَدَقِ المها
وبَسَمْتِ عن متفتح الأنوارِ

وعقدتِ بين قضيب بانٍ ناعمٍ
وكثيب رملٍ عقدةَ الزُّنّارِ

وقد أعجب ابن الأثير بهذه الصورة قائلاً: "وهذه الأبيات لا تجد لها في الحسن شريكاً"[1]. وكأنه استكثر على الخبز أرزي أن يقولها فنسبها إلى ديك الجن الحمصي، وهي بشعر الخبز أرزي أشبه. يقول الدكتور أحمد مطلوب: وهذه الاستعارة من رائع الاستعارات[2].

وعلى الرغم من الصور الحسية التي تسيطر على الصور السابقة إلا أن السامع أو القارئ لا يسعه إلا أن يعجب بها، ويرى أنّ هذا الشاعر الأمي قد أوتي موهبة شعرية رائعة.

والحقيقة، فإن معانيه المبتكرة، وصوره الطريفة أكثر من أن تحصى في شعره، ولا شك أنه أفاد في بعضها من الشعراء الذين سبقوه لكنها في معظمها من ابتكاره.

وعلى ما يبدو فإن كبار الشعراء كانوا ينظرون إلى شعره، ويفيدون منه، ويعتمدون على بعض معانيه لعلمهم أنه خباز مغمور خامل الذكر، وأن العلماء لا يشغلون أنفسهم به وبرواية شعره، وقد ذكرت كتب التراث أن المتنبي على رأس هؤلاء الشعراء الذين نظروا إلى معانيه وصوره، وباب النظر إلى شعر الآخرين لا يقدر أحد من الشعراء أن يدعي السلامة منه، كما يقول ابن رشيق القيرواني. وسأورد فيما يأتي بعض الأبيات التي ذكرت كتب التراث أن المتنبي قد نظر في أبيات الخبز أرزي، وأكتفي بتعليقات تلك الكتب على هذه الأبيات[3].

قال الخبز أرزي:

ومِـنْ طـاعتي إيـاه يمطـرُ نـاظري
إذا هـو أبـدى مـن ثنايـاه لـي برقـا

وقال المتنبي بعده:

وإذا سـحابة صـد حُـبٌ أبرقـت
تركـت حـلاوة كـل حـب علقمـا

وقد نص ابن وكيع في كتابه: المنصف في نقد الشعر أن بيت الخبز أرزي أصحُ أقساما من بيت المتنبي فجاء بما يشاكل بعضه بعضاً.

وقال الخبز أرزي:

فـإن كـان لم يحتـل قـبراً نـزوره
فـإن لـه في قلـب كـل امـرئ قـبراً

(1) المثل السائر 2/ 106.

(2) فنون بلاغية، ص 132.

(3) أنظر الأبيات في المنصف، ص 115، والإبانة عن سرقات المتنبي للعميدي، ص 29، والصبح المنبي للبديعي، ص 621.

وقال المتنبي:

حتى أتوا جدثاً كأن ضريحه
في قلب كل موحد محفورا

وقال الخبز أرزي:

أنا غائب والقلب عندك حاضر
سافرت عنك وما الفؤاد مسافر

وقال المتنبي:

وإني عنك بَعْدَ غَدٍ لغادٍ
وقلبي عن فنائك غيرُ غادِ

قال الخبز أرزي:

وليس سُكناي نقصاناً لمنزلتي
فيكم كما الدر لا يزري به الصَّدفُ

وقال المتنبي بعده:

لو كان سُكناي فيك منقصة
لم يكن الدُّر ساكنَ الصُّدَفِ

وقال الخبز أرزي:

أنا في بحر جدواه
غريق بين أمواجِ

وبِنْ قلة ما أثني
عليه صرت كالهاجي

وقال المتنبي بعده:

وَعُظْمُ قدرك في الآفاق أوهمني
أني لِقِلَّةِ ما أثنيتُ أهجوكا

وقال الخبز أرزي:

ولو استطعتُ حجبتُ لفظك غَيْرةً
إني أراه مقبّلاً شفتيكا

وقال المتنبي:

أغـــار مـــن الزجاجـــة حـــين تجـــري
علـــى شـــفة الأمـــير أبـــي الحـــسين

وقال الخبز أرزي:

كأنمـــا كـــلّ ثكلـــى وهـــي باكيـــة
تبكـــي بعـــيني وتـــضني مـــن ضـــني جـــسدي

وقال المتنبي:

تلـــح جفـــوني بالـــدموع كأنمـــا
جفـــوني لعـــينيّ كـــل باكيـــة خـــدّ

وقال الخبز أرزي:

إذا ابتـــسمت أحيّـــتْ نفوســـاً وأطربـــت
قلوبـــاً وقـــوّت جـــسم كـــل عليـــل

وغـــيرُ جميـــل أن أعـــافى وجـــسمُ مَـــنْ
كلفـــتُ بـــه يبقـــى كجـــسم عليـــلِ

وقال المتنبي:

بـــأدنى ابتـــسام منـــك تحيـــا القـــرائح
وتقـــوى مـــن الجـــسم الجـــريح الجـــوارح

وإن محـــالا إذ بـــك العـــيش أن أرى
وجـــسمك مُعْتَـــلٌ وجـــسمي صـــالح

وهناك عشرات الأبيات للمتنبي أزعم كما قلت قبل قليل بينها وبين أبيات الخبز أرزي صلة رحم، وهي مبثوثة في كثير من كتب التراث، ولو أن الأستاذ الدكتور محمد مصطفى هدارة قد أنكر ذلك وقال: إن ابن وكيع شديد التحيز ضد المتنبي[1].

وقد لاحظت في شعره ملحوظة عجيبة، وهي أنّ الشاعر قد فهم فنّ البديع ووظف جميع ألوانه لخدمة معاني شعره، وعلى ما يبدو فإن قراءة ألوان البديع المختلفة في شعره تترك في نفوسنا انطباعاً إيجابياً نحو فن شعر شاعرنا، وقد تفوق على كثير من الشعراء باستخدامه البديع وألوانه، وهو من المتفوقين في استخدام الزخارف الفنية في تزيين أسلوبه الشعري، وقد أكسب هذا البديع شعره جمالاً وروعة مما يدل دلالة قاطعة على

---

(1) مشكلة السرقات في النقد العربي 197.

انّ الطبيعة الفنية لم تكن تنقصه، وهو أكبر شاعر بعد أبي تمام استخداماً لألوان البديع المختلفة، ولا أبالغ إذا قلت إن قصائده ومقطوعاته وأبياته لا تكاد تخلو من لون بديعي أو أكثر من لون واحد في البيت الواحد أحيانا، وقد استخدم كل ألوان البديع المعروفة حتى عصره، والطباق والجناس أكثر ألوان البديع استخداماً وكان أحياناً يمزج في شعره بين هذين اللونين مثل قوله:

كَـمْ أنـاسٍ وفـوْا لنـا حـين غـابوا

وأنـاسٍ جفـوْا وهـم حُـضّارُ

عرّضـوا ثـم أعرضـوا واستمالوا

ثـم مالوا وجاوروا ثـم جاروا

وعلق الدكتور شوقي ضيف رحمه الله على البيتين قائلاً: إن هذه الأبيات تدل على أنه كان يفقه صنعة الشعر وصناعة البديعيين فيها فقهاً حسناً[1].

كما استخدم لوناً طريفاً من الجناس سماه البلاغيون جناس الإشارة وهو ألاّ يظهر التجنيس باللفظ بل بالإشارة ومثل له بقول الخبز أرزي:

فليتَ اسم موسى فوقها متمكّن

وإن غابَ موسى فاسم هارون

ولا أدري إن كان أحد من الشعراء قد سبقه إلى هذا اللون من الجناس.

وقد استخدم في شعره كل ألوان الجناس والطباق المعروفة.

وكان التلميح من ألوان البديع الطريفة التي أحسن الشاعر استخدامها وهو أن يشير الشاعر إلى آية كريمة أو إلى قصة أو شعر أو مثل سائر مثل قوله:

أستودِعُ الله أحباباً فجعتُ بهم

بانوا وما زودوني غير تعذيب

بانوا ولم يقضِ زيدٌ منهمُ وطراً

ولا انقضت حاجة في نفس يعقوب

وكان التجاهل من الفنون البديعية التي استخدمها الخبز أرزي في شعره وهو أن يقول الشاعر: لا أدري، أو يستفهم ببعض حروف الاستفهام وذلك مثل قوله:

والله ما أدري بأي صفاته

أسَرُ القلوبَ فأوثقتْ في أسْرِهِ

---

[1] العصر العباسي الثاني، ص 510.

ابوجهــــه أم شَـــعْرِه أم نحـــرِه

امْ قـــدِّهِ أم ردفِـــه أم خـــصْرِه

واستخدم الخبز أرزي في شعره ما أسماه البلاغيون (العكس)، وقد عرفه صاحب الصناعتين بقوله: أن تعكس الكلام فتجعل في الجزء الأخير منه ما جعلته في الجزء الأول، وبعضهم يسميه: التبديل:

جهلـــتَ ولم تعلـــم بأنـــك جاهـــلٌ

فمــنْ لــي بــأن تــدري بأنــك لا تــدري

وقد أورد أسامة بن منقذ هذا البيت في باب الإغراق[1].وقد نسبته بعض المصادر إلى شاعر آخر غير الخبزأرزي.

واستخدم أيضاً الترصيع:

واستخدم الازدواج، والسابق واللاحق والتداول والتناول.

واستخدم كذلك التضمين مما يدل على أنه كان يحفظ أشعار الشعراء الآخرين من مثل قوله:

أقـــول لنعمـــان وقـــد ســـاق طبُّـــهُ

نفوســـاً نفيـــساتٍ إلى بـــاطن الأرض

"أبـــا منـــذرٍ أفنيـــتَ فاســـتبق بعـــضنا

حنانيك بَعض الشعر أهون من بعض"

والبيت الثاني المضمّن لطرفة ومن ذلك قوله:

أبكـــي لـــشجوي ولا أبكـــي لمنزلـــةٍ

"أخنـــى عليـــه الـــذي أخنـــى علـــى لبـــدٍ"

والشطر الثاني المضمن للنابغة الذبياني.

واستخدم في شعره ما اسماه البلاغيون تأكيد المدح بالاستدراك مثل قوله:

هـــو البـــدرُ إلاّ أنّ فيـــه بـــدائعاً

مـــن الحـــسن ليـــست في هـــلالٍ ولا بـــدرِ

وكان التقسيم من الفنون البديعية التي أحسن الخبز أرزي استخدامها في شعره مثل قوله:

ببـــدرين: مـــن بـــدر الـــسماء ووجههـــا

ولـــيلين: مـــن ليـــلٍ ومـــن فرعهـــا الجعـــدِ

والشطر الثاني يذكرنا بقول أحمد شوقي:

ودخلـــت في لــيلين فرعـــك والـــدجى.

وأجاد الشاعر ببراعة بارعة استخدامَ المبالغة والإغراقِ والغلو، وهو كثير في شعره كثرة مطلقة ومن أطرف ما قاله في هذا اللون:

كـــلُّ الهـــوى صـــعبٌ ولكـــنني
بُليـــت بالأصـــعبِ مـــن أصـــعبهْ

أذابـــني الحـــبُ فلـــو زُجَ بـــي
في نـــاظر النـــائم لم ينتبـــهْ

وكـــان لـــي قبـــل الهـــوى خـــاتم
فـــالآن لـــو شـــئت تمنطقـــت بـــهْ

وزارنـــي طيفُـــك حتـــى إذا
أراد أن يمـــضي تعلقـــت بـــهْ

يـــا مـــن إذا أقبـــل قـــال الـــورى
هـــذا أمـــيرُ الحـــسن في موكبـــهْ

عبـــدك لا تـــسألْ عـــن حالـــهِ
حـــل بأعـــدائك مـــا حـــك بـــه

واستخدم لون التفويف في قوله:

يرمـــي العيـــون ويـــستدعي القلـــوب
ويستصفي العقول ويستولي على المهج

وحسنُ التعليل من الألوان البديعية التي نجدها بكثرة في شعره مثل قوله:

شـــكوتُ إلى إلفـــي سُـــهادي وعَبرتـــي
فقلـــتُ احمـــرارُ العـــين يخـــبرُ عـــن وجـــدي

فقـــال: مُحـــالٌ مـــا ادّعيـــت وإنمـــا
قطفـــتَ بعينيـــك التـــورد مـــن خـــدي

واستخدم التسجيع في شعره أيضاً:

والفـــرعُ مـــن ســـبجٍ والخـــدُّ مـــن ضـــرج
والطّـــرفُ مـــن غـــنجٍ يلقـــاك وســـنانا

وبرع كثيراً بالاستهلال وهو أن يكون في الابتداء إشارةٌ إلى ما سبق الكلام لأجله.

فمن ذلك وهو ما يشعر بالتهنئة بالعيد مثل قوله:

للعيـــد أوعـــدني مـــن لم يـــزل عيـــدا
طويـــاي إن أنجـــزَ العيـــدُ المواعيـــدا

ومثل قوله:

إقبـــالُ عـــامٍ بـــشكر الخـــير مقبـــولُ
عنـــد الأمـــير لعبـــد الـــبرِّ موصـــولُ

ومن ذلك وهو ممّا يشعر بانكشاف الغمة:

ريـــحُ شـــوق الفـــراق كانـــت سُـــموما
ثـــم عـــادت عنـــد اللقـــاءِ نـــسيما

أما خاتمة القصيدة التي نصَّ القدماء على أنها قاعدة القصيدة وآخر ما يبقى منها في الأسمـاع، وسبيلها أن تكون محكمة لا تمكن الزيادةُ عليها، ولا يأتي بعدها أحسنُ منها، وإذا كان أول الشعر مفتاحاً له وجب أن يكون الآخر قُفْلاً عليه، ويرى أبو هلال العسكري أن الاختتام يجب أن يكون في كل غرض بما يناسبه وأن يتضمن حكمة أو مثلاً سائراً أو أن يكون تشبيهاً حسناً، والحقيقة فإن الخبز أرزي قد وفق كثيراً في معظم خواتيم قصائده من مثل قوله:

ومـــا غَيْـــرَةُ العـــشاقِ إلاّ وفـــاؤهم
وكـــل محـــبٍّ لا يغـــارُ فلـــن يفـــي

وهذه الأمثلة التي أوردناها تعد كافية حتى تجعل حكمنا على شعر الشاعر واضحاً سليماً وتنقذه من تلك الأقوال الزائفة التي قالها معظم كتاب التراث عن شعر هذا الشاعر، وأنه لا يتناول في شعره غير الغزل الإباحي والمجون بل تجعلنا نقدره تقديراً حقيقياً. ولكن هل كانت اللغة التي ينظم بها شاعرنا هي لهجة أهل البصرة كما ظن أستاذنا الدكتور شوقي ضيف رحمه الله(1).

إنني من خلال قراءة شعره لم أعثر بكلمة واحدة من لهجة البصرة العامية ولم أجد في لغته الشعرية انحرافاً عن الفصحى بالرغم من أميته، إذ كان الشاعر يستخدم لغة سليمة وأسلوباً سهلاً ربما تقترب كلماته من لغة الناس اليومية وكثير من لغة أبياته تدلنا على أنه كان لا ينقصه الإحساس الحقيقي بلغة الشعر وقد حظي بمرتبة لا بأس بها من اللغة والأسلوب استطاع من خلالهما تصوير الحياة في عصره، فالشعر تصوير للحياة، ولعلنا لاحظنا من خلال إيراد الأمثلة من شعره السهولة المفرطة التي تميز لغته فهو لا يستخدم الجزل من

(1) العصر العباسي الثاني، ص 510.

الألفاظ وإنما يعمد إلى اللفظ السهل المتداول، ولعل هذا ما يناسب طبيعة الشاعر الفنية والثقافية، فقد كان آمياً لا يقرأ ولا يكتب كما كان شعره – في معظمه – مما يُغنّى فيه كما نص على ذلك بعض كتاب التراث.

من مثل قوله:

أمـــا تبـــصر دمـــع العـــين
يـــشكو مـــن علـــى الخـــدّ

إذا مـــا سُـــهّدَ القلـــبُ
فـــإن القلـــبَ يـــستعدي

ومـــا يـــشكو الـــذي يلقـــا
ةُ إلاّ مـــن ورا جهـــدِ

فيـــا ليتـــك في قلـــبي
عـــسى تنظـــر مـــا عنـــدي

ســـأرعاك علـــى القـــربِ
وأرعـــاك علـــى البُعـــد

فكـــن لـــي كيفمـــا أحبـــب
ت مـــن وصـــل ومـــن صـــدّ

فلوْمِـــتُّ مـــن الوجـــدِ
لمـــا حُلْـــتُ عـــن العهـــدِ

طلبـــتُ الوصـــل لـــي وحـــدي
كـــذا أحرمتُـــه وحـــدي

ومثل هذه المقطوعة التي تتّسم ألفاظها بالرقة، وكان الشاعر يجلس بجانبك وحين سألته: مالي أراك حزيناً ؟ أجابك بقوله:

إذا ما استبدل الوامق بعد الدار بالقرب
إذا ما استبدل الوامق م بُعْدَ الدار بالقربِ

ولم يبق سوى الأخبار م والرُّسل مع الكتب
فقد رثت قوى العهد كما رثّت قوى الحُبّ

ومن غاب عن العين فقد غاب عن القلب

والبيت الأخير المضمّن في هذه المقطوعة لأبي نواس.

ومن ألطف الأمثلة على هذه الرقة والسهولة، وكانَّ الشاعر وعدك فأخلف وعده فقال حين رآك:

أخـي لا تؤاخـذني وإن كـان لـي ذنـبُ
فلـيس علـى العـشاق في فعلـهم عتْـبُ

وعـــدتك وعـــداً عـــاقني منـــه عـــائقٌ
وللنـــاس أســـبابٌ لهـــا يُقْلَـــبُ القَلْـــبُ

ولتنظر إلى قوله في هذه المقطوعة التي لا تجد أثراً للجهد في الإتيان بألفاظها:

أتـــوني بالطبيـــب فـــساءَلوه
فلـــم يـــدرِ الطبيـــبُ بمـــا يجيـــبُ

ســـقاني شَـــرْبَةً لم تُغـــن شـــيئاً
ســـوى مـــا زاد في القلـــب اللـــهيبُ

فقلـــتُ لـــه: ألا دعـــني لـــدائي
وقـــمْ فاذهـــب لـــشأنك يـــا طبيـــبُ

دوائـــي في يَـــدَيْ مـــن كـــان داءً
فقـــال: ومـــا الـــدوا؟ قلـــتُ: الحبيـــبُ

والحقيقة: فإنّ تقديرنا لهذا الشاعر يكمن في جانب كبير منه، في قدرة استخدامه لهذه الألفاظ الرقيقة السهلة من مثل قوله:

غُـــصصُ الفـــراق مُـــزجْن بالحـــسراتِ
وفـــراق مـــن أهـــوى فـــراقُ حيـــاتي

عجـــبٌ لمـــن يبقـــى لبُعـــد حبيبـــه
أن لا يمـــوت بكثـــرة الزفـــراتِ

مـــوت البريـــة عنـــد وقـــت وفاتهـــا
والعاشـــقون لهـــم فنـــونُ ممـــاتِ

ومـــن لم يـــذقْ طعـــم الـــصبابة والهـــوى
ويكـــون صَـــبّاً عُـــدّ في الأمـــواتِ

ومثل قوله في الحسود:

مـــاتَ الحـــسودُ مـــن الكمـــدْ
وو‌فـــى الحبيـــب بمـــا وعـــدْ

حـــيّ الوصـــال وقـــل لـــهُ
دُمْ يـــا وصـــالُ إلى الأبـــدْ

اليـــوم أحيـــا بـــالمنى
ويمـــوت قـــوم بالحـــسدْ

أوَلـــيس مـــن طـــرفِ الهـــوى
عطـــفُ الغـــزال علـــى الأســـد

فهذه الأبيات والمقطوعات التي ذكرناها هي أبيات ومقطوعات ذات ألفاظ لينة ناعمة مأخوذة من لغة الحياة اليومية، وهي مفرطة في السهولة ولينة في التعبير تكاد تكون نثراً لولا الوزن والقافية.

وربما هذا ما ساعد على أن لاقى شعرُه في مدينته رواجاً كبيراً، وذاع صيته ذيوعاً قوياً، وشاعرنا يتناول الحياة التي يعرفها من واقع ممارسته للغة الشائعة في عصره، والخبز أرزي أول شاعر عربي تتسم أشعاره بالرقة واللطف والملاحة والسهولة، وربما كان أبو العتاهية قد سبق إلى شيء من هذا، ومعظم شعره إن لم يكن كله، من هذا النوع الذي يكاد يكون عامياً، ولكنه صحيح فصيح والخبز أرزي بذلك قد سبق بذلك البهاء زهير المتوفى (سنة ست وخمسين وست مئة) بثلاث مئة عام وجُلّ شعره سهل لطيف جاءَ عفو الخاطر وطوع البديهة وغلب الطبع فيه على كل شيء كما يقول عبد الكريم اليافي في كتابه القيم دراسات فنية في الأدب العربي ص37.

وقد انتبه النقاد العرب لهذا النوع السهل من البيان ودعوه بالسهولة يقول ابن حجة الحمويُّ في خزانة الأدب: "السُّهولة ذكرها التيفاشي مضافةً إلى باب الظرافة وشركها قوم بالانسجام، وذكرها ابن سنان الخفاجي في كتاب سرّ الفصاحة، فقال في مجمل كلامه: هو خلوص اللفظ من التكلف والتعقيد والتعسّف في السّبك وقال التيفاشي: السهولة أن يأتي الشاعر بألفاظ سهلة تتميز على ما سواها عند من له أدنى ذوق من أهل الأدب وهي تدل على رقة الحاشية وحُسن الطبع وسلامة الرويّة"[1].

وبشكل عام فيتصف شعره بسلامة اللغة والتعبير، ومعظم ألفاظه رائقة مهذبة، ويمكن القول: إنّ الشاعر الذي يكتب شعره بهذا الوضوح، وهذه السهولة هو شاعر فهم فنّه وفهم صناعته على الرغم من أنه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب.

---

(1) دراسات فنية في الأدب العربي، ص 37.

وقد لاحظت أن شعره يتناول كثيراً من العبارات المألوفة التي جرت وما زالت تجري على ألسنة الناس في عصره، وفي غير عصره، فيجعلنا نعيش الحياة التي عاشها. ومن هذه العبارات:

ترانـــي أحبـــك طـــول الحيـــاة
لـــساناً بمـــا تـــاهَ أو شـــتّفه

وعبارة شيبت راسي:

فبحـــسن الـــدلال أسَـــرْتَ قلـــبي
وبـــسوء الفعـــال شـــيبت راســـي

وعبارة وإن لم تعرف فاعرف:

ولـــو لم يكـــن لـــي حاجـــة فيـــكِ لم أهـــن
لـــديكِ وإن لم تعـــرفي ذاك فـــاعرفي

ومثل عبارة: لأني توقعت:

لقـــد عـــاد وصـــلك مـــستطرفاً
لأنـــي توقعـــت منـــك الجفـــا

ومثل: أنت حياتي وأنت بَلى:

أنـــت حيـــاتي وأنـــت لـــي تلـــف
وفيـــك لـــي نعمـــة وفيـــك بَلـــى

ومثل: يا منتهى مناي:

فقلـــت يـــا منتهـــى منـــاي
ومـــن بـــه كـــان التماســـي

ومثل عبارة: يا ربّ خلصني:

قُمِلْـــتُ بـــذنبي في الهـــوى وعذابـــه
فيـــا رب خلـــصني فلـــستُ أعـــودُ

ومثل عبارة: من غيرك:

وقـــد عهـــدناك علـــى حالـــةٍ
محمـــودة العهـــد فمـــن غيّـــرك؟

ومثل: يا سكني:

لا تخلف الوعد لي أيا سكني
فإنّ في خُلفه لِيَ التلفا

ومثل: أهلاً وسهلاً:

أهلاً وسهلاً بالحبيب فإنه
بحضوره كل المحاسن تحضر

ومثل: عيّروني فيك:

إذا ما عيّروني فيك قالوا
حبيبُك لا يزورُ ولن يزارا

وخذ هذه المقطوعة التي كل عباراتها مما يتداوله العشاق في عصره وفي غير عصره:

قد كنت أطلب منك الوصل مقتصداً
فصرتُ أطلب منك الهجر معتمدا

رأيت رأيك مما كنت آمله
على العباد وطول الهجر معتقدا

فصرت أهوى الجفا إذ صرتَ تعشقه
فازدد صدوداً وإن لم تُبقِ لي جلدا

والله لو سرَّ منك النفسَ قطعُ يدي
لما انثنيتُ على قدٍّ يَقُدّ يدا

لو كان يرضيك من روحي عمى بصري
قلعت عيني حتى لا ترى أحدا

أو كان يرضيك إلاّ أن ترى قدمي
تمشي على الأرض ما قاربته أبدا

وليتك الحكمَ في روحي وفي جسدي
فامض حكمك غيّاً كان أو رشدا

اردذ جفاك فمالي فيك من حيلٍ
عمّا قليلٍ ترى لي منك معتقدا

هـذا اعتقـادي ومجهـودي ومقـدرتي

حتـى الممـات وفي يـوم الحـساب غـدا

وهذا المقدار كاف شافٍ فيما أوردته من شعره وفيه تعابير من أصدق الأنواع تعبيراً عما في النفس مما جعل جميع الناس يتقبلون شعره.

كما لاحظت في شعره الفاظاً غير مألوفةٍ في شعر الأقدمين، اللهم إلا في شعر المرأة في العصر العباسي، وهي كثرة ما يصطنع فيه من مراسم التأدب في المخاطبة مثل لفظه: سيدي ومولاي وقد تكررتا عشرات المرات في شعره مثل قوله:

يـا سـيدي كيـف كنـت في سـفرك

مـا زال قلـبي يهـيم في أثـرك

وقوله:

مـولاي تمطلـني غـداً فغـدا

وأرى غـداً لا ينقـضي أبـدا

كما لاحظت أنه يخرج في بعض الألفاظ على المألوف في قواعد اللغة العربية، ليستكمل شعره في الغالب صورته الشعبية وغايته في الرقة والسهولة مثل حذف الهمزة بعد المد وغير المد مثل كاس وياس وراس بدلاً من كأس ويأس ورأس، وقرا بدل قرأ، والقراة بدل القراءة، والقُران بدل القرآن، وعلى ما يبدو فإن أهل البصرة كانوا يخففون الهمز في كلامهم، والطريف أن الشاعر يكثر كثرة مطلقة من استخدام بعض الألفاظ التي تتصل بمهنته مثل قوله:

كـذا مـن رمـى يومـاً شـراراتِ لفظـه تلقتـه نـيران الجوابـاتِ تـشعل

وقوله:

وقلـب علـى جمـر الغـضا يتقلـبُ

وقوله:

ونـار خـديك تغنينـا عـن الـسُرُجِ

وقوله:

في القلـب مـن حـرّ الـصبابة نـارُ

جمـرٌ عليـه مهابـة ووقـار

وقوله: لو تقدح النار، ونار خدها، ونار شوق، وغيرها....

وفي ختام حديثي عن لغته أقول: إنني أحس أنه في استخدامه لمثل هذه الأساليب والتراكيب المأخوذة من حياة الناس اليومية ومما كان يتداوله الناس من ألفاظ جعل شعره يتزايد الإقبالُ عليه في مدينتـه؛ لأن استخدام مثل هذه الألفاظ تثير حواس الناس وتدخل السرور إلى قلوبهم، فيتحلقون حوله ويتعجبون من حاله، وقد وفّر هذا الاستخدام عند القارئ أو السامع ا لبحث عن معاني الألفاظ الغريبة التي يستخدمها بعض شعراء عصره وغير عصره ظناً من أولئك الشعراء أنه باستخدامهم لتلك الألفاظ التي كانت مستخدمة عند شعراء العصر الجاهلي يحاولون استعادة التاريخ مرة أخرى وهذا في اعتقادي مما جعل شعر أولئـك الشعراء يُنسى، فلا يلتفت إليه وهو الذي جعل شعر شاعرنا ماثلاً في عقول أهل مدينته وقلوبهم.

وهو لم يكن يبدع هذه الألفاظ والأساليب، ولكنه كان يستمع إليها فينقلها إلينا في أبيات مفعمة بالسهولة والرقة، وهذه السهولة والرقة هي التي كانت تفتن الناس في عصره فشعره يصور الحياة في عصره أحسن تصوير.

واستخدم الشاعر في شعره أيضاً أسلوب الحوار، وكان الشاعر يريد بذلك أن يضع القـارئ أو المستمع في الجو الذي قال فيه قصائده ومقطوعاته، ونجد هذا الأسلوب في قصائده ومقطوعاته الغزلية مما يذكرنا بأسلوب عمر بن أبي ربيعة الذي كان يكثر منه في غزلياته، ولا شك أن هذا الأسلوب قد فطن إليه الشعراء القدامى، وأنقل إلى مسامعكم أطرف ما وجدته في هذا الباب من شعره اسمعوا هذا الحوار الذي دار بينه وبين من يحب، وهو ينقله إلينا بسهولة ويسر مما يجعلنا نحس أنّ هذا الكلام هو الذي دار حقيقة بينهما يقول:

أكْـــتُمُ مـــا حـــلّ بـــي لأنـــي
أخـــافُ أن يـــشمت الحـــسودُ

إنْ قلـــتُ اشمـــتُ بـــي الأعـــادي
قـــال: فهـــذا الـــذي أريـــدُ

أو قلـــتُ: غـــادرتني قتـــيلاً
قـــال: قتيـــل الهـــوى شـــهيدُ

أشـــكو وأبكـــي فمـــا يبـــالي
كأنمـــا قلبـــه حديـــدُ

وخذ هذا الحوار الطريف الذي تخيله الخبز أرزي دائراً بين الشمس والمحبوب:

بـــديعُ ملاحـــاتٍ يـــذوبُ مـــن اللّمْـــسِ
تكبّـــر أن يُـــدعى إلى صـــورة الإنـــسِ

فلمــا رأتــه الــشمس منــه تعجّبــتْ
وقالــت لــه: بــالله أنــت مــن الإنــس؟

وقالــت لــه: مــا الاســم؟ قــال: محمــدٌ
فقالت: فقس في الحسن نفَسك مع نفسي

فأغــضبَ حتــى كــاد يلطُــم وجههــا
وحــذّر بــالكف المليح علــى الــشمس

وقالــــت لــــه: عــيني فــإني طــالع
على النــاس بــالنور الــذي كــان بــالأمس

وهناك أكثر من حوار يجريه الشاعر بين عقله وقلبه...

وقبل أن ننتقل إلى خصيصة أخرى من خصائصه الفنية فإنه لابدّ من الإشارة أن الخبز أرزي قد أفاد كثيراً من ألفاظ القرآن الكريم، وتأثر بها، واقتبس كثيراً منها، وهذا يعكس على الرغم من أميته مقدرته وملكته في توظيف اللفظة القرآنية في أدائه الشعري مثل قوله:

أيهــــا الإنـــــسان صـــــبراً
إنّ بعــــد العـــــسر يـــــسرا

وقوله في مرض أحد الولاة:

حمّــاك نغّــصتِ اللــذات فانقلبــت
مــن التــنغص غــسيلناً وزقومــاً

ومثل قوله:

أخَــــيّ أذابــــني هــــمٌ قــــديم
وصــــيّرني كعُرجــــونٍ قــــديم

وقوله:

وقــد أوجــب اللهُ القِــصاصَ بعَدْلِــه
ولله حُكْــمٌ في العقوبــات مُنْــزَل

وقوله:

هــو المــوت مخلــوق لــه الخلــقُ أجْمَــعُ
فلــيس لــه عــن أنفُــسِ النــاس مَقْلَــع

وقوله:

هــذي فِعــالٌ مــن فعالِــكَ تُحتــذى
فاسمعـــــه لا لغـــواً ولا كِـــذّابا

وأفاد أيضاً من قصص الأنبياء الواردة في القرآن الكريم وتأتي قصة يوسف عليه السلام في مقدمة القصص التي أفاد منها في شعره مثل قوله:

كيعقـــوب الـــنبي جـــلا عمـــاه
موافـــاةُ القمـــيص مـــع البـــشير

وتأثر أيضاً بألفاظ الحديث الشريف مثل قوله:

كـــلّ مـــن دلّ علـــى الخـــيرِ
فَـــــشطر العُـــــرْفِ لَـــــهْ

إنّ مـــن دَلّ علـــى الخـــير
كَمَـــــنْ قـــــد فَعَلَـــــهْ

ومثل قوله:

رحـــم الله مـــن العـــالَمْ مَـــنْ
حَـــضَرَ النـــاسَ بخـــيرٍ أو سَـــكتْ

وهذا كثير في شعره.

والشاعر في شعره نقل إلينا تجربته في هذه الحياة وعبّر عنها بصدق يقول:

ومَــنْ أمِــنَ الآفــاتِ عُجْبــاً برأيــه
أحاطـت بـه الآفـاتُ مـن حيـث يَجْهَـلُ

أعلمُكـــم مـــا علمـــتني تجـــاربي
وقـــد قـــال قبلـــي قائـــلٌ متمثّـــلُ

إذا قلــتَ قــولاً كنــتَ رهــن جوابــه
فحــاذر جــوابَ الـسوء إن كنـت تعقـلُ

إذا شـــئت أن تحيـــا ســـعيداً مـــسلّماً
فـــدبّر وميّـــز مـــا تقـــولُ وتفعـــلُ

وهو يحث الإنسان على العمل ثم يوكل أمره إلى قدر الله فلا يغني حذر عن قدر:

كُــــنْ في أمــــــوركَ ســـــاعياً
فالـــــشيءُ يقهـــــره القــــدرْ

لـــــيس التحــــرّز نافعـــــاً
ولقلّمــــا يغــــني الحـــــذرْ

كـــلّ الأمــــور إلى القـــدرْ
فــــإذا أتـــى غَــشِيَ البَــصَرْ

وتحدث في شعره طويلاً عن الجار والسؤال عنه قبل السؤال عن الدار:

إذا حاولـــــتَ إيطانــــاً بــــدارِ
ففــــتش قبــــل ذاك عــــن الجِــوارِ

فــإن ألفيــتَ جــارك ذا احتفــاظٍ
نقــــيّ الجيــــب مــــأمون الإزارِ

فجـــاوره فقـــد قـــدّمت خـــيراً
ودارك بعــــد ذلــــك خـــيرُ دارِ

والشاعر نقل إلينا كل تجاربه في الحياة مثل عدم المسارّة في المجالس:

إذا أنـــت ســـارَرْتَ في مجلـــسٍ
فإنّـــك في أهلــــه مُــــتّهَمْ

فهـــذا يقـــول قـــد اغتـــابني
وذا يــــستريب وذا يــــتهم

ومثل تحمل المكاره في نيل المكارم:

فقـــل لمرجـــي معـــالي الأمـــور
بغـــير اجتهـــادٍ رَجَـــوْتَ المحـــالا

والاّ ينعـــزل الإنســـان عـــن غـــيره:

كـــن في الجماعـــات حيـــث كـــانوا
فـــالموت عُـــرس مـــع الجميـــع

وخذ هذين البيتين حيث ينصح الشاعر من يتعب في تجميل نفسه ألا يفعل ذلك لأنه مهما فعل فلن يزيد شيئاً على ما هو عليه:

فــــلا تُمُـــنَّ بتنميـــــق تكلّفَـــةُ
لــصورةٍ حُــسنُها الأصــليّ يكفيهــا

إن الــــدنانير لا تُجلـــى وإن عَتُقَـــتْ
ولا تُـــزَادُ علـــى الحسن الـــذي فيهـــا

والا ينخـــــدع الإنـــــسان بـــــالمظهر:

لا تنظـــــرنّ إلى أثـــــواب مغـــــتربٍ
نـــائي المحـــل بعيـــد الأهـــل والـــدارِ

وانظـــــر إليـــــه إذا قـــــام في مـــــلأ
بمنطـــقٍ لـــذوي الألبـــاب ســـحّارِ

ومن تجاربه التي ينقلها لنا أن الناس بعكوفهم على الحياة وملذاتها قد تناسوا الموت الذي يقف لهم بالمرصاد، فهم غافلون ومطمئنون وقد عكفوا على ملذاتهم:

هـــم عـــاكفون علـــى الـــدنيا وزخرُفِهـــا
والمـــوت في مَرْصـــد الأعمـــار معتكـــفُ

هـــم غـــافلون ومـــا الآجـــال غافلـــةٌ
ومطمئنـــــون والأرواح تختطـــــف

الهـــاهُم رشـــفُهم مـــاءَ المنـــى ونـــسوا
انّ الزمـــانَ لمـــاء العمـــر مرتـــشِفُ

وعلمته تجاربه العفو وعدم الحقد وعدم ظلم الناس وإن ظلم فالله يكفيه:

لمـــا عفـــوتُ ولم احقـــدْ علـــى أحـــد
أرَحْـــتُ نفـــسي مـــن هـــمّ العـــداواتِ

إنـــي أحيـــي عـــدوي عنـــد رؤيتـــه
لأدفـــع الـــشرّ عـــني بالتحيـــاتِ

ولـــست أبغـــي وإنّ بغـــيٌ يكففـــي
كفـــاني البغـــيَ جبـــار الـــسمواتِ

اخفـــي جمـــيلاً كمـــا أبـــدي ويـــسترني

مـــن البليـــاتِ عـــلاّم الخفيـــاتِ

وقد نسب البيتان الأول والثاني إلى الإمام الشافعي رحمه الله.

وهو في هذه الأبيات يتناول الحياة التي يعرفها من واقع ممارسته لها عوضاً عن الحياة التي تعرف عن طريق قراءة الكتب، ويفيض شعره بمثل هذه المعاني التي تدلّ على تعابير من أصدق التجارب في الحياة، هذه التجارب التي تمخضت هذه المواعظ والعبر، أنظر إلى قوله في الصبر:

أيهـــــا الإنـــــسان صـــــبراً

إنّ بعـــــد العـــــسر يُـــــسْراً

كـــــم رأينـــــا اليـــــوم حُـــــرّاً

لم يكـــــن بـــــالأمس حُـــــرّاً

لازمَ الـــــصبرَ فأمـــــسى

مالكـــــاً ضَـــــرّاً وخـــــيرا

واشـــــربِ الـــــصبرَ وإن كـــــا

ن مـــــن الـــــصبر أمَـــــرّا

وقد وظف الشاعر ما عرف من أفكار عن الحياة بسبب تجاربه توظيفاً يتسم بالسهولة، وهذا يعد من أهم جوانب فهم صناعة الشعر؛ لأن مثل هذا اللون من الشعر موجّه إلى عامة الناس، وتعد فكرة الشاعر عن الحياة وتجاربه فيها هي ما يسود تعبيره في هذا اللون من الشعر.

وهذه التجارب التي عاشها الشاعر والتي عبّر عنها بسهولة وصدق نجدها مبثوثة في أغراض شعره المختلفة، وكان الشاعر يفسر بشعره كنه الحياة في عصره، ومن سوء حظ الشاعر، وحسن حظ الشعر أن يكون عصره مضطربا صاخباً فبث في أغراضه الشعرية المختلفة حكمه الاجتماعية التي تلائم عصره فالوزراء الأتراك يسيطرون على مقاليد الأمور، فيذلون الناس، ويشيعون الفساد في الأرض:

والمـــوت أجمـــل بالإنـــسان منزلـــة

مـــن أن يُـــرى بخطـــام الـــذل مبـــذولا

وقوله في بعض المفاسد الاجتماعية التي شاعت في عصره:

رأيـــت غنـــى الـــنفس خـــير الغنـــى

كـــذا عـــدم الـــصبر شـــر العـــدم

وخـــير الأخـــلاء مـــن إن رأى
جمـــيلاً أشـــاع وعيبـــاً كـــتم

وقوله في عدم الكتمان في القلب:

لا خـــير في القـــول معـــسولاً مذاقتـــه
حتـــى إذا اختـــبروه كـــان مـــسموما

لابُـــدّ مـــن نفثـــة المـــصدور ينفثهـــا
لـــولا الكـــلام لكـــان القلـــب مكلومـــا

وإذا كان الشاعر قد فقد شيئاً في شعره من الناحية الفنية فقد عوّضه من الناحية الواقعية في نقل تجاربه لنا.

وقد فطن هذا الشاعر الأمي إلى شيء لم يفطن إليه الشعراء قبله، وهو الشعر التعليمي في الغزل فله قصيدة طويلة يتحدث فيها عن أهل العشق والغرام والهوى، ويصف فيها أحوال المتحابين، وهي قصيدة فريدة في بابها ولم يسبقه أحد في ذلك إلا حمدان بن أبان بن عبد الحميد اللاحقي الذي نظم أرجوزة في مثل هذا اللون من الشعر، وتقع قصيدته في أكثر من ثلاثين بيتاً، وعالج فيها العواطف العامة التي تتصل بالنفوس جميعاً. وهذا يذكرنا بما جاء في كتاب طوق الحمامة لابن حزم، يقول الخبز أرزي في أول قصيدته:

لا شـيء أحـسن مـن إلفـين قـد قـسما
حُـــسْنَ الرعايـــة والأخـــلاق بينهمـــا

تقاسمـــا الحُـــسْن والإحـــسان فانـــدمجا
علـى الـصفات فـصارا في الهـوى علمـا

كأنمـــا قلـــمٌ قـــد خـــط شـــكلهما
بلـــى كـــان ذلـــك لطـــف الله لا قلمـــا

يقول فيها:

تراضـــعا بوفـــاءٍ كـــان عيـــشهما
منـــه ولـــو فُطمـــا مـــا قاومـــا الفطمـــا

كـــأنّ روحيهمـــا روح فأنـــت تـــرى
وهميهما وهمـاً واحـداً في كـل مـا وَهِمـا

ولـــيس يحلُـــمُ ذا حلمـــاً برقدتـــه
إلاّ وهـــذا بـــذاك الحلـــم قـــد حلمـــا

وتفيض القصيدة بتصوير أحوال المحبين، وما يحسون به من مشاعر وأحاسيس:

بلتـــذ هـــذا لـــشكوى ذا ويعلمـــه
وفي التـــذاذ همـــا تـــصديق مـــا علمـــا

كـــلٌ لـــه حـــرمٌ مـــن صـــون صـــاحبه
ولـــن يـــصاد مـــصونٌ يـــألفُ الحرمـــا

لـــو مـــسَّ ذا ســـقمٌ قامـــت قيامتـــه
لعلمـــه أن مـــن يهـــواه قـــد ســـقما

حـــسنُ اتفـــاق بظهـــر الغيـــب بينهمـــا
في كـــل حـــال تـــراه الـــدهر ملتئمـــا

كـــذا يكـــون ودادُ الأصـــفياء كـــذا
تـــصفو القلـــوبُ فيجلـــو نورُهـــا الظلمـــا

ومما يدل على أن هذا الشاعر الأمي قد فهم صناعة الشعر فهماً حقيقياً ما فطن إليه من وجوب الوحدة العضوية والموضوعية في القصيدة، وأهم قصيدة تمثل ذلك قصيدة تقع في ثلاثة وثلاثين بيتاً، ولم أجد لهذه القصيدة مثيلاً في الشعر العربي قبله، وإن كان قد وجد في القصيدة كوحدة، والذي أعنيه طريقة نظم القصيدة، فقد جعل المصراع الأول في البيت الأول المصراع الثاني في البيت الأخير في القصيدة نفسها، وما بين المصراعين تقع القصيدة، وهي قصيدة مترابطة الأجزاء تامة الوحدة متكاملة البناء يقول في أولها:

بـــيني وبينـــك يـــا ظلـــومُ الموقـــفُ
الحـــاكمُ العـــدلُ الجـــوادُ المُنـــصفُ

وختمها بقوله:

وأتتـــك روحـــي حـــين ذاك بقولهـــا
بـــيني وبينـــك يـــا ظلـــومُ الموقـــفُ

والقصيدة كلها في العتاب وهي سرد لما حدث بينه وبين من يحب يحدثنا فيها عن أحداث ماضية مرت بهما، وأسلوبه في هذه القصيدة يتميز بالدقة والحيوية في التعبير.

وقصيدته اللامية في مدح ابن يزداد يمكن أن تتخذ مثالاً آخر على وحدة القصيدة عنده ومطلعها:

ســـنةٌ يُـــزادُ بهـــا الأمـــيرُ جمـــالا
إقبالُهـــا يُنمـــي لـــك الإقبـــالا

سـنة وأسـبوعٌ وشـهرٌ كلـها

جُـدَدٌ تُجـدّد أنعمـاً ونـوالا

والقصيدة كلها حديث عن ابن يزداد وأبياتها يكمل بعضُها بعضاً، وهي ترسم لنا صورة جلية للممدوح بصفاته وأعماله، ولا نجد فيها بيتاً واحداً يخرج عن الحديث عن ابن يزداد، وعاطفة الحب والإعجاب هي المسيطرة على أبيات القصيدة كلها، وهي تقع في خمسة وثلاثين بيتاً.

وهذه القصيدة وغيرها من القصائد المدحية الأخرى، وكذلك قصائده في الهجاء والوصف والحكمة تدل على أن شاعرنا لم يُقصر شعره على الغزل كما ظن الثعالبي وغير الثعالبي، ولم يكن شعره كذلك موجّهاً إلى الطبقة الشعبية في المجتمع كما ظن أستاذنا الدكتور شوقي ضيف رحمه الله فالخبز أرزي كغيره من الشعراء قال في معظم الأغراض الشعرية، ووجه الشعر إلى الطبقة الأرستقراطية الحاكمة، فقد مدح ولاة البصرة البريديين وابن يزداد وغيرهما من كبار رجال الدولة في عصره...

ليس هذا فحسب بل ساعد شاعرنا مع غيره من شعراء عصره على تطوير قصيدة المديح العربية إذ أضاف إلى المعاني المتوارثة كالشجاعة والكرم وغيرهما معاني أخرى، وهي معان إسلامية محضة، ولاشك أن هذه المعاني الإسلامية قد دخلت قصيدة المديح منذ القرن الثاني الهجري إذ أصبح هذا الشعر يهتم بالفضائل المعنوية أكثر من اهتمامه بالفضائل الحسية. وقد اتسع هذا الميل إلى الناحية المعنوية مع اتساع آفاق الثقافة وانتشار العلوم الفلسفية معا إليهما كما يقول أستاذنا الدكتور محمد مصطفى هدّارة[1].

وأضاف شاعرنا إلى مدائحه بالمثالية الخلقية والفضائل الإسلامية مدائح أخرى جديدة تتصل بوظيفة الممدوح وعمله إن لم يكن من المعقول أن يمدح الكتاب مثلاً بالشجاعة والبطولة أو الجود والكرم، بل المعقول أن يمدحوا بالفطنة والحصافة، وبعد النظر وبراعة القول، وما أشبهه مما يتعلق بطبيعة عمل الممدوح وهذه معان جديدة لابد أن تدخل في مجال المدح كما يقول أستاذنا الدكتور شوقي ضيف رحمه الله.

فعندما يمدح الخبز أرزي أبا القاسم التنوخيّ، وكان قاضياً، فإنه يمدحه بصفات تناسب وظيفة القضاء كالعدل ورفع الظلم والإنصاف، يقول:

جَـلا ظُلمـات الظلـم نـورُ قـضائه

فـصَيّر شمـلَ العـدل في النـاس شـاملا

إذا مـا قـضاياه تخللـنَ ظلمـة

توقـدن أو يحْـسَبْنه فيهـا قنـادلا

[1] اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري.

ويمدحه كذلك بالرأي العاقل وكمال العقل وبأنه يحكم بما جاءت به آيات الله كما يمدحه بالنباهة والذكاء وسرعة الإدراك.

وحين يمدح أحمد بن علي، وكان كاتباً فإنه يصفه بأنه رئيس البلاغة والكتابة.

وامـــــدح رئـــيس بلاغـــة وكتابـــة
زان الــــولاة وشـــرّف الكتابــــا

ولعل شاعرنا كان يجري في ذلك مجرى الشعراء العباسيين الذين ساعدوا في تطوير قصيدة المديح فقد أصبحوا يلائمون بين مدائحهم وممدوحيهم، وقد لاحظ ابن رشيق هذا التطور الذي أصاب قصيدة المديح العباسية.

ويسجل الخبز أرزي في مدائحه للأمراء والولاة للأحداث التي تجري في عهودهم كما يسجل أعمالهم التي قاموا بها كما كان يستغل اسم الممدوح ويشتق منه بعض المعاني الخاصة بالمديح كما كانت مدائحه مجالاً لبث أحزانه وهمومه.

وقد ظن الدكتور شوقي ضيف أن الخبز أرزي لم يتكسب بشعره فقال: لم يكن يحترف صنع الشعر للتكسب به، وعرضه على الخلفاء وغير الخلفاء ليمنحوه الجوائز المالية الضخمة[1].

ولكن الخبز أرزي كان كغيره من الشعراء يتخذ من قصيدة المديح وسيلة للارتزاق، كما نرى في قوله مثلا:

لـــساني تلجلـــج عـــن حـــاجتي
فترجمتهــــا بلـــسان القلـــمْ

فـــألثِم أياديــــك في رحلــــتي
فحَـــقٌ أياديـــك أن تـــستثم

وقوله:

نظـــرت إلـــيّ الحادثـــاتُ فردّهـــا
علـــى الأمـــيرُ وطرفُهـــا مطـــروفُ

وشعره يصور الحياة الاجتماعية في القرنين الثالث والرابع. فمن خلال قراءتنا لشعر هذا الشاعر الأمي نتعرف بعض العادات التي سادت المجتمع في ذلك الوقت مثل تقديم الهدايا، وكثيراً ما كانوا يتهادون بالورود والرياحين في أيام الربيع، ويرسلون معها بعض الأشعار، وكانوا يتهادون كثيراً بالتحف والطرف

---

[1] العصر العباسي الثاني ص 228.

النفيسة، وقد يصفون ما يهدونه تظرفاً كما يقول شوقي ضيف ولجد في شعر شاعرنا الأمي وصفاً لسبحة سبج كان قد أهداها إلى القاضي التوخي صاحب كتاب نشوار المحاضرة وكتب معها:

بعثتُ يا بدر بني يعرب
بسُبحة من سبج معجب
يقول من أبصرها طرفه
نعم عتاد الخائف المذنب
لم تخط إن فكرت في نظمها
ولونها من حُمَة العقرب

وأهدى إلى والي البصرة ابن يزداد فصاً وكتب معه:

أهديت ما لو أن أضعافَهُ
مطرح عندك ما بانا
كمثل بلقيس التي لم يبن
إهداؤها عند سليمانا
هذا امتحان لك إن تُرْضَهُ
بان لنا أنك ترضانا

ويعتذر لأحد الكبراء بتواضع هديته:

أهديتُ القليل ببسيط أنسي
وأسالك القبول ببسط عذرك

والتهنئة بالأعياد من العادات الاجتماعية التي نتعرفها في عشره مثل قوله:

عيد الأمير على الزمان أميرُ
وكذاك تأثير الخطير خطيرُ
يا زينة الأعياد عش لتزينها
أبداً فعيشك للزمان خبير
باليُمن والبركات ظِلْتَ معيداً
وظلالُ عيدك غبطةٌ وسرورُ

أو التهنئة بحلول عام جديد أو الشفاء من مرض وغير ذلك.

وعلى الرغم من أنه لا يقرأ ولا يكتب؛ فإننا نجد في شعره قصيدة – لعلها أطول قصيدة في الشعر العربي قيلت في وصف القلم إذ تقع في أربعة وعشرين بيتاً يقول في أولها:

ضـــامرُ الجـــسم تـــراه عـــن خـــرسٍ
مترجمـــاً عـــن جميـــع مـــا يـــضمرُ

قـــد ســـلب العاشـــقين رقَّـــتهم
ولـــونهم في الخُـــبر والمنظـــرُ

ومما يدل على أن الموهبة الشعرية لم تكن تنقصه أنه رسم في شعره لوحات بديعة للطبيعة وقت الربيع إذ وصف زهورها وورودها، وأشاد بحسن جمالها وبهائها لهذه الزهور والورود كما يقول د. عبد الكريم اليافي في كتابه القيم دراسات فنية في الأدب العربي صفحة 276 "تستدعي التأمل الفني بألوانها الجميلة الزاهية وأشكالها الحلوة البديعة وزينتها الجديدة... فالنظر يتصفحها لذاتها، والفكر يتأمل محاسنها للامتاع الخالص، ولذلك تبدو الدنيا في زمن الربيع وكأنها وعد وانتظار وأمل...".

وقد أكثر الخبزأرزي من رسم لوحات بديعة للطبيعة كلها حياة وحركة مثل قوله وقد تبدت الزهور المترقرقة بالندى كالأعين الجميلة:

وروضـــةٍ راضـــها النـــدى فغـــدت
لهـــا مـــن الزهـــر المجـــمّ زُهُـــرُ

تنـــشر فيهـــا أيـــدي الربيـــع لنـــا
ثوبـــاً مـــن الوشـــي حاكـــه القطـــرُ

كأنمـــا شُـــق مـــن شـــقائقها
علـــى رباهـــا مطـــارفٌ خـــضرُ

ثـــم تبـــدت كأنهـــا حَـــدَقٌ
أجفانهـــا مـــن دمائهـــا حُمْـــرُ

ولنستمع إلى هذه المقطوعة البديعة التي صوّر فيها شاعرنا زهور النرجس الذي يعد من طلائع أزاهير الربيع وهو من أشد الأزهار تعبيراً ويشبهه الشعراء عادة بالعيون:

أشمـــــوسٌ أم بـــــدورُ
أم عيـــــونٌ أم ثغـــــورُ

يَنْبــــات النَّـــــرْجِسِ الغَـــــضـ ـــــــضِ لنـــــا ثمَّ الـــــسُّرور
ذهـــــــبٌ بـــــين لجـــــين
فيـــــه مـــــسك وعـــــبيرُ
أعـــــينٌ رُكـــــب فيهـــــا
حِـــــدقٌ ليـــــست تـــــدورُ

ويسكب الشاعر الألوان على النباتات وقت الربيع، وكأن البياض والحمرة والصفرة والخضرة درٌ ومرجان وياقوت وخدود:

نـــــسج الربيـــــع بكفـــــه
حُلـــــلاً لأغـــــصانِ الغُـــــوارِ
بـــــين ابيـــــضاض واحمـــــرا
رِ واصـــــفرارِ واخـــــضرارِ
كالـــــدر واليـــــاقوت والمـــــر
جـــــان في حلـــــي العـــــذار
وكأنمـــــا العـــــشق المـــــبر
رحُ صـــــانعٌ لـــــون البهـــــارِ
وكـــــأن آذريونـــــه
لمـــــا تبـــــسَّط للنهـــــار
وشـــــقائق مثـــــل الخـــــدو
دِ لطمـــــن فاشـــــتعلت بنـــــار

والشاعر في هذه الأوصاف لا يقل شاعرية عن أبي تمام الذي كان من أوائل الشعراء الذين انتبهوا لهذه الحركة المتبدية في أصالة الربيع وتجدده في قصيدته المشهورة التي يقول في أولها:

رقـــت حواشـــي الـــدهر فهـــي تمرمـــرُ
وغـــدا الثـــرى في حليـــه يتكـــسر[1]

والخبزأرزي لا يقل عن البحتري وابن الرومي في وصف الربيع وزهوره وورده إن لم يكن متفوقاً عليهما، وله قصيدة متكاملة في وصف الربيع يقول في أولها:

[1] ديوان ابي تمام 2/ 71.

قَــــدم الربيـــــع فحـــــط في آذار
بعــــــساكر للزهــــــر والأنــــــوارِ

فتنــــــاثرت لقــــــدومها بتفـــــتح
بعـــد العجومـــة الـــسن الأطيـــارِ

ومـــضى الـــشتاء بقُـــره فتـــشربت
بعـــد التجمـــد جنـــة الأنهـــارِ

يقول فيها:

وكـــأن مـــاء الأقحوانـــة مُقْلـــةٌ
حبــــاتُ دُرٌّ طُفْـــنَ بالـــدينارِ

وحتى تتم الرقة في شعر شاعرنا؛ فبالإضافة إلى ما أشرنا إليه كان شعره غالباً من البحور المجزوءة والقطع السهلة لا الطويلة ولا المتكلفة، والرقة كما يقول الدكتور عبد الكريم اليافي في كتابه القيم دراسات فنية في الأدب العربي ص 32 إلمام مقتضب قصير فكأن القطعة الشعرية تشف عن بارق عذب يرتسم في النفس... الشعر الرقيق شعر صاف متسلسل في نضارة لا عنت فيه كأنه صار عفو الخاطر وطوع البديهة يغلب الطبع فيه على كل شيء".

وشعر شاعرنا جاء عفو الخاطر وطوع البديهة، وقد غلب الطبع فيه على كل شيء، وقد امتاز شعر شاعرنا بهذا اللون المطبوع السهل.

إن الخبزأرزي يأتي في طليعة الشعراء الذين اتسمت أشعارهم بالرقة واللطف والملاحة والسهولة ولنستمع إلى هذه المقطوعة التي تحكي كلام عامة الناس:

أمـــــا تبـــــصر دمــــع العــــي
ن يــــشكو مــــن علــــى الخـــد

إذا مــــــا سُـــــهِّدَ القلــــــب
فــــإن القلــــب يــــستعدي

ومــــا يــــشكو الــــذي يلقــــا
هُ إلا مـــــــن ورا جَهْــــــدِ

فياليتــــــــك في قلــــــــبي
عــــسى تنظــــر مــــا عنــــدي

سـأرعاك علـى القـرب
وأرعـاك علـى البعـد
فكـن لـي كيفمـا أحبـب
ت مـن وصـل ومـن صـدِّ
طلبـت الوصـل لـي وحـدي
كـذا أحرمتـه وحـدي

فالبحر قصير وهو الهزج الذي لا يستعمل إلاّ مجزوءاً، وقد دخله زحاف الكف في كثير من مواضعه فأصبحت فعاعيلن مفاعيل فزاده ذلك خفة ورشاقة[1] والألفاظ غاية في السهولة وكأنها تحاكي كلام الأطفال.

ومعظم شعره على مجزوءات البحور وعلى البحور الخفيفة التي تتوافق مع الرقة والرشاقة في ألفاظه، ولنستمع إلى هذه القطعة، وهي على مجزوء الخفيف وهي تقطر رقة ورشاقة، وإذا قرأتها شعراً صحت قراءتها وإذا قرأتها نثراً صحت كذلك وهي تحاكي كلام الأم لطفلها حين يمرض فتقول له ليتني مرضت بدلاً عنك:

يـا مريـضاً قـد أمْرَالـ
ـحسنَ والظُّـرْفَ والوفـا
لم يكـن تركـي العيـا
دة هجـراً ولا جفـا
لم أطِـق أن أراك يـا
أحـسن النـاس مُـدْنفا
كيـف ألقـاك بعـدما
كـان قلـبي تخوّفـا
طـال خـوفي عليـك فـا
لحمـد لله إذ كفـى
مـا علـى البـدر سـيدي
مـن كـسوف تطرفـا
وبـودي لـو أن في
حتـف روحـي لـك الـشفا
لا تخـف مـن تغـير
لـيس بالحـسن مـن خفـا

---

[1] دراسات فنية في الأدب العربي ص 371.

واستمع إلى قوله مع الخفيف:

أنــــا والله أرحـــــمُ العُـــــشاقا ... ويـــلُ مـــن كـــان عاشـــقاً مـــشتاقا

للـــهوى في جـــوانحي نـــارُ شـــوقٍ ... كـــلُّ يـــوم يزيـــد فيـــه احتراقـــا

كَـــسَدَ الحـــب عنـــد كـــل محـــبٍّ ... وأراه يزيــــــد عنــــــدي نفاقــــــا

لـــو علـــى العاشـــقين يقـــسم عـــشقي ... أصـــبح النـــاس كلـــهم عُـــشاقا

ومجزوء الكامل:

اعلـــــم بــــــأنَّ مــــــسرتي ... لـــو كـــان فيهـــا مـــا يـــضرُّك

لتركــــــتُ ذلــــــك واتبعــــــت ... مـــــضرتي فيمـــــا يـــــسرُّك

ومجزوء الرمل:

يـــا غريـــبَ الحـــسن هـــب لـــي ... منـــــك إحـــــساناً غريبـــــا

أنـــت مـــولاي فكـــن لـــي ... أيهــــا المــــولى حبيبــــا

إنَّ مـــــن كنـــــت لـــــه ... أنـــــت ســــقاماً وطبيبــــا

فلقـــد نـــال مـــن الـــدنيا ... وفي الــــدنيا نــــصيبيا

والمجتث:

الـــــدمع يـــــشهد أنـــــي ... لقــــانعٌ بــــسلامك

حُجبـــــت عـــــني حتـــى
منعـــــت طيـــــبَ كلامـــك

فهـــــل علـــــي جُنـــاحٌ
إن زرتـــــــني في منامـــــك

وانظر قوله على مجزور الوافر:

هبـــوني قـــد أســـأت أنـــا
المقـــرّ لــــه كمـــا زعمـــا

تـــراه يريـــد ســـفك دمـــي
بـــلا جُـــرم لقـــد ظلمـــا

وعلى مخلع البسيط:

لـــولاك لمـــا يحـــسن الـــسرورُ
ولم يكـــن للـــبلاد نـــورُ

هـــذا محـــبٌ إليـــك يـــشكو
وبالرضـــا منـــك يـــستجير

إن أتـــى في حـــبكم أســـيراً
فهـــو علـــى غيركـــم أمـــيرُ

إذا ملكـــتم فـــلا تتيهـــوا
وإن حكمـــتم فـــلا تجـــوروا

تعطفـــوا وارحمـــوا محبـــاً
قلـــيلكم عنـــده كـــثيرُ

وكان وزن المجتث من الأوزان التي شاعت في شعر شاعرنا، وكذلك الرمل الذي أدرك بعض المرقين من طبقات المولدين الأولين رقته وعذوبته فتعاطوه في غزلياتهم واستغلوا ناحية الأسى فيه لتصوير غرامياتهم كما يقول الدكتور هدّارة رحمه الله والشعر كما يقول ميلتون ينبغي أن يكون بسيطاً مفعماً بالإحساس والانفعال وهذا هو شعر الخبزأرزي الذي بحث عنه الشعراء فلم يجدوه!!!

وليست الأوزان المجزوءة هي المصدر الوحيد لموسيقى الشاعر ولكن موسيقاه نجدها في مصادر أخرى ومن هذه المصادر اختيار الكلمات والملاءمة بين حروفها وحركاتها ملاءمة تحدث نغماً موسيقياً محبباً خذ مثلاً قوله:

لا أستطيع من الضنا شكوى الضنا
ويكاد ما بي أن يرق لما بي

لا صبر أنى عليك تصبري
والتيه دابُكَ والتذلل دابي

فخلعت في خلع العذول تجملي
ولَبِسْتُ ثوبَ السقم تحت ثيابي

إذ نلاحظ المزاوجة بين الكلمات والجمل، ونلاحظ تكرار بعض الكلمات ذات النغمة الخاصة في البيت ويتكرر جرسها وتحدث نغماً موسيقياً جميلاً كتكرار الضنا وبي في البيت الأول، والصبر في البيت الثاني، وكذلك دابك ودابي في الشطر الثاني من البيت نفسه وغيرها، ولا شك أن ترديد هذه الأصوات المتماثلة في البيت نفسه تضفي لوناً محبباً من الموسيقى في المقطوعة الشعرية.

ولننظر إلى هذه الأبيات ذات الألفاظ العذبة الحلوة الزاخرة بالجناس والطباق:

شاقني الأهل لم تشقني الديارُ
والهوى صائرٌ إلى حيث صاروا

جيرة فرّقتهم غربةُ البين
وبين القلوب ذاك الجوارُ

كم أناس رعوا لنا حين غابوا
وأناس جفوا وهم حُضارُ

عرضوا ثم أعرضوا واستمالوا
ثم مالوا وأنصفوا ثم جاروا

لا تلمهم على التجني فلو لم
يتجنوا لم يحسن الاعتذار

وقد أحسن الشاعر اختيار ألفاظ هذه القطعة ولاءم بينها في الحروف والحركات، وقد أحس صاحب أنوار الربيع بجمال الموسيقى فيها فاختارها ضمن المطرب من الأشعار، ومما زاد من جمالها سهولة مخارج حروف ألفاظها فكلماتها عذبة مليحة خفيفة.

وديوانه مليء بمثل هذه المقطوعات التي تتسم بالتوافق الصوتي في كلمات أبياتها، ولنستمع إلى هذين البيتين وكيف وفق الشاعر في اختيار ألفاظهما:

للعيـــد أوعـــدني مـــن لم يـــزل عيـــدا

طوبـــاي إن ألجـــز العيـــد المواعيـــدا

فلـي مـع النـاس عيـد في الهـلال ولـي

وحـدي هـلالٌ وعيـد فيهمـا زيـدا

ومن مصادره الموسيقية الأخرى لجوؤه إلى التقسيمات الداخلية في البيت فيجتمع في البيت الواحد لونان من الموسيقى لون يصدر من الوزن العروضي وتفعيلاته وآخر يصدر عن التقسيمات الداخلية التي يجريها الشاعر داخل البيت انظر إلى قوله:

نـورٌ علـى حُسْنٍ علـى طيـبٍ علـى

لـــينٍ تـــراه فكيـــف لا يـــتحير

وقوله:

أنـــت غـــزالٌ وأنـــت غـــصنٌ

وأنـــت ليـــلٌ وأنـــت بـــدر

فهذه جمل قصيرة تنوب عن الجمل الطويلة، وفي ذلك اقتصاد في الجهد (كما يقول اليافي) وانظر إلى قوله:

غـدرت ولم تغـدر وخنـتَ ولم تخـن

ومَـررت مـا احلـولى وكـدرت مـا صـفا

وقوله:

حلـــو الـــشمائل نـــاعم الأعطـــافِ

عـــدل القـــوام وخـــائر الأطـــراف

وهذا كثير جداً في شعره.

وكان التصريع من المصادر الرئيسة في موسيقى شعره والشيء اللافت أنه يكرر التصريع في القصيدة نفسها أكثر من مرة كما في رائيته التي يقول في أولها:

بـــدت لـــوداع والتجمـــلُ ســـترها

فـــزال لإشـــفاق التفـــرق هجرهـــا

إذ كرر التصريع في هذه القصيدة ست مرات وهذا كثير في قصائده.

ولكن كيف يتصور الخبزأرزي قصيدته وبمَ وصف شعره؟ وقد وصف الشعراء العرب منذ الجاهلية قصائدهم بأوصافٍ مختلفة.

لقد وصف شاعرنا قصائده بالدر الذي نظم عقوداً ولكن دون أن تجد فيه عيباً واحداً:

فـــدونك أمثــالاً مـــن الـــدر نظمـــت

سموطـــاً ولكـــن مـــا تخللـــها ثقـــبُ

ومعاني قصيدته أبكار غير مسروقة:

فـــــدونكها بكـــــر المعـــــاني رفعتهـــــا

عروســـاً ومـــن خـــير العـــرائس بكرهـــا

ويكرر وصفها بالعروس في أكثر من قصيدة ومثل قوله:

خـــذها إليـــك أبـــا الحـــسين عروســـةً

زُفـــت إليـــك علـــى البنـــود شـــبابا

فـــإذا بـــدت مـــن خـــدرها جُعلـــت لهـــا

حركـــات أفهـــام الرجـــال ثيابـــا

فـــيظن ســـامعها لحُـــسن نظامهـــا

أن قـــد نُثـــرت لـــسامعيه ســـحابا

ويظـــن منـــشدها لعـــذب كلامهـــا

أن قـــد ترشـــفُ للحبيـــب رُضـــابا

وأشير أخيراً إلى أن شاعرنا قد وقع، كغيره من الشعراء، في عيوب عديدة مثل المبالغات الشديدة التي تخرج كلامه عن المعقول، وقد مرت أبيات كثيرة في ذلك مثل قوله:

عبـــــدك أمرضـــــته فعـــــده

أمتـــــه إن لم تكـــــن تـــــرده

قـــد ذاب لـــو فتـــشت عليـــه يـــداك

في الفـــــــرش لم تجـــــــده

ومثل قوله:

رقـــت حواشـــيه حتـــى لـــو يمـــر بـــه

وهـــم الـــضمير لفـــرط اللـــين لاعتـــصرا

لـــو أن ظـــل ذبـــاب طـــار عـــن بُعـــدٍ

حـــاذي محاســـنه أبقـــى لهـــا أثـــرا

خـــدان لـــو نفخـــا بـــالوهم لاشـــتعلا

نـــاراً ولـــو نُطـــرا مـــن رقـــة قطـــرا

كما نجد عنده بعض التشبيهات القبيحة، وتكرار المعنى الواحد في أكثر من مقطوعة وقصيدة، ومثل استخدامه وزنين شعريين في قصيدة واحدة كالطويل والبسيط، ومثل الإقواء والإيطاء وغيرها من عيوب القافية كما يؤخذ عليه وقوعه في بعض الأخطاء اللغوية والنحوية.

وهكذا فقد حاولت في هذا البحث إثبات أن الأمية لا تكون عائقاً أمام شاعر أوتي موهبة وفهماً لصنعة الشعر، فالخبزأرزي لم تمنعه أميته من نظم الشعر، فقد كان بصيراً بصنعة الشعر على عكس ما زعم ابن النديم صاحب الفهرست الذي قال: رقيق الألفاظ غير بصير بصنعة الشعر.

كما أن الطبيعة الفنية لم تكن تنقصه، ولم يكن شعره سفسافاً كما زعم الثعالبي في يتمية الدهر.

ولم تكن أشعاره مقصورة على الغزل كما قال ابن خلكان في وفيات الأعيان.

وأنه كان ينظم أشعاره باللغة العربية الفصيحة وليس بعامية البصرة في عهده كما ذكر الدكتور شوقي ضيف.

وأنه لم يكن يقدم شعره للجمهور فحسب كما ذكر الدكتور شوقي ضيف رحمه الله بل قدمه أيضاً للطبقة الارستقراطية، وكان يعرض شعره على الولاة والقضاة للتكسب به.

واختم هذا البحث بهذه المقطوعة الطريفة، وهي على الرغم من سذاجتها إلا أننا نعجب بكلماتها ومعانيها وموسيقاها:

كـــلّ أيامـــك هجـــرُ ... ونـــصيبي منـــكَ غَـــدرُ

واحتمـــالي عنـــك فـــرضٌ ... في الهـــوى لـــو كـــان صـــبرُ

كلمـــا أذنبـــتَ ذنبـــاً ... كـــان في وجهـــك عـــذرُ

قـــد تـــستَّرت ولكـــن ... لـــيس عنـــد العـــشق ســـترُ

غرّنـــي لينـــكَ في القـــول ... وتحـــت اللـــين نفْـــرُ

ومعـــاني الحـــب لـــي ... تـــشهد أنَّ العـــشق ســـحرُ

ملحق رقم 2

المؤثرات الدينية والتناص في شعر نصر بن أحمد الخبزأرزي المتوفى سنة 330 هـ

بحث منشور في ملف بيادر الذي يصدره نادي أبها الأدبي

مصطفى حسين عناية

الأستاذ بجامعة أم القرى

الخبز أرزي شاعر أمي لا يقرأ ولا يكتب، وقد أحرز لقبه هذا من حرفته، فقد كان خبازا يخبز الأرز بدكان له في مربد البصرة، وكان ينشد أشعاره والناس يزدحمون عليه، ويتطرفون باستماع شعره، ويتعجبون من حاله وأمره، والأرجح أنه توفي سنة ثلاثين وثلاث مئة كما ذكر صاحب النجوم الزاهرة (2/ 276) وصاحب المنتظم في أخبار الملوك والأمم (6/ 329)، وعلى الرغم من أميته فإننا نجد في شعره ما يدل على أنه كان يلم بالثقافة العربية والإسلامية، وسيحاول هذا البحث توضيح أثر الإسلام في شعره، ثم يتناول قضية التناص في شعره.

أولا : أثر الإسلام في شعره:

أ- أثر القصص القرآني في شعره:ربما كانت قصة يوسف ﷺ في القرآن الكريم من أكثر القصص التي تأثر بها الشاعر، وذلك بما تضمنته من أحداث وعبر وعظات، وكان التأثر بجمال يوسف ﷺ عند شاعرنا عندما يريد أن يصف جمال غيره إذ يقول:

يـــا شـــبيه الـــذي بـــاعوه إخوتـــه ويـــا سمـــي الـــذي ألقـــوه في النـــار

ويعني في الشطرالأول يوسف ﷺ، قال تعالى "وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين "سورة يوسف: 19، 20

وتأثربما جاء في القرآن الكريم عن قول النسوة عند رؤيتهن ليوسف عليه السلام "قلن حاش لله ما هذا بشرا" سورة يوسف: من الآية 31

يقول الخبزأرزي متأثرا بذلك:

فقلـــت مـــا قـــال قبلـــي نـــسوة بـــصرت بيوســـف الحـــسن مـــا هـــذا الفتـــى بـــشرا

وتأثر شاعرنا بما جاء في القرآن الكريم " قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين " سورة يوسف آية 17

قال شاعرنا:

علـــي والله فيهـــا شـــنعوا كـــذبوا   ككـــذب أولاد يعقـــوب علـــى الـــذيب

وتأثر كذلك في المقطوعة نفسها بقوله تعالى حكاية عن قول يعقوب عليه السلام " إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها " سورة يوسف: 68 بقوله

بـــانوا ولم يقـــض زيـــد مـــنهم وطـــرا   ولا انقـــضت حاجـــة في نفـــس يعقـــوب

واتخذ الشاعر من قميص يوسف عليه السلام الذي أرسله إلى أبيه ليرتد إليه بصره موضوعا لنهاية أوجاعه وآلامه وذلك في قوله:

كيعقـــوب الـــنبي جـــلا عمـــاه   موافـــاة القمـــيص مـــع البـــشير

وهذا مأخوذ من قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام وأبيه وإخوته " اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين ولما فصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون " سورة يوسف: 93، 94

وهو متأثر كذلك بقوله تعالى " فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون " سورة يوسف: 96

وكرر هذا المعنى في قوله:

كمثـــل يعقـــوب بعـــد يوســـف إذ   حـــن إلى شـــم بعـــض أثوابـــه

ولمح في بعض أبياته إلى قصة يوسف عليه السلام مع أمرأة العزيز حين راودته عن نفسه، فامتنع، فلحقت به لتجبره على ما تريد وقدت قميصه من دبر، قال شاعرنا:

يـــا شـــبيه الـــذي بـــه   فتنـــت حـــرة الملـــك

حـــين قـــدت قميـــصه   ثـــم قالـــت: فهيـــت لـــك

ولا شك أن هذا مأخوذ من قوله تعالى " وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم " سورة يوسف الآيات 23 25

وأفاد الشاعر من قصة إبراهيم عليه السلام فهو يشبه الفراق بالنار التي ألقي فيها النبي إبراهيم عليه السلام، ويشبه اللقاء بالنار التي أمرها الله سبحانه وتعالى بأن تكون بردا وسلاما على إبراهيم عليه السلام.

قال تعالى "قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم" سورة الأنبياء: 68 69

وأفاد الشاعر من هاتين الآيتين الكريمتين فقال:

ريح شوق للبين كانت سموما ثم عادت عند اللقاء نسيما

فهي بالأمس نار نمرود كانت وهي اليوم نار إبراهيما

واقتبس من قصة موسى عليه السلام بعض العبارات لتصوير حالة من حالاته، وذلك في قوله:

سقى الله ليلا كنت فيه أزوركم وأخرج عنكم خائفا أترقب

ولا شك أن عبارة "خائفا أترقب" مقتبسة من قوله تعالى في قصة موسى ﷺ "فأصبح في المدينة خائفا يترقب" من الآية 18 من سورة القصص، ومن قوله تعالى "فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين" سورة القصص: 21

وأفاد ايضا من قصة الملكين ببابل هاروت وماروت لتصوير جمال و سحر من يتحدث عنه وذلك في قوله:

ينكس رأسه لهاروت في بابل إذ كان مثله يسحر

وفي قوله أيضا:

لو جاء ناظره ببابل لاعترت هاروت أو ماروت أخذة سحره

ولا شك أنه تأثر في ذلك بقصة هاروت وماروت الواردة في القرآن الكريم. قال تعالى "... ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر..." سورة البقرة: من الآية 102

ب- أثر الألفاظ القرآنية في شعر الخبزأرزي:

لقد تأثر الشاعر بالألفاظ القرآنية، وأحسن توظيفها للتعبير عما يريد أن يقوله، وهذا يدل على ثقافته على الرغم من أميته، ومن الألفاظ القرآنية التي تناولها الخبزأرزي في شعره لفظة "الكوثر" التي وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى "إنا أعطيناك الكوثر" سورة الكوثر: 1

وقد وظف الشاعر هذه الكلمة في قوله:

نهر يطيب بالحبيب وطيبه فكأنه بين الجنان الكوثر

ومن الألفاظ القرآنية "السبع الطباق" وقد وردت في قوله تعالى "الذي خلق سبع سموات طباقا" سورة الملك: من الآية 3، وفي قوله تعالى " الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا" سورة نوح: 15

وقد استعان الشاعر بهذه اللفظة في قوله:

مـــا إن تطـــل علـــى كـــذو ب مثلــــه الــــسبع الطبـــاق

ومن الألفاظ القرآنية "غسلين" و" زقوم" وقد وردت الأولى في قوله تعالى " ولا طعام إلا من غسلين " سورة الحاقة: 36 ووردت الثانية في قوله تعالى " أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم " الصافات: 62، وفي قوله تعالى " لآكلون من شجر من زقوم " الواقعة:52 وفي قوله تعالى " إن شجرة الزقوم " الدخان: 43

فالشاعر عندما أراد أن يصف حالة البهجة التي انقلبت إلى حالة حزن حين علم الناس بمرض أميرهم شبه حالة الحزن التي عمت الناس بالغسلين والزقوم، فقال:

حمـــاك نغـصت اللـــذات فانقلبـــت مـــن التـــنغص غـــسلينا وزقومـــا

وكلمة التسنيم الواردة في الأية القرآنية " ومزاجه من تسنيم " المطففين: 27 وظفها الشاعر في شعره للدلالة على البهجة والسرور وذلك في قوله:

وكـــأني ولم أر النــــار والجـــن نـــة ذقـــت الغـــسلين والتـــسنيما

ومن الألفاظ القرآنية " كعرجون قديم " يس:39 وقد استعملها الشاعر ليصف لحول جسمه بعد ان استولت عليه الهموم، فقال:

أخـــي أذابـــني هـــم قـــديم وصـــيرني كعرجـــون قـــديم

ومن الألفاظ القرآنية التي استخدمها الشاعر في شعره كلمة " الجبت " الواردة في الأية القرآنية الكريمة " ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت " النساء: 51 وذلك لوصف حالته عندما خالف عقيدته ومال إلى الضلال، يقول:

وخالفــت توحيــدي وعقــت أئمـــتي وملــت إلى الجبــت المــضلل والنــصب

ومن الألفاظ القرآنية " فارجع البصر " الواردة في قوله تعالى "... فارجع البصر هل ترى من فطور" الملك: من آية: 3 وذلك في قوله:

هـــذا الـــذي ابتـــدع الـــرحمن صـــورته فـــلا تفـــاوت فيـــه فـــارجع البـــصرا[1]

ويفيد الشاعر من قوله تعالى " لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا " في وصف قصيدته التي قالها في ممدوحه إذ يقول:

هـــذي فعـــال مـــن فعالـــك تحتـــذى فاسمعـــــه لا لغـــــوا ولا كـــــذابا

واقتبس لفظة الشانئ الأبتر من قوله تعالى " إن شانئك هو الأبتر " الكوثر: 3 وذلك في قوله في ممدوحه

لا زلـــت حيـــا كـــذا المـــولى لـــك الفـــا ئـــز والــــشانئ الأبــــتر

---

(1) 116

ويفيد الشاعر في شعره من المعاني القرآنية الكريمة للتعبير عن حالاته التي يمر بها مثل إفادته من قوله تعالى "كلا إذا بلغت التراقي" القيامة: 26 لتصوير حالة الشوق التي كان يمر بها الشاعر وذلك في قوله:

بلغـــت روحـــي المـــشوق التراقـــي   ولـــو ازددت لم تقـــم في التراقـــي

ومن المعاني القرآنية التي أفاد منها الشاعر قوله تعالى "إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب" الصافات: 10 وقوله تعالى "إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين" الحجر: 18 وقوله تعالى "وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا" الجن: 9,8

وذلك حين أراد أن يبين جمال ابتسام فم محبوبه فهو يذوب من تأثير هذا الجمال كما ذاب شيطان انقضت عليه الشهب، وذلك في قوله:

لقـــد ذبـــت إذ أبـــدى إلـــي مـــضاحكا   كمـــا ذاب شـــيطان لـــه انقـــضت الـــشهب

وأفاد من الآية القرآنية الكريمة "وضرب لنا مثلاونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم" يس 78، 79 وذلك حين أراد أن يصور حالته بعد شفائه من مرض ألم به وذلك في قوله:

يقـــول الـــذي بـــدا كـــشف ضـــري   إن ربـــي يحيـــي العظـــام الرميمـــا

وأفاد من الآية القرآنية الكريمة "يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص..." سورة البقرة: من الآية 178 وذلك في قوله:

وقـــد أوجـــب الله القـــصاص بعدلـــه   ولله حكـــم في العقوبـــات منـــزل

وتاثر أيضا بالآية القرآنية الكريمة "أم يحسدون الناس على ما آتهم الله من فضله..." النساء من الآية 54 وذلك للتعبير عن الحسد الذي يلاقيه نتيجة ما أنعم الله عليه من النعم وذلك في قوله:

كأنمـــا الـــدهر أغـــرى بيننـــا حـــسدا   ونعمـــة الله مقـــرون بهـــا الحـــسد

وقد أفاد من الآية القرآنية الكريمة "سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا" الفتح: 23

وذلك في قوله:

مـــن ســـنة الله إهـــداء الـــشكور لـــه   ومـــا لـــسنته في الخلـــق تبـــديل[1]

وأفاد من الآية القرآنية الكريمة "... ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق" الأنعام: من الآية 151

---

[1] 278

في قوله:

مــا حــرام إحيــاء نفــس ولكــن قتــل نفــس بغــير نفــس حــرام

وأفاد من قوله تعالى "... الله أعلم حيث يجعل رسالته... " الأنعام: من الآية 124 في مدح ممدوحه إذ إن ما فيه من نعم هو من فضل الله والله أعلم حيث يجعل فضله وذلك في قوله:

والله أعلــم حيــث يجعــل فــضله وكفــى بــذلك للحــسود جوابــا

ويقتبس أحيانا الآية القرآنية الكريمة بألفاظها ويضيف حرفا أو كلمة لإقامة الوزن وذلك في مثل قوله:

أيهــــا الإنــــسان صــــبرا إن بعــــد العــــسر يــــسرا

وواضح أن الشاعر أخذ الشطر الثاني من قوله تعالى "سيجعل الله بعد عسر يسرا" الطلاق: 7 ومن قوله تعالى " فإن مع العسر يسرا إن مع اليسر يسرا" الشرح: 5، 6

ج- أثر الحديث الشريف في شعر الخبزأرزي:

وقد أثر الحديث الشريف في شعر الخبزأرزي وفيما يأتي بعض الأمثلة على ذلك، يقول الشاعر:

كــل مــن دل علــى الخــير فــشطر العــرف لــه

إن مــن دل علــى الخــير كمــن قــد فعلــه

وواضح أن هذا مأخوذ من قوله ﷺ "من دل على خير فله مثل أجر فاعله" مسند أحمد بن أحمد 4 / 120، وجاء في هذا المسند أيضا قال ﷺ لرجل أتاه "اذهب فإن الدال على الخير كفاعله" 5 / 357.

وقال ﷺ "والله لأن يأخذ أحدكم حبلا فيحتطب فيحمله على ظهره فيأكل أو يتصدق خيرا له من أن يأتي رجلا أغناه الله من فضله فيسأله أعطاه أو منعه ذلك بأن اليد العليا خير من اليد السفلى" مسند أحمد بن حنبل 2 / 243

وقد وظف الشاعر هذا الحديث الشريف في قصيدة المديح إذ جعل ممدوحه هو العالي على غيره لكثرة عطائه فاليد العليا خير من اليد السفلى، يقول:

قــال الــنبي: يــد الــذي يعطــي هــي م العليــا وأنــت علــى الأنــام العــالي

وقال ﷺ "ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس" مسند أحمد 2 / 243 وعمدة القارئ كتاب الرقاق حديث رقم 33

وقد استعان الشاعر بهذا الحديث الشريف للتعبير عن المعنى الذي أراد أن يعبر عنه في قوله:

رأيــت غــني الــنفس خــير الغنــى كــذا عــدم الــصبر شــر العــدم

وتأثر الشاعر بقول الرسول ﷺ "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليتق الله عزوجل وليكرم جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليتق الله وليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليتق الله وليقل حقا أو ليسكت" مسند أحمد بن حنبل 5 / 24، وانظر نفسه 5 / 412.

فنظم الجزء الأخير من حديث الرسول ﷺ فقال:

رحـــم الله مـــن العـــالم مـــن ... حـــضر النـــاس بخـــير أو ســـكت

وإذا نظرنا إلى قوله:

إذا أنـــت ســـاررت في مجلـــس ... فإنـــــك في أهلـــــه مـــــتهم

فهــــذا يقــــول قـــــد اغتـــابني ... وذا يــــــستريب وذا يــــــتهم

يقولــــون لــــو كــــان هــــذا الــــسرا ... ر خــــيرا لمــــا كــــان بــــالمتهم

فإننا نرى أن هذا المعنى قد أخذه من قول الرسول ﷺ "إذا كنتم ثلاثة فلا يتناج اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه" مسند أحمد بن حنبل 1 / 425

وكأن الشاعر في أبياته قد شرح لنا الحديث الشريف وبين لنا الإفادة منه، ووضح سوء عاقبة المناجاة بين الأفراد، وقد نجح في مراده.

د- أثر المعاني الإسلامية بعامة في شعره:

وبالإضافة إلى تأثره بالقرآن الكريم والحديث الشريف، فقد تأثر أيضا بالمعاني الإسلامية، وما حث عليه الإسلام من الالتزام بالأخلاق القويمة، وعدم الركون إلى ملذات الحياة، يقول الخبزأرزي:

هـــم عـــاكفون علـــى الـــدنيا وزخرفهـــا ... والمـــوت في مرصـــد الأعمـــار معتكـــف

هـــم غـــافلون ومـــا الآجـــال عاكفـــة ... ومطمئنـــــــون والأرواح تختطـــــــف

ألهـــاهم رشـــف مـــاء المنـــى ونـــسوا ... أن الزمـــان لمـــاء العمـــر مرتـــشف

فمـــن تعجـــل مـــسلوب ومخـــترم ... ومـــن يـــؤخر فالإيهـــام والخـــرف

فـــأي هـــذين محـــسود ومغتـــبط ... مـــن عاجـــل المـــوت أو مـــن ذا لـــه خلـــف

وهو في هذه الأبيات يعجب لماذا يركن الناس إلى هذه الحياة الزائلة وملذاتها، وهم يرون أن الموت يقف لهم بالمرصاد، وهم غافلون عن الموت والموت ليس عنهم بغافل، وهم مطمئنون الى الحياة، وهم يرون أن الموت يتخطف من حولهم، ولا شك أن الجميع إلى الموت صائرون، ولكن بعضهم يعجل لهم في موتهم، وبعضهم يؤجلون إلى حين.

ويخبرنا في مقطوعة أخرى أن كل شيء مقدر لنا وما علينا إلا اتباع الخير، واجتناب الشر، يقول معبرا عن هذا المعنى الإسلامي:

كل الأمور فميسور ومعسور تجري به قدم شتى ومقدور
والخير والشر مقرونان في قرن فالخير متبع والشر محذور

ويحدثنا في مقطوعة أخرى عن وجوب مساعدة الإخوان، وهذا يعد ذخرا للإنسان، ويجب على الإنسان أن يقدم مروءته، على تحقيق شهوته، وإن لم يفعل ذلك، فلن يحظى بشكر الناس واحترامهم، يقول معبرا عن هذه المعاني:

موازرة الإخوان ذخر من الذخر وللحر أن يشكو هواه إلى الحر
ومن لم يجانب شهوة لمروءة كذلك لا يحظى بحمد ولا شكر

وفي بيت آخر يحث الناس على التمسك بدينهم:

وإذا أضاع الناس ذمة دينهم لم يحفظوا بمودة وذمام

ويحث الناس في أبيات أخرى على حسن اختيار الصديق، فنتجنب الأشرار، ونصادق الأخيار، لأن القرين بالمقارن يقتدي:

فتجنب الأشرار تجنب شرهم واختر لنفسك صحبة الأخيار
من لاذ بالفجار يدعى فاجرا وكذلك من قد لاذ بالأبرار
إن القرين هو النظير فإن تكن حرا فدونك صحبة الأحرار

ومن الجوانب الأخلاقية التي تتفق مع المعاني الإسلامية هذه المقطوعة التي تتحدث عن التسامح والعفو عن المسيء، وعدم الحقد على أحد، وعدم الظلم، أو مقابلة الظلم بمثله، فالله سبحانه وتعالى هو المنتقم من الظالم، وتحث المقطوعة كذلك على التمسك بأهداب الدين، وعلى أن يكون الإنسان باطنه كظاهره، يقول الخبز ارزي معبرا عن كل هذه المعاني التي تتفق مع ما ينادي به الإسلام، وذلك بألفاظ سهلة لينة:

لما عفوت ولم أحقد على أحد أرحت نفسي من هم العداوات
إني أحيي عدوي عند رؤيته لأدفع الشر عني بالتحيات
ولست أبغي وإن بغي يكففني كفاني البغي جبار السموات
والغل والحقد من يخلع لباسهما فقد يلبس أثواب الديانات
أخفي جميلا كما أبدي ويسترني من البليات علام الخفيات

وقد نسبت بعض هذه الأبيات إلى الإمام الشافعي.

والجوانب الأخلاقية في شعر الخبزأرزي مبثوثة بكثرة في قصائده ومقطوعاته وأبياته، وأكتفي بما أوردت للتدليل على ما أقول.

ثانيا: التناص في شعر الخبزأرزي:

لا أريد الخوض في الحديث عن نظرية التناص، ومفهوم التناص في النقد الحديث، ومدى صلة هذا المفهوم ببعض المصطلحات البلاغية العربية القديمة، فهذا نجده في كثير من الكتب النقدية الحديثة، ولكننا سنفيد من التعريفات المختلفة لمفهوم التناص الغربية منها والعربية، وأول شيء نلحظه في شعر الخبزأرزي التناص المباشر، وهو أن يأخذ بيتا مشهورا لأحد الشعراء فيزيده في شعر نفسه، وهو ما يسمى عند البلاغيين العرب بالتضمين وذلك مثل قوله:

أقـــول لنعمـــان وقـــد ســـاق طبـــه نفوســـا نفيـــسات إلى بـــاطن الأرض
(أبـــا منـــذر أفنيـــت فاســـتبق بعـــضنا حنانيك بعـض الـشر أهـون مـن بعـض)

والبيت الثاني المضمن لطرفة بن العبد، وهو البيت الثاني من قصيدة قالها وهو في السجن يخاطب عمرو بن هند ومطلعها:

أبـــا منـــذر كانـــت غـــرورا صـــحيفتي ولم أعطكم بـالطوع مـالي ولا عرضـي[1]

وعبارة "بعض الشر أهون من بعض" وردت في شعر أبي خراش الهذلي وهو من شعراء الحماسة، وذلك في مطلع قصيدة في الرثاء:

حمـــدت إلهـــي بعـــد عـــروة إذ نجـــا خراش وبعض الشر أهـون مـن بعـض[2]

وعلى ما يبدو فإن هذاه العبارة من أمثال العرب، وقد اجترها الشعراء في أشعارهم دون أي تغيير فكانت هذه العبارة الواردة في شعر الشعراء الثلاثة مجرد تكرار واجترار لنص غائب من دون أدنى تغيير.

ومن ذلك أيضا قول الخبزأرزي:

أبكـــي لـــشجوي ولا أبكـــي لمنزلـــة (أخنـى عليـه الـذي أخنـى علـى لبـد)

والشطر الثاني المضمن مثل عربي قديم استخدمه الشعراء الجاهليون، ومنهم النابغة الذبياني الذي قال في قصيدة يمدح فيها النعمان بن المنذر، ويعتذر منه مما بلغه عنه فيما وشى به بنو قريع من أمر المتجردة :

أمـست خـلاء وأمـسى أهلـها احتملـوا (أخنـى عليـه الـذي أخنـى علـى لبـد)

---

(1) ديوان طرفة ص 66.

(2) حماسة ابي تمام 1/ 385.

ولم يفعل الخبزأرزي شيئا سوى تكرار واجترار ما قاله النابغة الذبياني الذي امتص الأمثال العربية التي تضربها العرب في لبد لطول العمر،فمن أمثالهم: طال الأبد على لبد، وأكبر من لبد، وعمر لبد، وغير فيها بما يتلاءم مع المعنى الذي يريد أن يقوله، فهو يريد أن يقول: إن الإنسان لا محالة ميت مهما طال عمره، فسوف يميته الذي أمات لبد الذي عاش طويلا ولكنه في النهاية مات.

ولبد: اسم آخر نسور لقمان بن عاد، سماه بذلك لأنه لبد، فبقي لا يذهب ولا يموت كاللبد من الرجال اللازم لرحله لا يفارقه، وتزعم العرب أن لقمان هو الذي بعثته عاد في وفدها إلى الحرم يستسقي لها، فلما أهلكوا خير لقمان بين بقاء سبع بعرات سمر من أظب عفر، في جبل وعر، لا يمسها القطر، أو بقاء سبعة أنسر، كلما أهلك نسر خلف بعده نسر، فاختار النسور، فكان آخر نسوره لُبدْ، وقد ذكرته الشعراء، ومن بينهم النابغة، وفي المثل: طال الأبد على لبد، وقال: أكبر من لبد، وعمر لبد. انظر لسان العرب مادة: لبد. وانظر كذلك: الفاخر للمفضل بن سلمة ص 84.

ويقول النابغة الذبياني في القصيدة نفسها:

فعد عما ترى إذ لا ارتجاع له ... وانم القتود على عيرانة أجد

فيقوم الخبز أرزي بتكرار الشطر الثاني واجتراره، ويضمنه قصيدته نفسها التي ضمنها الشطر السابق من بيت النابغة، مع تغيير كلمة واحدة وهي الكلمة الأولى وذلك حتى تتفق مع المعنى الذي يريد التعبير عنه، فيقول:

أثنى الرجاء على الصبر الجميل ولا ... أثنى (القتود على عيرانة أجد)

وقال الفرزدق:

ليس الحبيب الذي يأتيك مؤتزرا ... مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا[1]

وضمن الخبزأرزي هذا البيت قصيدته التي مطلعها:

لا تكبروا من ملاح المرد إنسانا ... ما الحسن والطيب إلا عند ظبيانا

دون أي تغيير أو تحوير، فهو مجرد اجترار وتكرار لبيت الفرزدق.وهذا كثير في شعره.

انظر في قوانين التناص وأنواعه كتاب ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب مقاربة بنيوية تكوينية - محمد بنيس - دار التنوير للطباعة والنشر الدار البيضاء 1985 م وانظر أيضا كتاب التناص في شعر الرواد - أحمد ناهم - دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد 2004م.

ويقتبس الشاعر أحيانا بعض الجمل الشعرية من شعر بعض الشعراء مثل قوله:

إذا ما دعوت الصبر لباني الهوى ... فشوقي مكين واصطباري مذبذب

[1] انظر قصة البيت في الأغاني 9 / 324

وقد اقتبس عبارة "إذا ما دعوت الصبر" من بيت العباس بن الأحنف:

إذا مـا دعـوت الـصبر بعـدك والبكـا أجـاب البكـا طوعـا ولم يجـب الـصبر[1]

ومثل قوله:

فـإن كنـا تـشاك جميعـا فممـا أتقيـك وتتقـيني

فقد اقتبس جملة "أتقيك وتتقيني" من قول المثقب العبدي:

وإلا فـاطرحني واتخـذني عـدوا أتقيـك وتتقـيني[2]

واللافت للانتباه أن الشاعر يمتص أحيانا فكرة مقطوعة كاملة لأحد الشعراء، ويعيد نظمها مرة أخرى، وكأنه يحيي تلك المقطوعة مرة أخرى مثل قوله:

إذا مـا اسـتبدل الوامـق بُعـدَ الـدَّارِ بـالقُرْبِ
ولَمْ يَبْـقَ سـوى الأخبـارِ والرُّسْـلِ مـع الكُتْـبِ
لقـدْ رثَّـتْ قُـوى العهـدِ كمـا رثَّـتْ قُـوى الحُـبِّ
ومـن غـاب عـن العـين لقـد غـاب عـن القلـب

وهذه المقطوعة تمتص مقطوعة أبي نواس:

لقـد أصـبحت ذا كـرب مـن المولـع بالعتـب
وقـد قاسـيت مـن حبيـه أمـرا لـيس باللعـب
جفـاني وتناسـاني بعيـد الرسـل والكتـب
ومـن غـاب عـن العـين فقـد غـاب عـن القلـب[3]

فالفكرة واحدة حتى إن الخبز أرزي أخذ البيت الرابع في مقطوعة أبي نواس دون أي تغيير أو تحوير وفعل الشيء نفسه في مقطوعته التي أولها:

لم أحـضر المجلـس شـوقا إلى كـلام منـصور بـن عمـار

إذ امتص فكرة مقطوعة أبي نواس التي أولها:

لم أبـك في مجلـس منـصور شـوقا إلى الجنـة والحـور[4]

---

(1) ديوان العباس بن الأحنف ط. بيروت 161
(2) المفضليات 2/ 1035
(3) ديوان أبي نواس ط. الغزالي 340
(4) ديوان ابي نواس 392

وامتص فكرة مقطوعته:

وجـــــه تكامــــــل حـــــسنه | لـمـــــا تطرفـــــه عـــــذاره
والـــسيف أحـــسن مـــا يـــرى | مـــا كـــان مخـــضرا عـــذاره
غـــصن شـــقيت بغرســـه | فـــالآن حـــين زكـــت ثمـــاره
عطـــف الوشـــاة فروعـــه | عـــني وفي قلـــبي قـــراره

من مقطوعة الحسين بن الضحاك:

اخـــضر عارضـــه ولاح عـــذاره | والبـــدر لـــيس يـــشينه آثـــاره
لـــولا اخـــضرار الـــروض لم يـــك نزهـــة | لمـــا تـــضاحك ورده وبهـــاره
والـــسيف لـــولا خـــضرة في متنـــه | مـــا كـــان يعـــرف عتقـــه ونجـــاره
ويـــزين تفـــاح الخـــدود عـــذاره | والثـــوب يعـــرف أرشـــه سمـــساره[1]

وهذا كثير في شعره

وفي شعره لون آخر من التناص وهو التناص مع الحكايات مثل قوله:

لا تنظـــرن إلى أثـــواب مغـــترب | نـــائي المحـــل بعيـــد الأهـــل والـــدار
وانظـــر إليـــه إذا مـــا قـــام في مـــلإ | بمنطـــق لـــذوي الألبـــاب ســـحار

وقد امتص فكرة هذين البيتين من حكاية تقول: إن النجاد العدوي دخل على معاوية في عباءة، فاحتقره، فقال: يا أمير المؤمنين: إن العباءة لا تكلمك إنما يكلمك من فيها، ثم تكلم، فملأ سمعه بيانا، ثم خرج، ولم يسأله شيئا، فقال معاوية: ما رأيت رجلا أحقر أولا ولا أجل آخرا منه. "شرح مقامات الحريري للشريشي 2 / 393".

ومثل قوله:

وبنفـــسي مـــن إذا خمـــشته | نشـــر الـــورد عليـــه ورقـــه
وإذا مـــا مـــست يـــدي طرتـــه | أفلتـــت منـــه فعـــادت حلقـــه[2]

وقد أخذ فكرة هذين البيتين من حكاية لعمر بن أبي ربيعة، حدث المغيرة بن عبد الرحمن، قال: حججت مع أبي وأنا غلام علي جمة "شعر الراس" فجئت عمر فسلمت عليه، وجلست عنده، فجعل يمد الخصلة من شعري ثم يرسلها، فترجع على ما كانت عليه، ويقول واشباباه، حتى فعل ذلك مرارا... (انظر القصة في الأغاني 1 / 77) و(شرح مقامات الحريري 1 / 430)

---

(1) انظر كتاب المحبوب 286
(2) 422

وهذا تناص غير مباشر، لأن قارئ البيتين الذي لا يعرف أصل فكرة البيتين يظن أنها من أفكار الشاعر.

ويضمن أحيانا شعره بعض أقوال الحكماء والفلاسفة، مثل قوله:

صل من دنا وتناس من بعدا   لا تكرهن على الهوى أحدا
قد أكثرت حواء إذ ولدت   فإذا جفا ولد فخذ ولدا[1]

وقول الخبز أرزي هذا مأخوذ من قول بعض الحكماء "رغبتك فيمن يزهد فيك ذل نفس، وزهدك فيمن يرغب فيك صغر همة". ومن قول يزرجمهر "من تغير عليك في مودته، فدعه حيث كان قبل معرفته" وقد علق صاحب كتاب أدب الدنيا والدين على بيتي الخبز أرزي قائلا: وهذا مذهب من قل وفاؤه (انظر أدب الدنيا والدين ص 328)

وهذا أيضا تناص غير مباشر، لأن الشاعر لم يشر إلى الأصل الذي أخذ منه معنى بيتيه، فيظن القارئ أن معنى البيتين من أفكار الشاعر.

وشبيه بهذا أخذ الشاعر فكرة بيته، أو أبياته من أبيات شاعر آخر مثل قوله:

ومن قلة ما أثني   عليه صرت كالهاجي

وقد امتص الشاعر قول البحتري:

جل عن مذهب المديح فقد كا   د يكون المديح فيه هجاء[2]

وقد اختصر قول البحتري بأوجز لفظ، وبناه على وزن خفيف وهو بحر المزج.

ومثل قول الشاعر:

مالي بصدك يا غزال المربد   فلقد أطلت تحيلي وتلددي

فقد امتص فكرة بيته من قول الأحوص:

وبالنعف من فيفا غزال ذكرتها   لطال نهاري واقفا وتلددي[3]

ولم يكتف بامتصاص فكرة البيت بل اقتبس اللفظة الأخيرة من بيت الأحوص، ومعنى تلدد الرجل: إذا تلفت يمينا وشمالا وتحير متبلدا.

والتناص الذاتي من أكثر الوان التناص حضورا في شعره إذ نجد بعض نصوص الشاعر تجتر بعضها

فيكرر الشاعر بعض الأبيات في أكثر من قصيدة دون أي تغيير مثل قوله:

---

(1) 377

(2) ديوان البحتري 1 / 15

(3) ديوان الأحوص 110

ومتـــى يرتجـــى العليـــل شـــفاء   وهـــو يلقـــى الطبيـــب بالكتمـــان
مـــا تركـــت الـــشكوى لـــصبري ولكـــن   في فـــؤادي مـــا لا يـــؤدي لـــساني
فتعطـــف بخلـــوة تبـــسط الأنـــس بيـــث العتـــاب والأشـــجان
فعـــسى أن تنـــالني رحمـــة الوصـــل فـــأنجو مـــن ســـخطة الهجـــران

وقد وردت هذه الأبيات في قصيدة مطلعها:

لـــي حبيـــب قـــد شـــفني وبرانـــي   هـــو دان ووصـــله غـــير دان

ثم وردت في قصيدة أخرى مطلعها:

قـــل لمـــولاي يـــا بـــديع الزمـــان   يـــا هـــلال الـــدجى علـــى غـــصن بـــان

وأحيانا يجتر البيت مع تغيير بعض الألفاظ مثل قوله:

لا زلـــت ركنـــا لمـــن والاك ذا ثبـــت   ولم يـــزل ركـــن مـــن عـــاداك مهـــدودا

وقد كرر هذا البيت وأورده في قصيدة أخرى على هذه الصورة:

لا زال ركنـــك موطـــودا بعزتـــه   ولم يـــزل ركـــن مـــن نـــاواك مهـــدوما

ويورد أحيانا مصراع بيت في قصيدة،ثم يكرره في قصيدة أخرى مثل قوله:

أخـــي لا تؤاخـــذني وإن كـــان لـــي ذنـــب   فلـــيس علـــى العـــشاق في فعلـــهم عتـــب

وقد كرر المصراع الأول في قصيدة رائية:

أخـــي لا تؤاخـــذني وإن كـــان لـــي ذنـــب   فحـــرم الفتـــى في الـــشكر داعيـــة العـــذر

وأحيانا يكرر المعنى نفسه مع تغيير في الألفاظ وهذا كثير جدا في شعره وأورد فيما يأتي مثلا واحدا على مثل هذا اللون من التناص، فهو يكرر مثلا معنى الطبيب المحبوب، والعليل المحب مثل قوله مخاطبا من يحب:

أنـــت الطبيـــب فمـــا يـــضر   رك لـــو شـــفيت المـــدنفا
مـــن في يـــديك تلافـــه   لا تلـــه عنـــه ليتلفـــا

ويقول في مقطوعة ثانية مكررا المعنى نفسه:

ســـقامي يـــبرا أنـــت تعـــرف طبـــه   وهـــل يعـــرف الأســـقام غـــير طبيبهـــا

ويكرر المعنى في قصيدة نونية:

يـــا طبيـــب القلـــوب قلـــبي عليـــل   فتلطـــف وافطـــن لـــبعض المعـــاني
ومتـــى يرتجـــي العليـــل شـــفاء   وهـــو يلـــق الطبيـــب بالكتمـــان

ويقول في مقطوعة أخرى مكررا المعنى نفسه:

إن من كنت له أنت سقاما وطبيبا

ويكرر المعنى في قوله:

لا تـــــسألوا عـــــني الأطبـــــا فــــــإنني عــــــارف طبـــــيبي

ويقول في مقطوعة أخيرة مكررا المعنى نفسه:

أتـــــوني بالطبيــــب فــــساءلوه فلـــم يــدر الطبيــب بمــا يجيــب
ســـقاني شـــربة لم تغــن شـــيئا ســوى مــا زاد في القلــب اللــهيب
فقلـــت لـــه ألا دعـــني لـــدائي وقـــم فاذهـــب لـــشأنك يــا طبيــب
دوائـــي في يـــدي مـــن كـــان داء فقــال: ومــا الــدوا؟ قلــت: الحبيــب

وهكذا فإن الخبزأرزي على الرغم من أنه كان أميا لا يقرأ ولا يكتب، كان مثقفا ثقافة عالية، ووظف ثقافته لخدمة شعره، وهذا يدل على فهم الشاعر للشعر، وأنه لا بد من الثقافة، لأن الموهبة الشعرية وحدها لا تكفي، فلا بد من الثقافة بألوانها المختلفة من دينية، وتاريخية، وأدبية.

المصادر والمراجع

1- الإبانة عن سرقات المتنبي، أبو سعيد محمد بن أحمد العميدي- تحقيق، إبراهيم الدسوقي البساطي. دار المعارف بمصر 1969م.

2- اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، د. محمد مصطفى هدّارة. دار المعارف بمصر 1977م. الطبعة الثالثة.

3- إتحاف النبلاء بأخبار الثقلاء، جلال الدين السيوطي . مجلة عالم الكتب، الرياض 1403هـ 1983م .4-3- أدب الدّنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي. تحقيق، مصطفى السّقا- دار الكتب العلمية- بيروت.

4- الإماء الشواعر- أبو الفرج الأصفهاني- تحقيق د. مصطفى حسين عناية- عالم الكتب الحديث- اربد - الأردن- 2013م.

5- الأنساب، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني. تحقيق، عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، ط. بيروت 1400هـ - 1980م - الطبعة الثانية.

6- أنوار الربيع في ألوان البديع، السيد علي صدر الدين بن معصوم المدني. تحقيق، شاكر هادي شاكر، مطبعة النعمان بالنجف 1969م.

7- الأوراق، أبو بكر محمد بن يحيى الصولي، مطبعة الصّولي 1936م.

8- بدائع البدائة، علي بن ظافر الأزدي. تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم- مكتبة الأنجلو مصرية- القاهرة.

9- البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ. تحقيق، أحمد أحمد بدوي- مطبعة البابي الحلبي بمصر 1380هـ.

11- البصائر والذخائر- أبو حيان التوحيدي. تحقيق: د. إبراهيم الكيلاني.

12- بناء القصيدة العربية، د. يوسف حسين بكّار، دار الإصلاح للطباعة والنشر- الدّمام- السعودية.

13- بهجة المجالس، ابن عبد البر النمري . تحقيق محمد مرسي الخولي، الدار المصرية للتأليف 1962م
14- تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، دار المعارف بمصر.
15- تاريخ ابن الوردي، زين الدين عمر بن الوردي.
16- تاريخ أبي الفدا، الملك المؤيد إسماعيل بن الفدا صاحب حماة.
17- تاريخ بغداد، أو مدينة السّلام منذ تأسيسها حتى سنة 463هـ- الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي- المكتبة السلفية بالمدينة المنوّرة.
18- تاريخ الرّسل والملوك – أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم – دار المعارف بمصر 1979م- الطبعة الثالثة.
19- تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري، محمد نجيب البهبيتي- دار الثقافة – الدار البيضاء، 1982م.
20- التبيان في شرح الديوان، أبو البقاء العكبري، تحقيق: مصطفى السقّا- دار المعرفة- بيروت.
21- تتمة يتيمة الدهر، أبو منصور عبد الملك بن إسماعيل الثعالبي . طهران 1353هـ
22- التوفيق للتلفيق،أبو منصور عبد الملك بن إسماعيل الثعالبي . تحقيق هلال ناجي وزميله – المجمع العلمي العراقي 1985م
23- الجماهر في معرفة الجواهر، البيروني . جمعية دائرة المعارف العثمانية 1355هـ
24- خاص الخاص، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي – قدم له حسن الأمين –منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت دراسات في نقد الشعر، إلياس خوري – دار ابن رشد – بيروت 1979م
25- ديوان أبي بكر الشبلي، تحقيق د. كامل مصطفى الشيبي – مطبعة البيان، بغداد سنة 1946م.
26- ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق، محمد عبده عزام- الطبعة الثانية- دار المعارف بمصر.

27- ديوان الإمام الشافعي، تحقيق، محمد عفيف الزعبي – دار المطبوعات الحديثة – جدّة 1407هـ.
28- ديوان امرئ القيس – دار صادر – بيروت.
29- ديوان البحتري – تحقيق، حسن كامل الصيرفي – الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر – وديوان البحتري طبعة دار صادر ببيروت.
30- ديوان جحظة البرمكي، تحقيق جان عبد الله توما – دار صادر – بيروت 1996م
31- ديوان الخبز أرزي، تحقيق، د. مصطفى حسين عناية. دار عالم الكتب الحديث – إربد – الأردن
32- ديوان ديك الجن الحمصي، تحقيق أنطوان محسن القوال – دار الكتاب العربي – بيروت 1413هـ 1992م
33- ديوان ابن الرومي، تحقيق حسين نصار . 1973م
34- ديوان الصبابة، ابن أبي حجلة المغربي – دار حمد ومحيو – بيروت
35- ديوان أبي نواس، تحقيق – عبد المجيد الغزالي. ط. القاهرة.
36- ديوان السري الرفاء، تحقيق حبيب حسين الحسني – وزارة الثقافة والإعلام ببغداد 1981م .
37- ديوان المعاني، الإمام أبو هلال العسكري- مكتبة القدسي، القاهرة – 1352هـ.
38- ديوان النابغة الذبياني – تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر.
39- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابن بسام الشنتريني – تحقيق إحسان عباس – دار الثقافة – بيروت 1979م
40- ذيل زهر الآداب وثمر الألباب، نشره محمد أمين الخانجي- القاهرة 1353هـ.
41- رماد الشعر دراسة في البنية الموضوعية والفنية للشعر الوجداني الحديث في العراق، د/ عبد الكريم راضي جعفر – دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد – 1998م
42- زهر الآداب وثمر الألباب، الحصري القيرواني – تحقيق محمد علي البجاوي – القاهرة 1953م .

43- سحر العيون، ابو البقاء البدوي – 1276هـ
44- سرّ الفصاحة، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية- بيروت- الطبعة الأولى 1402هـ – 1982م.
45- سمط اللآلئ، البكري – تصحيح عبد العزيز الميمني – لجنة التأليف والترجمة – القاهرة 1936م
46- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي- مكتبة القدسي بالقاهرة 1350هـ.
47- شرح المضنون به على غير أهله – الخزرجي – شرح عبيد الله بن الكافي العبيدي –مكتبة دار البيان – بغداد ودار صعب – بيروت .
48- أ- شرح مقامات الحريري، أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريشي- تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم- المؤسسة العربية الحديثة- القاهرة 1969م.
ب- شرح مقامات الحريري، المطبعة الشعبية 1399هـ.
49- شعر الأحوص الأنصاري – جمعه وحقّقه: عادل سليمان جمال، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر بالقاهرة 1390هـ – 1970م.
50- الشعر العربي بين الجمود والتطور، د. عبد العزيز الكفراوي- دار القلم – بيروت.
51- الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاتها، محمد بنيس – دار طوبقال للنشر – الدار البيضاء 1990
52- الشعر والشعراء في العصر العباسي، د. مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين- بيروت- الطبعة الثالثة 1979م.
53- الشعر وطوابعه الشعبية على مرّ العصور- د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر.
54- الصبح المنبي عن حيثية المتنبي، الشيخ يوسف البديعي- تحقيق، مصطفى السقا وآخرون- الطبعة الثانية – سلسلة ذخائر العرب رقم 36 – دار المعارف بمصر.
55- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني – دار الكتب العلمية – بيروت 1402هـ – 1982م.

56- طيف الخيال، الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي- تحقيق، حسن كامل الصيرفي- دار إحياء الكتب العربية – الطبعة الأولى 1381هـ.
57- العصر الجاهلي، د. شوقي ضيف- دار المعارف بمصر.
58- العصر العباسي الأول، د. شوقي ضيف – دار المعارف بمصر.
59- العصر العباسي الثاني، د. شوقي ضيف – دار المعارف بمصر.
60- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد – دار الجيل – بيروت – الطبعة الرابعة 1972م.
61- عيار الشعر – ابن طباطا – تحقيق: محمد نعيم زرزور.
62- في سيمياء الشعر القديم، محمد مفتاح –دار الثقافة للنشر والتوزيع – الدار البيضاء 1989م
63- في معرفة النص، يمنى العيد – دار الآفاق الجديدة –بيروت 1985م
64- الفهرست، ابن النديم – دار المعرفة – بيروت –
65- قراءات أسلوبية في الشعر الجاهلي، د/ موسى ربابعة – مكتبة الكتاني ودار الكندي – إربد – الأردن 2001م
66- قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة – دار العلم للملايين – بيروت 1981م
67- الكامل في التاريخ، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير.
68- كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، أبو هلال العسكري – تحقيق مفيد قميحة – دارالكتب العلمية – بيروت 1401هـ – 1981م .
69- كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون – حاجي خليفة، مكتبة المتنبي بيروت
70- الكشكول، بهاء الدين العاملي، تحقيق، الطاهر أحمد الزّاوي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي – القاهرة.
71- الكُنى والألقاب، عبّاس القمّي – المطبعة الحيدرية – النجف – 1389هـ – 1970م.
72- اللّباب في تهذيب الأنساب، عزّ الدين بن الأثير الجزري، دار صادر – بيروت.

73- لسان العرب، ابن منظور عبد الله بن محمد بن مكرم- تحقيق، عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف بمصر.

74- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، تحقيق، د. أحمد الحوفي، و د. بدوي طبانة – دار الرفاعي بالرياض – الطبعة الثانية 1403هـ - 1983م.

75- محاضرات الأدباء، ومحاورات الشعراء، أبو القاسم حسين ابن محمد الراغب الأصبهاني – بيروت.

76- محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العبّاسية)، الشيخ محمد الخضيري – المكتبة التجارية بمصر – الطبعة العاشرة.

77- المحب والمحبوب، السري بن أحمد الرفاء الموصلي – دراسة وتحقيق، د. حبيب حسين الحسيني – دار الرسالة للطباعة – بغداد – الطبعة الأولى 1402هـ - 1982م.

78- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان،أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي. دائرة المعارف العثمانية 1338هـ

79- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، د. عبد الله الطيب المجذوب – دار الفكر، بيروت – 1970م.

80- مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن علي بن الحسين ابن علي المسعودي، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر – القاهرة – الطبعة الخامسة 1393هـ - 1973م.

81- المستطرف في كل فنّ مستظرف – شهاب الدين أحمد الإبشيهي – المكتبة المحمودية التجارية بمصر

82- مسند أحمد بن حنبل – المكتب الإسلامي للطباعة والنشر – بيروت – الطبعة الثانية 1398هـ - 1978م.

83- مصارع العشاق، جعفر بن أحمد بن الحسين بن احمد السراج – مطبعة الجوائب بالقسطنطينية – 1301هـ

84- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، عبد الرحيم بن أحمد العبّاسي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد – المكتبة التجارية بالقاهرة – 1367هـ - 1947م.
85- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، مطبعة دار المأمون – القاهرة – الطبعة الأخيرة.
86- معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر – بيروت 1377هـ - 1957م.
87- مقدمة كتاب الدر الفريد وبيت القصيد، محمد بن أيدمر – تحقيق د/ مصطفى حسين عناية – عالم الكتب الحديث – إربد – الأردن 2013م
88- الممتع في صنعة الشعر، عبد الكريم النهشلي القيرواني – تحقيق، د. محمد زغلول سلام- دار منشأة المعارف – الإسكندرية.
89- المنتحل،أبو منصور عبد الملك بن إسماعيل الثعالبي .
90- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن محمد بن علي بن الجوزي – مطبعة دائرة المعارف العثمانية: حيدر آباد – 1357هـ.
91- المنصف في نقد الشعر وبيان سرقات المتنبي ومشكل شعره، أبو محمد الحسن بن علي بن وكيع التنيسي- تحقيق، د. محمد رضوان الدّاية – دار قتيبة – دمشق 1402هـ - 1982م.
92- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجني – تحقيق، محمد الحبيب بن خوجة- دار الغرب الإسلامي – بيروت – الطبعة الثانية 1981م.
93- موسيقى الشعر. د. إبراهيم أنيس – دار القلم – بيروت الطبعة الرابعة.
94- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي- نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية – سلسلة تراثنا.
95- نزهة الأبصار في محاسن الأشعار – شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد العنابي – تحقيق السيد مصطفى السنوسي وزميله – دار القلم – الكويت 1986م
96- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، القاضي أبو علي المحسّن ابن علي التنوخي، تحقيق، عبود الشلجي المحامي 1392هـ - 1972م.

97- نصرة الثائر على المثل السائر، الصفدي – تحقيق محمد علي سلطاني – مجمع اللغة العربية – دمشق 1971م

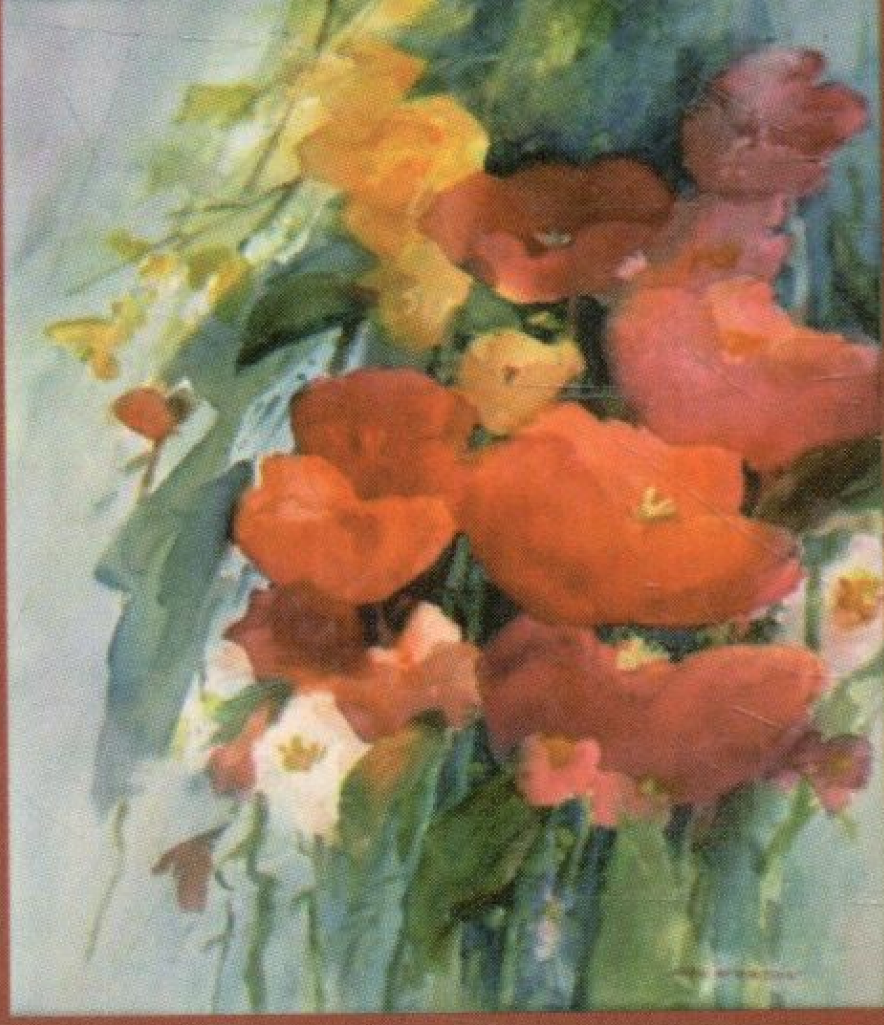
98- نقد الشعر، أبو الفرج قدامة بن جعفر – تحقيق، د. محمد عبد المنعم خفاجي- مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة – الطبعة الأولى – 1399هـ - 1979م.

99- نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النّويري – نسخة مصورة عن دار الكتب المصرية – سلسلة تراثنا.

100-الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني – تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي – دار القلم – بيروت.

101-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق، د. إحسان عباس – دار صادر – بيروت.

102-يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر – أبو منصور عبد الملك الثعالبي، المطبعة الحنفية- دمشق.



NSER BN AHMAD AL BASARI

الدكتور مصطفى حسين عناية

الشاعر نصر بن أحمد البصري الخبزأرزي المتوفى سنة 330 هـ كان أمياً لا يعرف القراءة والكتابة، واكتسب لقبه من حرفته ، فقد كان خبازاً يخبز الأرز بدكان له في مربد البصرة، وقد أجمعت المصادر التي تحدثت عنه على أنه كان أمياً لا يتهجى ولا يكتب، وكانت نشأته بالبصرة حيث خالط شعراءها، وعلماءها، وقضاتها ثم انتقل إلى بغداد وأقام بها زمناً وهناك جمع ديوانه، وقرئ عليه.

وعلى الرغم من أميته، ومن فقدانه لآلات الشعر وأدواته وعدده، فقد توفرت نصوصه الشعرية على جماليات فائقة الأهمية من حيث صنعة الشعر، وقد كان من اسرع الشعراء بديهة وارتجالاً، وأوجدت له أميته شهرة كان جديراً بها، وقد أدهشت موهبته الشعرية معاصريه حتى جعلت أحد أكبر معاصريه من الشعراء والنقاد، وهو ابن لنكك البصري ، يجلس إليه ويجمع شعره ويكتبه.

وإنصافاً لهذا الشاعر الذي كان يمثل أحسن تمثيل الطبقة الشعبية في عصره، وإنقاذاً لهذا الشاعر من تلك الأقوال الزائفة التي قالها معظم كتاب التراث عن شعره من أنه كان لا يفهم صنعة الشعر، وأن شعره كان يقتصر على الغزل والمجون، ولأن شعره لم يدرسه الدارسون، في حدود علمي، فقد قمت بتحقيق ديوانه تحقيقاً علمياً، وقمت في هذا البحث بدراسة مفصلة عن حياته وشعره ... بهذا التحقيق لشعره، وبهذه الدراسة لحياته وشعره قد قدمت عملاً متواضعاً يسهم ... العربي.

9 789957 708696



الاردن - اربد - شارع الجامعة
تلفون: ٧٢٧٢٢٧٢ ٢ ٩٦٢+ / فاكس: ٧٣٦٩٩٠٩ ٢ ٩٦٢+
الرمز البريدي: (٢١١١٠) / صندوق البريد: (٣٤٦٩)
almalktob@yahoo.com
www.almalkotob.com



Modern Book's world
للنشر والتوزيع

مطبعة حلاوة
Halawa Printing Press